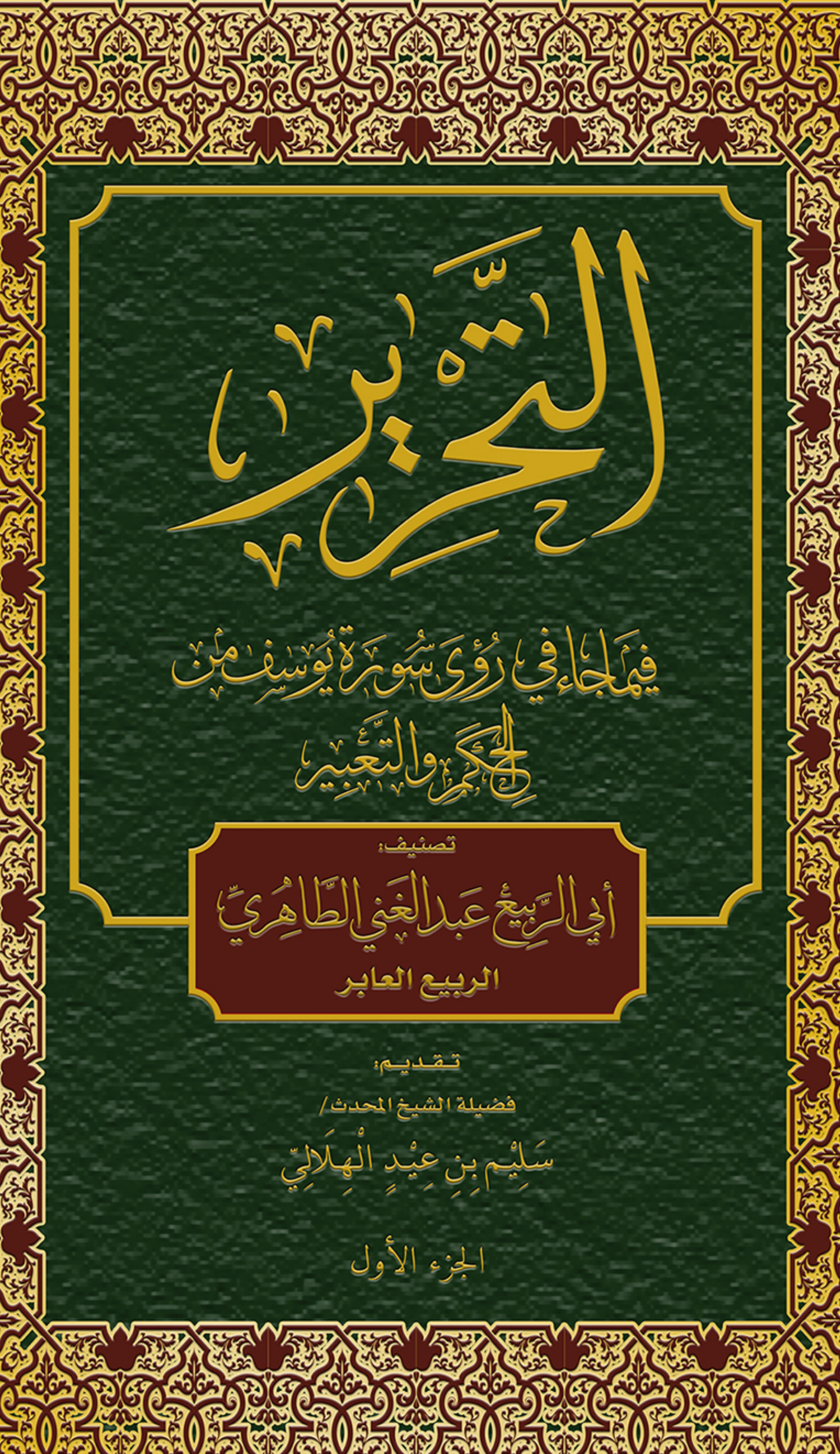
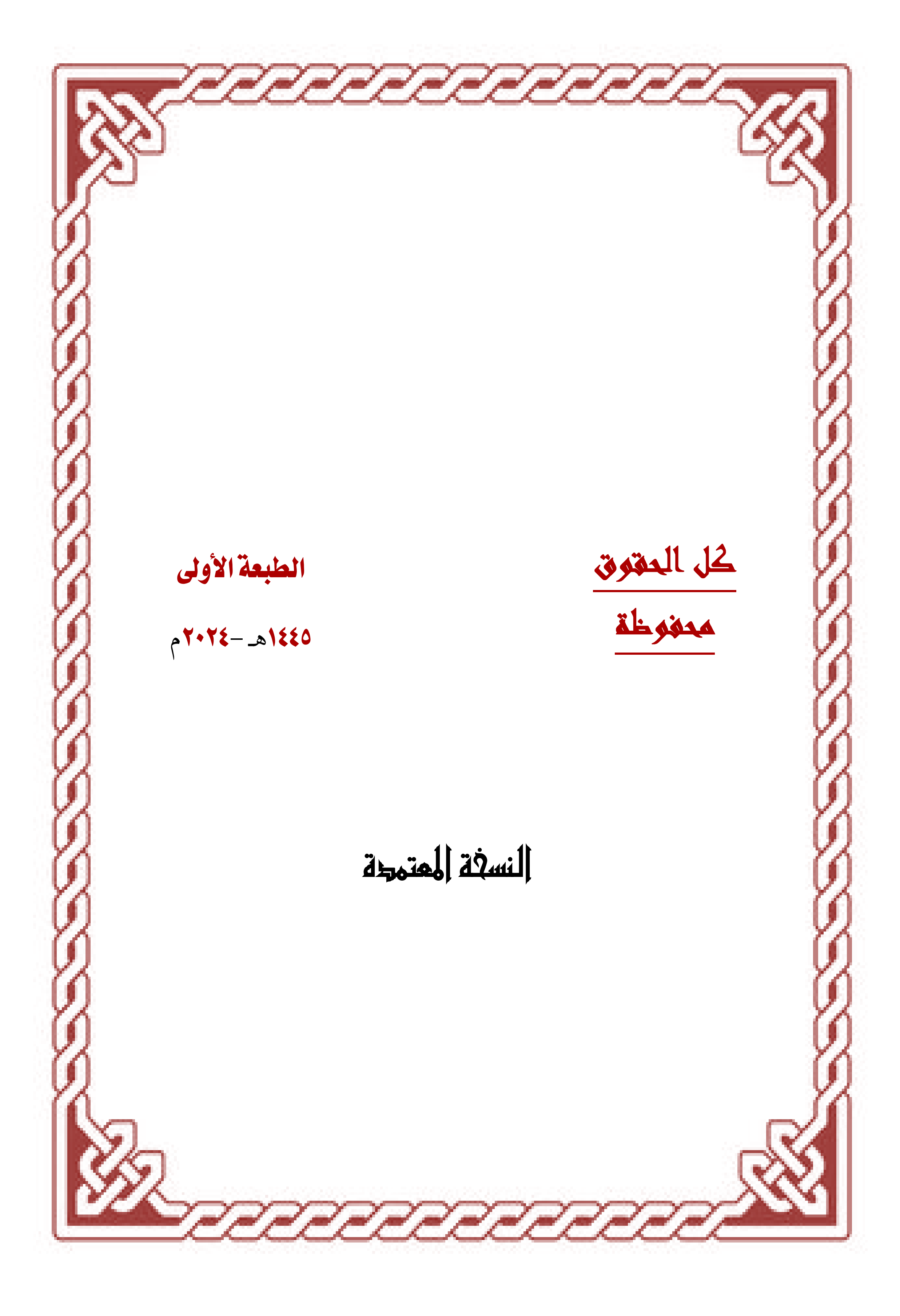

التحرير
فيما جاء في رؤى سورة يوسف من
الحِكَم والتعبير
تصنيف:
أبي الربيع عبد الغني الطاهري
الربيع العابر
تقديم:
فضيلة الشيخ المحدث/
سَلِيم بن عِيدٍ الهلالي
الجزء الأول


التحرير
فيما جاء في
رؤى سورة يوسف من الحكم والتعبير



الطبعة الأولى
١٤٤٥هـ -٢٠٢٤م

النسخة المعتمدة



التَّحْرِيرُ فِيمَا جَاءَ فِي رُؤَى سُورَةِ يُوسُفَ مِنَ الحِكَمِ وَالتَّعْبِيرِ

تَصْنِيفُ

أَبِي الرَّبِيعِ

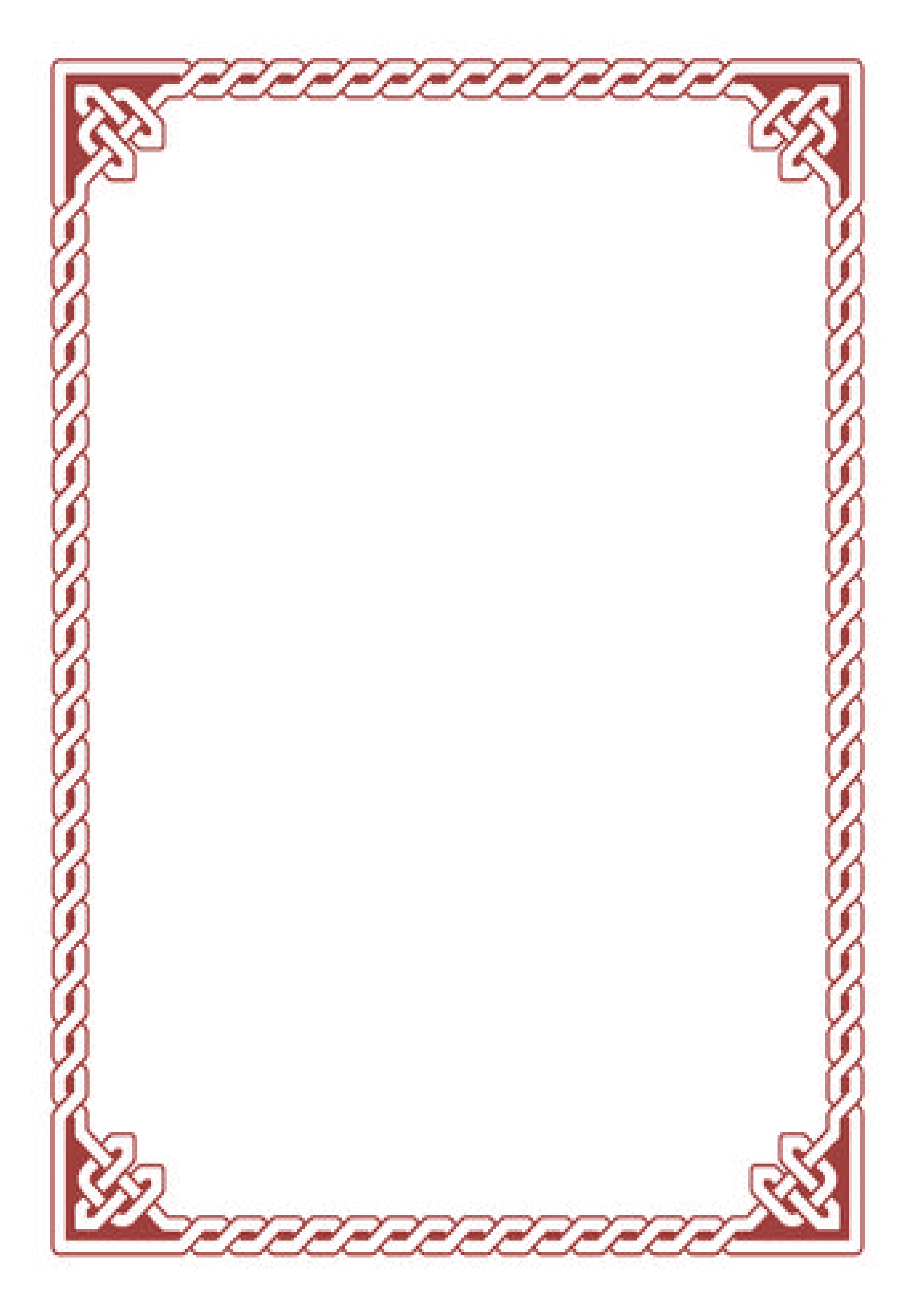
عَبْدِ الغَنِيِّ بْنِ صَالِحٍ الطَّاهِرِيِّ

تَقْدِيمُ فَضِيلَةِ الشَّيْخِ المحَدِّثِ

أَبِي أُسَامَةَ

سَلِيمِ بْنِ عِيدٍ الهِلالِيِّ

الجزء الأول



مقدمة الشيخ سليم بن عيد الهلالي

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله حمدًا يرضيه، والصلاة والسلام على من اجتمعت المحاسن واكتملت الفضائل فيه، وآله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فمن الأمور الْمُهمة والحقائق الشائعة: عِلْمُ تعبير الرُّؤيا؛ هذا العلم الذي خاض الناسُ فيه قديمًا وحديثًا واختلفتْ آراؤهم حول حقائق الرّؤيا وكيفية تعبيرِها فجاءت شريعتُنا العظيمةُ الخالدة ببيناتها التي قطعتْ بَهَا تأويلَ الْمتأوِّلين وتذبذبَ الْمُتذبذبين.

فنجدُ القرآن الكريم تحدّث عن الرؤىٰ في مواضعَ عدّة وخاصة سورة يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، ومن ثم جاءتِ السُّنَّةُ بالتفاصيل فأوضحتْ الْحُجّة؛ بل عقد المحدثون من أصحاب الصحاح والمسانيدِ والسنن كتبًا جميع أبوابها متعلقة بفقه تأويل الرّؤيا، ومع وضوح النصوص الشرعيّة وصحّتها إلا أنك ترى الأقوال الشاذة يتلَقّفُها مثقفو الناس وعوامهم، وترى الآراء الخاطئة مُنتشرةً وسائدةً، وما ذاك إلا لبعدهم عن تأمُّلِ الكتاب والسنّة وتهافُتِهم على أدعياء هذا العلم المنتشرين على الفضائيات ووسائل التواصل الاجتماعي ممّن ظنّ أنْ الشهرة هي المعيارُ في الرسوخ والحق، ولكن بحمد الله سُبْحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ لا زال أناس يحملون هذا العلم العزيز بأمانة وحرص وصدق وثبات، ومن هؤلاء الإخوة النجباء: **عبد الغني الطاهري (الربيع العابر)** وفقه الله؛ فسوف تجد في رسالته التي بين يديك: تأصيلًا

لعلم التعبير على ضوء منهج السلف وتحليلًا لآحاد مسائله.

وفق الله الجميع لما يحبه ويرضاه، وغفر لنا، ورزقنا حسن الخاتمة، والفردوس الأعلى، ولذة النظر إلى وجهه الكريم، والله الموعد.

وكتبه:

سليم بن عيد الهلالي

تلميذ الإمام الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

عمان الأردن في ١٢/ ١٠/ ١٤٤٤هجري



وطرقت باب مشايخي أرجوهم	خيرًا رجوت فلم أجد ما أرقبه
لا سامح الله الوشاة فإنهم	بكلامهم قطعوا سبيلًا أطلبه
قد شوهوني عندهم لم يأتني	رد على ما كنت يوما أكتبه
فرأيت بدرًا في السماء مشعشعًا	مسقاه وحي الله.. إني أحسبه
أعني سليمًا كاسمه سلم الأذى	وانقاد للمولى وطيب مذهبه
رجل تسامى بالجميل وإنه	دين النبي محمد هو مأربه

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إن هذا الكتاب بأجزائه الثلاثة لا يتحدث عن علم الرؤيا وتأويلها فحسب، بل جعلنا ثلثيه يصب في علم التفسير لكلام الله تعالى بدلالات مستنبطة فريدة ومليحة، وجعلنا الثلث الآخر في علم تأويل الرؤيا، وهذا من فضل الله عليّ.

وقد احتوى هذا الكتاب على مقدمة واثني عشر بابًا،

وفهرس للموضوعات،

وهي كما يلي:

الباب الأول: التبصير والتعبير، وفيه ثلاثة مباحث.

الباب الثاني: سورة يوسف، وفيه: تمهيد، ومبحث.

الباب الثالث: دلو يوسف للعبور، وفيه عشرة مباحث.

الباب الرابع: الرؤيا، وفيه مباحث.

الباب الخامس: العدد، وفيه مباحث.

الباب السادس: علامات للسيّارة، وفيه مباحث.

الباب السابع: وهِيجُ الشمس، وفيه مباحث.

الباب الثامن: طَلَع البَدر، وفيه مباحث.

الباب التاسع: محجّة بيضاء، وفيه مباحث.

الباب العاشر: الزّمن، وفيه مباحث.

الباب الحادي عشر: تُـحـف، وفيه مباحث.

الباب الثاني عشر: الرفعة والإجلال، وفيه مباحث.

الفهرس.





مقدمة:

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله الذي خلق الشمس والقمر مسيرات بأمره، وجعل الليل والنهار يتعاقبان ليُعلم عدد السنين والحساب بإذنه، وخلق من الزروع ما شاء لخلقه، وفضل بعضها على بعض في الأكل فذلك آية لأولي العقول المعتبرة، وألهم الطير ببسط جناحيه في جو السماء ما يمسكهن إلَّا الله بقدرته، وسخر الأنعام للناس وذلك من فضله، وجعل من النبوة بشرى ليطمئن قلب العبد وتقر عينه، ففي ذلك كله دلالة على أنه المستحق للعبادة وحده.

وأُصلِّي وأُسلِّم على السِّرَاج المنير عدد الحصى، وما نطق ناطق بين الورى، وعدد ما خلق من كواكب وشجر وطير وحيوان، وعدد ما تعاقب الليل والنهار، فهو عند الملأ يزكو ذكره.

أمّا بعد:

فقد تأملت في الرؤىٰ التي في سورة يوسف عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ فلم أجد من قام بتحرير ما فيها من حِكم مليحة، فبدأت في أول الأمر في إحدى الرؤىٰ وقمت بنشرها بين طلبة العلم، فمررت عليها مرور الكرام، ثم وجدت نفسي أنني غصت في أعماق بحر علم لا تنتهي كنوزه، **وقلت**: لا بد أن أُكمل ما بقي من الرؤىٰ التي في سورة يوسف عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ لما وجدت فيها من غزارة في علوم شتّى نافعة على الروح والبدن، وقد وجدت أغلب الكتب تتحدث عن فوائدها عمومًا، وتمر على الرؤىٰ بحديث عام، فوجدت الساحة خالية من قبل وفي عصرنا -حسب علمي-.

والتعمق في رؤى سورة يوسف تتطلب عابرًا ينهج منهج السلف؛ وزد على ذلك إن أتته رؤيا نحو رؤيا يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ فإنه يسهل له ذلك فاستعنت بالله تعالى، ولم أفرده بعلم التعبير، بل المَكَنة في التدبر في كلام الله تعالى، والتأمل في آياته، واستدلال ذلك من القرآن والسنة النبوية، ووجدت أسرارًا وخفايا مستنبطة من الرؤىٰ وما جرى ليوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ مما يجعل الروح تتقوى وتسعد، وتجعل من الرؤيا استئناسًا وإنارةً وقيادةً للمرء في حياته حتى مماته من دون مخالفة، وهذا من نعم الله علينا، فسردت فوائد لتعبير الرؤيا بحيث يعلم الرائي أنه ليس هناك شيء مستحيلًا، مع ملاح بعد التدبر في كلام الله تعالى، ولما كانت رؤيا يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ هي أول رؤيا ذكرها الله في هذه السورة كان على طالب العلم أن يُمعن النظر فيها، ويستنبط منها دررًا لا تنقطع، فوجدتها جامعة لعلم التعبير كله مع باقي رؤى السورة، وإن كانت هي في المرتبة الأولى؛ وذلك لعلو معالمها فافهم ذلك.

واعلم أن تعبير الرؤيا يحتاج إلى فكر، وصاحب روح مرهفة شفافة، وعند التاويل يجري عليه من التعب والنصب؛ لأن هذا العلم يتطلب من صاحبه التفكر والتدبر، ويحكم وفق كلام الله تعالى وسنة نبيه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ، فالرؤيا ليست مسألة علمية لها مدلولها من الأحكام الشرعية كالمسائل الفقهية- ويحكم عليها على وجه المباشرة فحسب، وإن كانت فتوى إلا أنها أثقل على عابرها؛ لما تحتاج من إعمال لحواس الروح من التأمل والتدبر، والترتيب وغير ذلك، فكيف بسرد بحث جديد؟ فإن ذلك أمر شاق وليس بالهين؛ لأنه يحتاج إلى استدلال من الكتاب والسنة، ولم أُسبق لمثل هذا التصنيف، فلم أجد للمتقدمين ولم أجد حتى للمعاصرين من فعل هذا، حسب علمي.

وهذا الكتاب يحمل مفاهيم نفيسة ومليحة، وطريقة فريدة ذات حُسن وجمال، ويحمل في طيّاته تُحَفًا ماتعة لمفهوم مغاير في الإمعان في كلام الله تعالى، من غير مخالفة ولا خروج عن الاعتدال، قال تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ٢٩﴾ [ص]، فإن هذا القرآن ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ﴾ [ص: ٢٩] كثير الخير والنفع؛ ليتدبر الناس آياته ويتفكروا في معانيها؛ وليتعظ به أصحاب العقول الراجحة النيرة.

وقد قسّمت هذا الكتاب إلى ثلاثة أجزاء:

الجزء الأول: رؤيا يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

الجزء الثاني: رؤيا السجينين.

الجزء الثالث: رؤيا الملك.

وقد جعلت كل جزء في كتاب منفرد، وجعلت في كل جزء أبوابًا، وكل باب يحمل كمًّا من الفوائد المتصلة بعنوان الباب، ومرتَّبة بالعدد، -إن شاء الله تعالى-.

قال الربيع مبينا للحال ... يا من يريد من الحياة معالي
ولسان حالك كيف لي بطريقها ... في هذه الدنيا وثم مآلي
فأكون كالبدر المنير برفعة ... أبغي جوابا شافيا لسؤالي
فطريقنا مر ودائم قولنا ... يا رب يسر بالطريق التالي
حاف وأحمل صرة في ليلة ... قر وريح الصر بالأرطال
فأجاب فامضِ واصطبر يا سائلي ... فطريقكم كنز وصعب منالِ
هذا من التحرير مطلعه به ... يا من يريد من الحياة معالي

- تشبيه: أبي الربيع، نظمها الشاعر: عبد الوارث عباس.

الباب الأول:
التبصير والتعبير





المبحث الأول: عِلْمٌ وعَلَمٌ قائم.

المبحث الثاني: جزءًا من النبوة.

المبحث الثالث: جُبَّةُ الاصطفاء.

تمهيد

اعلم أن القرآن الكريم لا تنتهي عجائبه ولا تنقضي غرائبه وأسراره في كل زمان ومكان، وهذه التفاسير على كثرتها، والكتب التي أُلفت في مختلف علومه لا يدركها الحد، ولا يصل إليها الحصر، مع هذا لم تنته عجائب القرآن، ولا عَجَبَ أن يستمر البحث والاستنباط من كتاب الله تعالى بفوائد نفيسة؛ فإن كلام الله تعالى لا يمل القارئ منه مع كثرة الترداد، وقد يهيئ الله لعبده ويجري على قلبه ويستنبط منه اللطائف البيانية، والأسرار البلاغية، وتوجيه الآيات توجيهًا تظهر فيه البراعة، وحسن الابتكار، ليس فيها ما يخدش في العقيدة، ولا مخالف لمنهج من قد سلف، وإنما استنباطٌ بحِكَمٍ مليحةٍ بل تُحَف لها مزيتها، تحمل القارئ أو السامع على تقديره، وهذا مما اختص به كلامه سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، وكل فائدة جديدة فالسلف لهم الأجر فيه، وهذا إنما على إثرهم، ونحو هذا، فعندما يستدل الفقيه في زماننا بأدلة غير ما استدل به الفقيه الفلاني من القدامى وليس في الاستدلال مخالفة وتشير إلى المعنى المفهوم فهذه تُعتبر فائدة جديدة لطالب العلم، والمنهج السلفي هو المنهج الأسْلَم والأعْلَم والأحْكَم، فهو ملتزم بظاهر القرآن من غير تأويله، أو تحميله من المعاني ما لا يتحمله اللفظ، أو يُبعد عن غرض الهداية، وقد كان ترجمان القرآن له عدّة وقفات في بعض الآيات، وإذا تأملت إلى القرن السابع لوجدت في كتب ابن تيمية وابن القيم رحمهما الله لهم تفاسير في بعض الآيات حسب الفائدة التي يبحث عنها، وقد تجد له قولًا يقرب أو يبعد عن المعنى السابق عندما يتعرض لتفسير هذه الآية في موضع آخر، وبحث جديد يختلف عن السابق.



وأهل العلم في هذا على درجات متفاوتة على ما يلهمه الله ويوفقه لذلك، وبقدر ما تحمل الأرض من ذلك الغيث بقدر ما ينتفع العباد منه قال تعالى: ﴿وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا ۚ﴾ [الأعراف:٥٨] فالأرض الطيبة لا تقبل إلا طيبًا، ولا تخرج إلا طيبًا، وقلوب عباده متفاوتة في ذلك، وقس على ذلك في الخبث.

قال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وقد يكون الرجل من أذكياء الناس وأحَدِّهِم نظرًا ويعميه الله عن أظهر الأشياء، وقد يكون من أبلد الناس وأضعفهم نظرًا ويهديه لما اختلف فيه من الحق بإذنه، فلا حول ولا قوة إلا به. [درء التعارض (٩/ ٣٤)].

فمن اتكل على نظره واستدلاله أو عقله ومعرفته خُذل، ولهذا كان النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ كما جاء في أحاديث كثيرة صحيحة يدعو ربه: «**يَا مُقَلِّبَ القُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ**». [رواه الترمذي، برقم: (٢١٤٠)، وقال الألباني: صحيح].

قلت: لم تخطئ فراسة ابن دقيق عندما قال لك: لا أظن أنه سيخلق مثلك.

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كلام له نفيس يُكتب بماء الذهب الحميري: والمقصود تفاوت الناس في مراتب الفهم في النصوص، وأن منهم من يفهم من الآية حكمًا أو حكمين، ومنهم من يفهم منها عشرة أحكام أو أكثر من ذلك، ومنهم من يقتصر في الفهم على مجرد اللفظ دون سياقه ودون إيمائه وإشارته وتنبيهه واعتباره. [إعلام الموقعين (١/ ٢٦٧)].

قلت: فمن كلامه أي: في كل زمان، والله أعلم.

فالناس يتفاوتون في فهم المعاني، واستنباط الحقائق المحتجبة، واستكشاف الأسرار المرموزة، فينبغي ألا ينكر من قصر فهمه عن إدراك حقائق الآيات ودقائق

الأحاديث على من رُزق فهمًا وأُلهم تحقيقًا. [تحفة الأحوذي].

واعلم أن **علم البيان**: هو علم يُعرف به إيراد المعنى الواحد بتراكيب مختلفة، في وضوح الدلالة على المقصود بأن تكون دلالة بعضها أجلى من بعض.

وموضوعه: اللفظ العربي من حيث وضوح الدلالة على المعنى المراد.

وغرضه: تحصيل ملكة الإفادة بالدلالة العقلية، وفهم مدلولاتها.

وغايته: الاحتراز عن الخطأ في تعيين المعنى المراد.

ومبادئه: بعضها عقلية؛ كأقسام الدلالات، والتشبيهات، والعلاقات. وبعضها وجدانية ذوقية؛ كوجوه التشبيهات، وأقسام الاستعارات، وكيفية حسنها.

وعلم التدبر هو التفكر الشامل في كلام الله تعالى الموصل إلى أواخر دلالات الكلم ومراميه البعيدة.

يقول ابن عاشور رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إنه التفكر والتأمل الذي يبلغ به صاحبه معرفة المراد من المعاني، وإنما يكون ذلك في كلام قليل اللفظ كثير المعاني التي أُوْدِعَت فيه؛ بحيث كلما ازداد المتدبر تدبرًا انكشف له معانٍ لم تكن له بادئ النظر. [التحرير (٢٣/ ٢٥٢)].

فسلكت هذا الطريق واستنبطت فوائد وزوائد فريدة من الحِكَم والدلالات النفيسة من رؤى هذه السورة، وعَضَّدت ذلك بإيضاح تلكم الدلالات من أحداث قصته، وأيضًا من مواضع أخرى من القرآن والسنة النبوية، وزدت في ذلك بعض الرؤىٰ التي حكمتُ عليها وجرى ذلك الحكم، وكذلك عند الاطلاع على الفائدة تجدها تُنَمِّي القلب والروح في كيفية التدبر في كلام رب العالمين.

وزِدْتُّ في ذلك من الطب وغيره من العلوم الشرعية مما فتح الله عليَّ من دُرٍّ نفيس

وهي من نُذُر النُّذر -إن شاء الله تعالى-، وهذا من فضل الله عليَّ نسأله بها الإخلاص، وأن يسدّدنا ويوفقنا لمرضاته فإن العُجب هدّام.

وقصة يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ تَحدَّثَ عنها أكثر من مفسر وأديب وباحث، ولكن تجد كلام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ له ملاحة في استنباطه؛ فتجده في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِى ٱلْمَدِينَةِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفْسِهِۦ ۖ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ۖ إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾﴾ [يوسف].

فقال: هذا الكلام متضمن لوجوه من المكر:

أحدها: قولهن: ﴿ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا﴾ [يوسف:٣٠]، ولم يسموها باسمها، بل ذكروها بالوصف الذي ينادى عليها بقبيح فعلها بكونها ذات بعل، فصدور الفاحشة من ذات الزوج أقبح من صدورها ممن لا زوج لها.

الثاني: أن زوجها عزيز مصر ورئيسها، وكبيرها، وذلك أقبح لوقوع الفاحشة منها.

الثالث: أن الذي تراوده مملوكًا لا حرًّا، وذلك أبلغ في القبح.

الرابع: أنه فتاها الذي هو في بيتها، وتحت كنفها، فحكمه حكم أهل البيت، بخلاف من تطلب ذلك من الأجنبي البعيد.

الخامس: أنها هي المراوِدة الطالبة.

السادس: أنها قد بلغ بها عشقها له كل مبلغ حتى وصل حبها له إلى شغاف قلبها.

السابع: أن في ضمن هذا أنه أعف منها، وأبر وأوفى، حيث كانت هي المراوِدة الطالبة، وهو الممتنع، عفافًا وكرمًا وحياء، وهذا غاية الذم لها.

الثامن: أنهن أتين بفعل المراودة بصيغة المستقبل الدالة على الاستمرار، والوقوع حالًا واستقبالًا، وأن هذا شأنها، ولم يقلن: (راودت فتاها). [إغاثة اللهفان (٢/ ١١٥)].

وفرق بين قولك: فلان أضاف ضيفًا، وفلان يقري الضيف، ويطعم الطعام، ويحمل الكل، فإن هذا يدل على أن هذا شأنه وعادته .... وله بقية.

قال أبو الربيع الطاهري: وما جرى من نسوة المدينة من تقطيع أيديهن دلالة على أن امرأة العزيز كانت أرجحهن عقلًا، وذلك لم يحصل منها كما حصل منهن بصورة مباغته، وإن كانت قد راودته عن نفسها لكن هذا بطلب منها، والله أعلم.

وإذا تأملت "تفسير" ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في رؤيا الملك وغيره من المفسرين لوجدت لهم وقفات على من سبق من أهل العلم.

والمقصود: أنه ينبغي علينا أن نسلك هذا الطريق؛ بل قد أمرنا الله به، وهو التدبر في آياته وفهمها ودراستها واستنباط حِكَمه ولطائفه إن وُفقت لذلك، وبقدر نيّة المرء يكن له ذلك، ومن حكمته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أن هناك من الحِكَم ما ظهر لنا وخفي على غيرنا، وهناك ما خفي علينا وظهر لغيرنا، وهناك حِكَم تظهر في وقت آخر، وهناك أمور يخفيها الله لحكمة نحن لا نعلمها، فإن الله قد يُلهم طالب العلم ويفتح الله عليه مالم يفتح على شيخه، فتجد إخوانه في السهول وهو في الصحاري أينما حفر بحثًا عن الماء نبع، فتجده من النُّدُر، وقلمه مصداقًا لقوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ مِنَ الْبَيَانِ لَسِحْرًا**». [رواه البخاري، برقم: (٥١٤٦)]، وهذا فضل الله يؤتيه من يشاء من عباده، فعلينا أن نشمر عن ساعد الجد، ونمعن النظر والتفكر في كلام رب العباد، وسنة نبيه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ، ونسأل الله الإخلاص في ذلك.



المبحث الأول: عِلم وعَلَم قائم

لنتحدث وباختصار عن مكانة علم التعبير:

اعلم أن كلام الله تعالى منه أمر، ومنه نهي، ومنه عبرة وعظة، -ولابد من الإخلاص قبل ذلك عند دراسته وفهمه وتعلّمه والعمل به، فإنه صلاح الدنيا والآخرة-، وما كان منه عبرة وعظة هو ترغيب وترهيب للنفوس بالأمر والنهي، ولما كانت العلوم الشرعية كالعقيدة وعلم الحديث والفقه وغير ذلك يعود مصدرها من الوحيين كان علم الرؤيا له نصيب في تلك العلوم، فإذا فتشت في العقيدة تجد قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ۝٣﴾ [البقرة].

فالرؤيا من علم الغيب، فمن يؤمن بها كان مؤمنًا صادقًا على منهج أهل السنة، وذلك من صُلب العقيدة، ولا ينكر ذلك إلا جاهلٌ أو صاحبُ هوى، وإذا فتشت في الحديث تجد قوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: «**رُؤْيَا الْمُسْلِمِ وَهِيَ جُزْءٌ مِنْ أَجْزَاءِ النُّبُوَّةِ**». [رواه الترمذي، برقم: (٢٢٧٢)، وقال الألباني: صحيح]، وغير ذلك من الأحاديث،

وإذا فتشت في الفقه تجد أقسامها، فمنها حق، وهي صحيحة، ومنها حديث نفس، ومنها من عبث الشيطان، ولا يعتبران لفسادهما، كما جاء من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ قال: «**الرُّؤْيَا ثَلَاثٌ: حَدِيثُ النَّفْسِ، وَتَخْوِيفُ الشَّيْطَانِ، وَبُشْرَى مِنَ اللهِ**». [رواه البخاري، برقم: (٧٠١٧)]، وإذا فتشت في السيرة تجد بدء نبوة نبينا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ كانت بالرؤيا، فكان لا يرى رؤيا في نومه إلا جاءت كفلق الصبح، ثم بدأ نزول الوحي عليه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ، فعن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا أنها قالت: **أَوَّلَ مَا بُدِئَ بِهِ رَسُولُ اللهِ** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ **الرُّؤْيَا الصَّادِقَةُ فِي النَّوْمِ، فَكَانَ لاَ**

يَرَى رُؤْيَا إِلَّا جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ. [رواه البخاري، برقم: (٤٩٥٣)]، وفي رواية مسلم: **الرُّؤْيَا الصَّادِقَةُ**.

قال ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: هذا ظاهر في أن الرؤيا الصادقة كانت قبل أن يُحَبّب إليه الخلاء، ويحتمل: أن تكون لترتيب الأخبار، فيكون تحبيب الخلوة سابقا على الرؤيا الصادقة، والأول أظهر. [الفتح (٨/ ٧١٧)].

وقال النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قال القاضي رَحِمَهُ ٱللَّهُ وغيره من العلماء: إنّما ابْتُدِئ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ بالرؤيا لئلا يفجأه الملك ويأتيه صريح النبوة بغتة فلا يحتملها.. فبُدِئ بأوّل خصال النّبوّة وتباشير الكرامة من صدق الرّؤيا. [شرح مسلم (٢/ ١٩٨)].

وقال ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ في "فتح الباري" (١/ ٢٣)-: بدئ بالرؤيا الصادقة ليكون تمهيدا وتوطئة لليقظة. اهـ

وفي حال مرض موته صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ عن عبد الله بن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال: كشف رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ الستر ورأسه معصوب في مرضه الذي مات فيه، فقال: «**اللهُمَّ هَلْ بَلَّغْتُ**»، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، «**إِنَّهُ لَمْ يَبْقَ مِنْ مُبَشِّرَاتِ النُّبُوَّةِ إِلَّا الرُّؤْيَا يَرَاهَا الْعَبْدُ الصَّالِحُ أَوْ تُرَى لَهُ**»، [رواه مسلم، برقم: (٤٧٩)]، وهنا بثّ فيهم الخير لأمر سيظل حتى قيام الساعة، وهو جزء من خيرات النبوة، وحديثه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ في مرض موته وكذلك قوله لعائشة -رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا-: «**إِنَّكُنَّ صَوَاحِبُ يُوسُفَ، مُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ**». [رواه البخاري، برقم: (٦٦٤)، ومسلم، برقم: (٤١٨)]، وإن كان تفسيره على وجه آخر لكن توافق في الوقت الحرج وهو عند اقتراب أجله وذلك لقدر علم الرؤيا ومكانته، وبثّ الفأل لكيلا يحزنوا بفقدانه، والله أعلم.

ومن السيرة أيضًا سورة يوسف ففيها من الجامع لعلومٍ وحِكمٍ تطيب بها الروح



والبدن وحب للقلم، وعلى هذا فقس في سائر العلوم الشرعية مما يستأنس بها العبد.

قال ابن واصل الظبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إذا أحب الله عبدًا عاتبه في المنام، أي: زاجرة للمذنب، ومحفزة لليائس. اهـ

واعلم أن العلماء كالنجوم لهداية الناس، وهذا التشبيه جاء في الكتاب والسنة، وسيأتي بيان ذلك.

يقول أبو سعيد الواعظ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لما رأيت العلوم تتنوع أنواعًا: منها ما ينفع في الدنيا دون الدين، ومنها ما ينفع فيهما جميعًا، وكان علم الرؤيا من العلوم النافعة دينًا ودنيا استخرت الله تعالى في جمع صدرٍ منه. اهـ

وهذا إنما يدل على أهميته وشرفه، ولأصالة هذا العلم وأهميته اهتم به علماء الحديث بإفراده في مصنفاتهم، فالإمام البخاري عقد في كتابه "الصحيح" كتابًا كاملًا بعنوان: **كتاب التعبير**. ضمَّنه ثمانية وأربعين بابًا، وتحديده لهذا العدد دال على ذكائه وجعل فيها تسعة وتسعين حديثًا، والإمام مسلم سماه: **كتاب الرؤيا**، ذكر فيه خمسة أبواب، وتسعة وثلاثين حديثًا مع المكرر، والأئمة كأبي داود والترمذي وابن ماجه والنسائي ومالك والدارمي وابن أبي شيبة وعبدالرزاق، وكذلك الإمام البغوي في شرح السنة، وهذا الإمام لو أمعنت في أبواب كتابه التي أمام باب الرؤيا والتي من بعده مع شرحه لأدركت غزارة علمه وحدَّة ذكائه، فتفطن لذلك، وفي تأريخ ابن كثير عندما وصف بغداد في زمن رفعتها مما نقله عن المؤرخين القدامى وكلامهم أو نحوه: فقد كانت تقام فيه علوم العقيدة وتعلم تعبير الرؤيا. اهـ

وقد ذكر ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ أيضًا عن بعض السلف في القرن الثاني أو الثالث وهو يترجم عنه أنه حفظه في ليلة، أعني علم التعبير!

قلت: همم كالقمم.

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ -بعد أن ذكر مراتب قلم الوحي الذي أقسم الله به ومنها-:

القلم التاسع: قلم التعبير: وهو كاتب وحي المنام، وتفسيره وتعبيره، وما أُريد منه، وهو قلم شريف جليل، مترجم للوحي المنامي، كاشف له، وهو من الأقلام التي تصلح للدنيا والدين، وهو يعتمد طهارة صاحبه ونزاهته وأمانته، وتحرّيه للصدق والطرائق الحميدة، والمناهج السديدة مع علم راسخ، وصفاء باطن، وحسّ مؤيد بالنور الإلهيّ، ومعرفةٍ بأحوال الخلق، وهيئاتهم وسيرهم، وهو من ألطف الأقلام، وأعمّها جولانًا، وأوسعها تصرفًا، وأشدها تشبثًا بسائر الموجودات، علويّها وسُفليِّها، وبالماضي والحال والمستقبل، فتصرُّف هذا القلم في المنام هو محلُّ ولايته، وكرسيُّ مملكته وسلطانه. انتهى كلامه البديع النفيس. [التبيان (١/ ٣٠٨)].

قال أبو الربيع الطاهري- سدّده الله-: ما ذكره رَحِمَهُ ٱللَّهُ يتطلب منا شرحًا واسعًا لما يحمل من معانٍ وفوائد نفيسة إن شاء الله تعالى، والله أسأل أن ييسر لي جمع كلامه في علم الرؤيا من جميع مصنفاته في كتاب مفرد مع تعليقي عليه.

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فإن علم التعبير من العلوم المهمة التي يعطيها الله لمن يشاء من عباده. [التفسير (٤٠٧)].

وعن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ كان إذا انصرف من صلاة الغداة يقول لأصحابه: «**هَلْ رَأَى أَحَدٌ مِنْكُمُ اللَّيْلَةَ رُؤْيَا**». الحديث. [رواه أبو داود، برقم: (٥٠١٧)].

قال ابن عبد البر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وهذا الحديث يدل على شرف علم الرؤيا وفضلها؛ لأنه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ إنما كان يسأل عنها لتقص عليه، ويعبرها وليعلم أصحابه كيف الكلام في تأويلها، وقد أثنى الله جَلَّ جَلَالُهُ على يوسف بن يعقوب عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وعدّد عليه فيما عدّد من النعم التي آتاه: التمكين في الأرض، وتعليم تأويل الأحاديث، وأجمعوا على أن ذلك تأويل الرؤيا، وكان يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أعلم الناس بتأويلها، وكان نبينا محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ نحو ذلك، وكان أبو بكر الصديق من أعبر الناس لها، وحصل لابن سيرين فيها التقدم العظيم، والطبع، والإحسان، وكذلك كان سعيد بن المسيب. [الاستذكار (٨/ ٤٥٦)].

ويقول ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وأما الرؤيا وتأويلها فباب لا ينضبط له حدٌّ، وقد يكون تأويلها لا يشبهها إلا بوجه بعيد، لا يُهتدى له إلا حذاق المعبّرين. اهـ [بغية المراد (٣٢٠)].

ولدقة هذا العلم وخفيِّ مدركه، أُتُّهِم من فاق فيه بأن له رئيًا من الجن، وليس بذلك.

قلت: وجرى الدفاع من ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ على شيخه الشهاب العابر ممن انتقده بأن له رئيًا من الجن، وقد كان إمام من الأئمة.

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وعنده كتاب في الأحكام كتاب نفيس أو كلام نحوه، وقد تخرّج على يديه أئمة مشهورين. اهـ

وقال القرافي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: اعلم أن تفسير المنامات قد اتسعت تقييداته، وتشعبت تخصيصاته، وتنوعت تعريفاته. اهـ[الفروق (٤/ ٢٤٩)].

قلت: وعلم التعبير منذ عهد أبينا آدم حتى قيام الساعة لم يُنسَ أو تُنسخ أصوله

كليةً أو جزئيةً، بل يتوافق وينمو في كل زمان ومكان، وهذا دال على أهميته وشرفه وعلو مكانته منذ ذلك الوقت، بل كان الناس يقولون: إن أصل الطب من المنامات...، وجاء في السُنَّة ما يُعضّد هذا الأمر، واعلم أنه لا يخضع لأقيسةٍ مطردةٍ يمكن تقعيدها وتقييدها وضبطها على وجه العموم.

يقول ابن قتيبة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كل علم يطلب فأصوله لا تختلف ومقاييسه لا تتغير والطريق إليه قاصد، والسبب الدال عليه واحد، عدا التأويل فإن الرؤيا تتغير عن أصولها. اهـ

وقال القرافي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وعلم المنامات منتشرٌ انتشارًا شديدًا، لا يدخل تحت ضبط، فلا جَرَمَ إذا احتاج الناظر فيه مع ضوابطه وقرائنه إلى قوة من قوى النفوس المعينة على الفراسة والاطلاع على المغيبات، بحيث إذا توجه الحرز إلى شيءٍ لا يكاد يخطئ بسبب ما يخلقه الله تعالى في تلك النفوس من القوة المعينة على تقريب الغيب، أو تحققه كما قيل في ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا: إنه كان ينظر إلى الغيب من وراء ستر رقيق. اهـ[الفروق (٤/ ٢٤٩)].

قلت: ويعضد ذلك دعاء النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ له بأن يفقهه في الدين ويعلّمه التأويل، وينبغي لطالب العلم ألَّا يُهمل هذا الدعاء.

والمقصود: أن هذا العلم من جملة العلوم الدقيقة، التي لا تتحملها ولا تستوعب دقائق مسائلها بعض القلوب بسبب جهلهم أو بسبب مرضهم من طبعهم ومزاجهم الغليظ الرديء، وقد اتهموا ابن تيمية بل بعضهم كفّره، وهذا لتحجر عقولهم وتيبس طبائعهم، ولذا احرص على ما ينفعك واستعن بالله تعالى ولا تعجز، ولا يجرمنك شنآن قوم على ألَّا تعدل، فاصبر وتصبّر وتوكل على الحي القيوم العلي العظيم.

وكتبت محاولة شعرية ولست بشاعرٍ عندما بدأت بتعلم هذا العلم.

قلت:

كن للرؤى يا صاح ذا إحساس   يســهل عليــك صــياغه بقيــاس



المبحث الثاني: جزءًا من النبوة

والفرق بين تعبير الرؤيا والكهانة:

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: عبارة الرؤيا، فإن العبد إذا نفذ فيها، وكمل اطلاعه جاء بالعجائب، وقد شاهدنا نحن وغيرنا من ذلك أمورًا عجيبة، يحكم فيها المعبر بأحكام متلازمة صادقة سريعة وبطيئة، ويقول سامعها: هذه علم غيب.

وإنما هي معرفة ما غاب عن غيره بأسباب انفرد هو بعلمها، وخفيت على غيره والشارع صلوات الله عليه حرم من تعاطي ذلك ما مضرته راجحة على منفعته، أو ما لا منفعة فيه، أو ما يخشى على صاحبه أن يجره إلى الشرك، وحرم بذل المال في ذلك، وحرم أخذه به؛ صيانة للأمة عما يفسد عليها الإيمان أو يخدشه، بخلاف علم عبارة الرؤيا، فإنه حق لا باطل؛ لأن الرؤيا مستندة إلى الوحي المنامي، وهي جزء من أجزاء النبوة؛ ولهذا كلما كان الرائي أصدق كانت رؤياه أصدق، وكلما كان المعبر أصدق، وأبر وأعلم كان تعبيره أصح، بخلاف الكاهن والمنجم، وأضرابهما ممن لهم مدد من إخوانهم من الشياطين؛ فإن صناعتهم لا تصح من صادق ولا بار، ولا متقيد بالشريعة، بل هم أشبه بالسحرة الذين كلما كان أحدهم أكذب وأفجر وأبعد عن الله ورسوله ودينه كان السحر معه أقوى وأشد تأثيرًا، بخلاف علم الشرع والحق، فإن صاحبه كلما كان أبر وأصدق وأدين كان علمه به ونفوذه فيه أقوى، وبالله التوفيق. [زاد المعاد (٥/ ٧٠١-٧٠٠)].

قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ: «**الرُّؤْيَا الحَسَنَةُ، مِنَ الرَّجُلِ الصَّالِحِ، جُزْءٌ مِنْ سِتَّةٍ وَأَرْبَعِينَ جُزْءًا مِنَ النُّبُوَّةِ**». [رواه البخاري، برقم: (٦٩٨٣)].

ومعلوم أن من رأى رؤيا لا يكون نبيًا بذلك.

قال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فلا ريب أن الشيء يكون جزءًا من النبوة أو الإيمان، ويكون من أصغر الشعب والأجزاء، كإماطة الأذى في الإيمان، أو كالرؤيا في النبوة... وإذا كان بعض أجزاء النبوة يحصل لآحاد المؤمنين وليس هو نبيًا. [الصفدية (١/ ٢٣٥-٢٣٦)].

فإن قيل: من رُزق علم التعبير وفتح الله عليه بذلك، واطلع على بعض الغيب، من خلال تفسيره للرؤيا، هل يكون لديه جزءٌ من النبوة بهذا الاعتبار؟ وليس بنبي لأن النبوة لا تكتسب، وقد ضلّ في هذه المسألة الفلاسفة، كابن سينا وغيره، وصار كثير منهم يطلب أن يكون نبيًا.



المبحث الثالث: جُبة الاصطفاء

وكما أن الله ميّز الشمس والقمر عن سائر الكواكب كان كذلك في أحوال المعبرين فهم في مضمار التعبير على مراتب، وسيأتي تفصيل ذلك، والقابلية والصفات للمعبر جاءت مختصرة من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**لاَ تُقَصُّ الرُّؤْيَا إِلَّا عَلَى عَالِمٍ أَوْ نَاصِحٍ**». [رواه الترمذي، برقم: (٢٢٨٠)]، وفي حديث آخر «**وَلَا يُحَدِّثُ بِهَا إِلَّا لَبِيبًا أَوْ حَبِيبًا**». [رواه، الترمذي، برقم: (٢٢٧٨)]، فاللبيب هو الذي يتفطن لها، وهو العالم كما في الحديث الأول، والحبيب هو الذي يحب لك الخير وهو الناصح، فالأمر خطير لمن يتصدر للتعبير؛ لأنه فتوى، وأحوال المعبرين مختلفة وهم:

هناك من يعبر الرؤيا على ما تيسر له فهمه، ويغض الطرف عما يجهل، فلم يزد ولم ينقص بما هو عليه في فك الرموز بقواعد مخصوصة في ذهنه، وطريقته خطأ، وهذا يسمى: **مقتصد**، وهو في آخر المضمار.

ومنهم يكتسب من القراءة لكتب التعبير وحفظه لتعبير بعض الرؤىٰ وحكم عليها بالعموم، وهذا خطأ، وهذا يسمى: **مستند**، وهو في آخر المضمار.

ومنهم من يكون ملهمًا لكنه مجردا عن العلم، فتجده تارة يُلهم، وتارة يوسوس له، فيخلط بين الإلهام والوسوسة، ولا يملك آلية التمييز، وهذا خطأ، وهو في آخر المضمار، ويسمى: **مستمد**.

وهناك صنف يعتبر أن كل الرؤىٰ حديث نفس، وأن التعبير خُرافات وتُراهات، ولا يقبل الدليل من الكتاب والسنة، وهذا يسمى: **مبتعد**؛ لأنه بعيد عن الحق، وهو

خارج المضمار، وهؤلاء الأربعة لا يدخلون في رتبة الكواكب؛ لأنهم بلا هداية من أدلة شرعية لكي يُهتدى على أيديهم.

وأما الحال الخامس: **المجتهد** وهو في مقدمة المضمار بذل فحصَّل بذل في طلب العلم الغالي والنفيس، فحصل على العلم بأحوال الرؤىٰ وأقسامها وفقه تنزيلها، فكان هو العالم الناصح الذي أخبرنا به نبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ في الحديث المتقدم ذكره، وقد يقتصد أحيانًا المجتهد فيهمل بعض الرموز ليس لجهله وإنما لعلمه أن الخير للرائي هو التغافل عنها، كما جرى من النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ في قصة عبارة أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ للرؤيا، وكونه مجتهدًا فالساحة ساحته، فإن اقتصد إنما اقتصد بعلم، وإن استمد فبعلم، وإن استند فبعلم، ولن يبتعد بإذن الله تعالى، ويزيد المجتهد جمالًا إن رزقه الله فراسةً وإلهامًا وحبًا لتعلم التعبير مع روحٍ مرهفةٍ ونظرٍ وتقوى وحدّة ذكاء وسعة في الحفظ، وربما يعينه الله بمَلَك يقذف التعبير في روعه، فتجده يعبر الرؤيا من أول وهلة، وإن تأخر فإنه يصيب أو يأتي بأمور عجيبة وغريبة من تعبير المنام؛ ومثل هذا من النُّدُر، وهذه هبة الله يهبها الله تعالى لمن يشاء من عباده.

والمجتهد على درجات مختلفة كما هو حاصل من تفضيل الكواكب، وخلاصة هذه الدرجات: عُمْر الخبرة، كثرة بذل الجهد، تأثير الوظيفة على سلوكيات المعبر.

ويخرج من هذه الأحوال المعبر الكافر والفاسق والكاهن.

قال الشيخ سليم الهلالي -لأبي الربيع الطاهري-: يا بني إن علم التعبير قلَّ علماؤه وقلَّ أهله المختصون به الذين هم على منهج السلف الصالح، وكثر الأدعياء والتجّار في هذا الأمر. اهـ

وإذا نظرنا إلى حال ابن سيرين وهو يوسف هذه الأمة في التعبير ولا أعني من حيث حسن الوجه، فقد كان في الحُسن الصحابي الجليل اليماني جرير بن عبد الله البجلي فيه من يوسف، قال عنه عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: جرير يوسف هذه الأمة. ومع حسن صورته فلم يزده ذلك إلا عفة وصلاحًا، ولهذا يسأل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ عن النظرة الفجأة، وهذا من حرصه على تدقيق الأمور رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فقد ذكر أهل العلم أن ابن سيرين كانت تأتيه أكثر من مائة رؤيا، وينتظر الساعات ولا يعبر إلا بضعًا منها، وهذا يدل على زهده وورعه، وأين نحن منه؟!

وأما ما يذكره البعض بأن تعبير الرؤيا يسلكه حتى المجنون ونحوه؛ فقد أبعد النجعة، ومثل هذا الكلام إنما يدل على عدم فقه صاحبه، فإن هذا العلم نفيس لا يوافق إلا روحًا شفافة نقية صاحب تقوى وبصيرة وعلم، وأين المجنون والفاسق والكاهن من هذا؟!

ولا يسعنا المقام هنا للحديث عن قدر هذا العلم، والمقصود من كتابنا التحرير هو التدبر وحسن الاستنباط في آيات الله، وأيضًا عُدّة للعابر ليسهل عليه العبور، وزيّنّاها بعلوم أخرى، ووجدنا ذلك في رؤى سورة يوسف كونها بدأت برؤيا وانتهت بذلك، وهناك من أَلّفَ في فوائد شتّى من سورة يوسف، وليست كلها في علم الرؤيا إلى أكثر من ألف فائدة، وهذا إن دل فإنما يدل على محملها النفيس، والله أعلم.





الباب الثاني:
سورة يوسف





تمهيد:

بدأت بكتابة التحرير في شهر شوال من سنة اثنتين وأربعين وأربعمائة وألف من الهجرة النبوية، وهي السنة الرابعة أو السادسة من سني الشدة والجدب حلّت على اليمن بسبب الخوارج، وخروج العباد عن الاستقامة، فكثر فيها الهرج والمرج، وقد كان أهلها في خير، واليمن لا يؤتى من قِبل شدته، وإنما من قبل راحته، ولنا في سبأ عظة وعبرة، والله المستعان.

ولنبدأ في تفسير الآيات الأولى من سورة يوسف مما ذكره أهل التفسير.



المبحث الأول: سورة يوسف

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ١ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ٢ نَحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ أَحۡسَنَ ٱلۡقَصَصِ بِمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبۡلِهِۦ لَمِنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ ٣﴾ [يوسف].

وفيها من الحِكَم:

قال أبو الربيع الطاهري -غفر الله له ولوالديه وللمؤمنين-: اختلف أهل العلم في سبب نزول سورة يوسف، وهي مكية كما ذكر أهل العلم على الصحيح، كما في تفسير ابن كثير، ولما كان أول أمر النبوة هي الرؤيا كانت سورة يوسف وما فيها من رؤى؛ أول رؤيا نزلت في القرآن الكريم، وفي مكة في بادئ الإسلام، وهذا إن دل فإنما يدل على قدرها وأهميتها، خصوصًا عند إقامة قواعد الدين للناس في أوله أمره، وهي إشارة لأهمية الرؤىٰ في الدين والعقيدة، وإصلاح أمور الناس، وإنارة طريقهم، والمتأمل في الأحداث والسور المكية يجد أغلبها فيها من الحكمة والتوعية والإرشاد السديد، وينبغي لطالب العلم أن يتفطن لذلك.

ورؤيا يوسف عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ من القصص القرآنية ولمّا جعل الله تعالى ليوسف عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ شطر الجمال كانت رؤياه من أجمل القصص في سورة يوسف، بل ويتلو ذلك تعبيره الجميل البديع في الرؤىٰ المذكورة في السورة، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء من عباده، بل ومثل رؤياه يراها في الغالب من كان ذا روح حسنة، وكان نزول سورة يوسف على رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓ آلِهِۦوَسَلَّمَ من عوامل الترسيخ،

والمواساة، وتخفيف الآلام والأحزان في مرحلة الشِدَّة والوحدة، وذهب من كان يُسانده وهو وفاة عمه أبي طالب وزوجته خديجة بنت خويلد رَضِيَٱللَّهُعَنهَا في مكة فقد كانت خير سند، وكما قيل: **وراء كل رجل عظيم امرأة.**

فلها اليد الطولى عند بدء بعثته ومن قبل ومن بعد.

وإذا تأملت إلى أحداث السورة وحال نبينا صَلَّىٱللَّهُعَلَيهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ وصحبه تلك المدة من الوقت، وهم في مكة لوجدت أن أغلب أعداء الدين في تلك المدة هم من الأقارب سواء لدى النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ أو صحبه رضوان الله عليهم، وسورة يوسف تحكي عداوة الأقارب والمعارف، فكانت السورة تخفيفًا للعبء والظلم الذي جرى من قِبل أعداء مكة، وكأنها تحكي في الأخير مصير هذا الدين بالرفعة وإن جرى ما جرى من العداوة والمكر، والله أعلم.

ذكر ابن كثير رَحِمَهُٱللَّهُ في "تفسيره": روى البيهقي في الدلائل أن طائفة من اليهود حين سمعوا رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ يتلو هذه السورة أسلموا لموافقتها ما عندهم، وهو من رواية الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس.

أما الكلام على الحروف المقطعة فقد تقدم في أول سورة البقرة.

وقوله: ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [يوسف:١] أي: هذه آيات الكتاب، وهو القرآن ﴿ٱلْمُبِينِ ۝١﴾ أي: الواضح الجلي، الذي يفصح عن الأشياء المبهمة ويفسرها ويبينها.

﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝٢﴾ [يوسف]، وذلك لأن لغة العرب أفصح اللغات وأبينها وأوسعها، وأكثرها تأدية للمعاني التي تقوم بالنفوس؛ فلهذا أنزل أشرف الكتب بأشرف اللغات، على أشرف الرسل، بسفارة أشرف الملائكة،



وكان ذلك في أشرف بقاع الأرض، وابتدئ إنزاله في أشرف شهور السنة وهو رمضان، فكمل من كل الوجوه.

قلت: لم يبدأ سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ بذكر قصة يوسف عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ورؤياه على وجه المباشرة، ولعل الحكمة أن السامع للقصة ونحوها الرؤيا وعبور العابر كثيرًا ما تجد من الجاهل أو المكابر عدم قبول ذلك، وأُمرنا أن نحدث الناس بما يعرفون، ولهذا يتوجب عليك أن تتكلم على حسب فهم عقولهم.

وقال العلامة أبو الطيب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أي: عاملوا كل أحدٍ بما يلائمه منصبه في الدين والعلم والشرف.

وقال ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ: مَا أَنْتَ بِمُحَدِّثٍ قَوْمًا حَدِيثًا لَا تَبْلُغُهُ عُقُولُهُمْ إِلَّا كَانَ لِبَعْضِهِمْ فِتْنَةً. [رواه مسلم في المقدمة (١/ ١١)].

وقد نُهينا أن نحدث الناس بما لا تفهمه عقولهم لما في ذلك من فتنة وخصوصًا التأويل، ولهذا من القواعد الكبرى في التأويل للمنام أن تحكم حسب حاله ولغته وتعطه بقدر ما يليق به، فتنبّه لذلك.

وعن هشام بن عروة، قال لي أبي: ما حدَّثت أحدًا بشيءٍ من العلم قط لم يبلغه عقله إلّا كان ضلالًا عليه.

وسئل **ابن تيمية** رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن قائل يقول: إن لم يتبين لي ماهية الجن وكُنْه صفاتهم، وإلا فلا أتبع العلماء في شيءٍ.

فأجاب: أما كونه لم يتبين له كيفية الجن وماهياتهم؛ فهذا ليس فيه إلا إخباره بعدم علمه لم ينكر وجودهم؛ إذ وجودهم ثابت بطرق كثيرة غير دلالة الكتاب والسنة فإن من الناس من رآهم وفيهم من رأى من رآهم وثبت ذلك عنده بالخبر

واليقين، ومن الناس من كلمهم وكلموه ومن الناس من يأمرهم وينهاهم ويتصرف فيهم؛ وهذا يكون للصالحين وغير الصالحين ولو ذكرت ما جرى لي ولأصحابي معهم لطال الخطاب، وكذلك ما جرى لغيرنا؛ لكن الاعتماد على الأجوبة العلمية يكون على ما يشترك الناس في علمه لا يكون بما يختص بعلمه المجيب إلا أن يكون الجواب لمن يصدقه فيما يخبر به. اهـ[مجموع الفتاوى (٤/ ٢٣٢)]

ومن الحِكَم من الآية الثانية من السورة:

- عليك أن تعرف عن أحوالهم لكي يتم القبول منك ويسهل عليك ذلك، وأن يكون المتكلم حسب لغتهم.

- **ومنها**: أن العقل مكانه في القلب وله اتصال بالدماغ، قال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴿٤٦﴾﴾ [الحج].

- **ومنها**: أن السمع والبصر من أقوى الجوارح تأثيرًا على القلب.

- **ومنها**: أن العاقل لا يكون عاقلًا حتى يدرك ويميّز بما يقوم به، وأما من استمر في جحده وبغيه فليس بعاقل وإن عُمّر قرنًا، ولهذا قال بعض السلف: إذا رأيت الرجل جاوز الأربعين ولا يعرف خيره من شره؛ فانفض يديك.

- **ومنها**: أن القصة لها تأثيرٌ سريعٌ على القلوب، وهذا التأثير إن لقي قلبًا صادقًا تمكنت منه، وإن وجد قلبًا قاسيًا صدَّها، أو يجد قلبًا مذبذبًا فيحصل التأثير ساعة ثم يضمحل، ولعل قص الرؤيا هو من أحسن القصص في القرآن، ودليله ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾[يوسف:٣]، وكان عقيب ذلك الرؤيا على وجه المباشرة، والله أعلم.

ثم ننتقل لتفسير ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في قوله تعالى: ﴿نَحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ أَحۡسَنَ ٱلۡقَصَصِ﴾ [يوسف:٣] الآية.

بسبب إيحائنا إليك هذا القرآن، وقد ورد في سبب نزول هذه الآيات ما رواه ابن جرير من حديث ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمَا قال: قالوا: يا رسول الله، لو قصصت علينا؟ فنزلت: ﴿نَحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ أَحۡسَنَ ٱلۡقَصَصِ﴾ [يوسف:٣] ، ورواه من وجه آخر، عن عمرو بن قيس مرسلًا، وقال أيضًا : حدثنا محمد بن سعيد العطار، حدثنا عمرو بن محمد، أنبأنا خلاد الصفار، عن عمرو بن قيس، عن عمرو بن مرة، عن مصعب بن سعد عن سعد قال: أُنزل على النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ القرآن، قال: فتلا عليهم زمانًا، فقالوا: يا رسول الله، لو قصصت علينا، فأنزل الله سُبۡحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ١﴾ إلى قوله: ﴿لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ٢﴾ ثم تلا عليهم زمانًا، فقالوا: يا رسول الله، لو حدثتنا، فأنزل الله سُبۡحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ﴾ [الزمر:٢٣] الآية، وذكر الحديث، ورواه الحاكم من حديث إسحاق بن راهويه، عن عمرو بن محمد القرشي العنقزي، به، وروى ابن جرير بسنده، عن المسعودي، عن عون بن عبد الله قال: مل أصحاب رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ ملة، فقالوا: يا رسول الله حدثنا، فأنزل الله سُبۡحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ﴾ [الزمر:٢٣]، ثم ملوا ملة أخرى، فقالوا: يا رسول الله حدثنا فوق الحديث ودون القرآن -يعنون القصص- فأنزل الله سُبۡحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ١ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ٢ نَحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ أَحۡسَنَ ٱلۡقَصَصِ بِمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبۡلِهِۦ لَمِنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ ٣﴾ [يوسف] فأرادوا الحديث فدلهم على أحسن الحديث، وأرادوا القصص

فدلهم على أحسن القصص. [تفسير ابن كثير (٤/ ٣١٤)].

ومما يناسب ذكره عند هذه الآية الكريمة المشتملة على مدح القرآن، وأنه كاف عن كل ما سواه من الكتب ما قال الإمام أحمد، برقم: (١٥١٥٦): حَدَّثَنَا سُرَيْجُ بْنُ النُّعْمَانِ، قَالَ: حَدَّثَنَا هُشَيْمٌ، أَخْبَرَنَا مُجَالِدٌ، عَنِ الشَّعْبِيِّ، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ، أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بِكِتَابٍ أَصَابَهُ مِنْ بَعْضِ أَهْلِ الْكُتُبِ، فَقَرَأَهُ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فَغَضِبَ وَقَالَ: «**أَمُتَهَوِّكُونَ فِيهَا يَا ابْنَ الْخَطَّابِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ جِئْتُكُمْ بِهَا بَيْضَاءَ نَقِيَّةً، لَا تَسْأَلُوهُمْ عَنْ شَيْءٍ فَيُخْبِرُوكُمْ بِحَقٍّ فَتُكَذِّبُوا بِهِ، أَوْ بِبَاطِلٍ فَتُصَدِّقُوا بِهِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ مُوسَى كَانَ حَيًّا، مَا وَسِعَهُ إِلَّا أَنْ يَتَّبِعَنِي**».

وقال الإمام أحمد، برقم: (١٥٨٦٤): حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، قَالَ: أَخْبَرَنَا سُفْيَانُ، عَنْ جَابِرٍ، عَنْ الشَّعْبِيِّ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ ثَابِتٍ، قَالَ: جَاءَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنِّي مَرَرْتُ بِأَخٍ لِي مِنْ قُرَيْظَةَ، فَكَتَبَ لِي جَوَامِعَ مِنَ التَّوْرَاةِ أَلَا أَعْرِضُهَا عَلَيْكَ؟ قَالَ: فَتَغَيَّرَ وَجْهُ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، قَالَ عَبْدُ اللهِ: فَقُلْتُ لَهُ: أَلَا تَرَى مَا بِوَجْهِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ؟ فَقَالَ عُمَرُ: رَضِينَا بِاللهِ رَبًّا، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ رَسُولًا، قَالَ: فَسُرِّيَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ قَالَ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَوْ أَصْبَحَ فِيكُمْ مُوسَى ثُمَّ اتَّبَعْتُمُوهُ، وَتَرَكْتُمُونِي لَضَلَلْتُمْ، إِنَّكُمْ حَظِّي مِنَ الْأُمَمِ، وَأَنَا حَظُّكُمْ مِنَ النَّبِيِّينَ**».

وأخرج الضياء، برقم: (١١٥)، من طريق الحافظ أبي يعلى الموصلي قال: حدثنا عبد الْغفار بن عبد الله بْنِ الزُّبَيْرِ، ثَنَا عَلِيُّ بْنُ مُسْهِرٍ، عَنْ عبد الرَّحْمَن بْنِ إِسْحَاقَ، عَنْ

خَلِيفَةَ بْنِ قَيْسٍ، عَنْ خَالِدِ بْنِ عُرْفُطَةَ، قَالَ: كُنْتُ جَالِسًا عِنْدَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إذ أُتِيَ بِرَجُلٍ مِنْ عَبْدِ الْقَيْسِ مَسْكَنُهُ بِالسُّوسِ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: أَنْتَ فُلانُ بْنُ فُلانٍ الْعَبْدِيُّ، قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: وَأَنْتَ النَّازِلُ بِالسُّوسِ، قَالَ: نَعَمْ، فَضَرَبَهُ عمر بقناة مَعَه، فقَالَ: مَالِي يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؟ فَقَالَ عُمَرُ: اجْلِسْ، فَجَلَسَ فقَرَأَ عَلَيْهِ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿الٓر ۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ۝١ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝٢ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ﴾ [يوسف: ١-٢] إلى قوله: ﴿لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ۝٣﴾ [يوسف] فقَرَأَ عَلَيْهِ ثَلاثًا وَضَرَبُه ثَلاثًا، فقَالَ لَهُ الرجل: مَالِي يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؟ فَقَالَ: أَنْتَ الَّذِي نَسَخْتَ كِتَابَ دَانِيَالَ؟ قَالَ: مُرْنِي بِأَمْرِكَ أَتَّبِعْهُ، قَالَ: انْطَلِقْ فَامْحُهُ بِالْحَمِيمِ وَالصُّوفِ الأَبْيَضِ، ثُمَّ لَا تَقْرَأْهُ وَلا تُقْرِئْهُ أَحَدًا مِنَ النَّاسِ، فَلَئِنْ بَلَغَنِي عَنْكَ أَنَّكَ قَرَأْتَهُ أَوْ أَقْرَأْتَهُ أَحَدًا مِنَ النَّاسِ لأُنْهِكَنَّكَ عُقُوبَةً، ثُمَّ قَالَ لَهُ: اجْلِسْ، فَجَلَسَ بَيْنَ يَدَيْهِ، فقَالَ: انْطَلَقْتُ أَنَا فَانْتَسَخْتُ كِتَابًا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ثُمَّ جِئْتُ بِهِ فِي أَدِيمٍ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: مَا هَذَا فِي يَدِكَ يَا عُمَرُ؟ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ كِتَابٌ نَسَخْتُهُ لِنَزْدَادَ بِهِ عِلْمًا إِلَى عِلْمِنَا، فَغَضِبَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ حَتَّى احْمَرَّتْ وَجْنَتَاهُ، ثُمَّ نُودِيَ بِالصَّلاةِ جَامِعَةً، فَقَالَتِ الأَنْصَارُ: أُغْضِبَ نَبِيُّكُمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ السِّلاحُ السِّلاحُ، فَجَاءُوا حَتَّى أَحْدَقُوا بِمِنْبَرِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: يَا أَيهَا النَّاسُ إِنِّي أُوتِيتُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ وَخَوَاتِيمَهُ، وَاخْتُصِرَ لِي اخْتِصَارًا، وَلَقَدْ أَتَيْتُكُمْ بِهَا بَيْضَاءَ نَقِيَّةً، فَلا تَتَهَوَّكُوا وَلا يَغُرَّنَّكُمُ الْمُتَهَوِّكُونَ، قَالَ عُمَرُ: فَقُمْتُ، فقلت: رَضِيتُ بِاللهِ، رَبًّا وَبِالإِسْلامِ، دِينًا وَبِكَ رَسُولا، ثُمَّ نَزَلَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ.

وقد رواه ابن أبي حاتم في تفسيره مختصرًا من حديث عبد الرحمن بن إسحاق به.

وهذا حديث غريب من هذا الوجه.

وعبد الرحمن بن إسحاق: هو أبو شيبة الواسطي، وقد ضعفوه وشيخه، قال البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لا يصح حديثه.

قلت: وقد روي له شاهد من وجه آخر، فقال الحافظ أبو بكر أحمد بن إبراهيم الإسماعيلي: أخبرني الحسن بن سفيان، حدثنا يعقوب بن سفيان، حدثنا إسحاق بن إبراهيم بن العلاء الزبيدي، حدثني عمرو بن الحارث، حدثنا عبد الله بن سالم الأشعري، عن الزبيدي، حدثنا سليم بن عامر، أن جبير بن نفير حدثهم: أن رجلين كانا بحمص في خلافة عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، فأرسل إليهما فيمن أرسل من أهل حمص، وكانا قد اكتتبا من اليهود صلاصفة فأخذاها معهما يستفتيان فيها أمير المؤمنين، ويقولون: إن رضيها لنا أمير المؤمنين ازددنا فيها رغبة، وإن نهانا عنها رفضناها، فلما قدما عليه قالا: إنا بأرض أهل الكتابين، وإنا نسمع منهم كلاما تقشعر منه جلودنا، أفنأخذ منه أو نترك؟ فقال: لعلكما كتبتما منه شيئا؟ قالا: لا، قال: سأحدثكما، انطلقت في حياة رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ حتى أتيت خيبر، فوجدت يهوديا يقول قولا أعجبني، فقلت: هل أنت مكتبي ما تقول؟ قال: نعم، فأتيت بأديم، فأخذ يملي عليَّ، حتى كتبت في الأكرع، فلما رجعت قلت: يا نبي الله، وأخبرته، قال: «**ائتني به**»، فانطلقت أرغب عن المشي رجاء أن أكون أتيت رسول الله ببعض ما يحب، فلما أتيت به قال: «**اجلس اقرأ عليَّ**»، فقرأت ساعة، ثم نظرت إلى وجهه فإذا هو يتلون، فتحيرت من الفَرَقِ، فما استطعت أجيز منه حرفا، فلما رأى الذي بي دفعه ثم جعل يتبعه رسمًا رسمًا فيمحوه بريقه، وهو يقول: «**لا تتبعوا هؤلاء، فإنهم قد هوكوا وتهوكوا**»، حتى محا آخره حرفا حرفا، قال عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: فلو علمت أنكما كتبتما منه شيئا جعلتكما نكالا لهذه الأمة! قالا: والله ما نكتب منه شيئا أبدا، فخرجا بصلاصفتهما فحفرا لها فلم يألوا أن يعمقا، ودفناها فكان آخر العهد منها.



وكذا روى الثوري، عن جابر بن يزيد الجعفي، عن الشعبي، عن عبد الله بن ثابت الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، بنحوه، وروى أبو داود في المراسيل، من حديث أبي قلابة، عن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ نحوه، والله أعلم. [تفسير ابن كثير (٤/٣١٦)].

وأما قوله تعالى: ﴿أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ﴾ [يوسف:٢] ليس المراد أنها أفضل قصة في القرآن، ولكن كما ذكر ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ومن هذا الباب ما في الكتاب والسنة من تفضيل القرآن على غيره من كلام الله: التوراة والإنجيل وسائر الكتب، وأن السلف كلهم كانوا مقِرِّين بذلك، ليس فيهم من يقول: الجميع كلام الله، فلا يفضل القرآن على غيره. اهـ[مجموع الفتاوى (١٧/١٨)].

قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِيَ﴾ [الزمر:٢٣] فأخبر أنه أحسن الحديث، وقال تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ٣﴾ [يوسف]، وأحسن القصص، قيل: إنه مصدر، وقيل: إنه مفعول به، وقيل المعنى: نحن نقص عليك أحسنَ الاقتصاص، كما يقال: نكلمك أحسن التكليم، ونبين لك أحسن البيان.

قال الزجاج: نحن نبين لك أحسن البيان، والقاصُّ الذي يأتي بالقصة على حقيقتها.

قال: وقوله: ﴿بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ﴾ [يوسف:٣] أي: بوحينا إليك هذا القرآن.

وعلى هذا القول فهو كقوله: نقرأ عليك أحسن القراءة، ونتلو عليك أحسن

التلاوة.

والثاني: أن المعنى: نقص عليك أحسن ما يُقصُّ، أي: أحسن الأخبار المقصوصات، كما قال في السورة الأخرى: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ﴾ [الزمر:٢٣]، وقال: ﴿وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلٗا ١٢٢﴾ [النساء].

ويدل على ذلك قوله في قصة موسى: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيۡهِ ٱلۡقَصَصَ﴾ [القصص٢٥]، وقوله: ﴿لَقَدۡ كَانَ فِي قَصَصِهِمۡ عِبۡرَةٞ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِۗ﴾[يوسف:١١١] المراد: خبرهم ونبأهم وحديثهم؛ ليس المراد مجرد المصدر، والقولان متلازمان في المعنى -كما سنبينه إن شاء الله تعالى-.

ولهذا يجوز أن يكون هذا المنصوب قد جمع معنى المصدر ومعنى المفعول به؛ لأن فيه كلا المعنيين، بخلاف المواضع التي يباين فيها الفعل المفعول به؛ فإنه إذا انتصب بهذا المعنى امتنع المعنى الآخر.

ومن رجح الأول من النحاة -كالزجاج وغيره- قالوا: القصص مصدر؛ يقال: قص أثره يقصه قَصصا، ومنه قوله تعالى: ﴿فَٱرۡتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصٗا ٦٤﴾ [الكهف]، وكذلك: اقتص أثره وتقصص، وقد اقتصصت الحديث: رويته على وجهه، وقد اقتص عليه الخبر قَصصا.

وليس القَصص -بالفتح- جمعَ قِصَّة -كما يظنه بعض العامة-؛ فإن ذلك يقال في قِصص -بالكسر- واحدة: قِصة، والقِصة: هي الأمر والحديث الذي يقص، فِعلة بمعنى مفعول، وجمعه قِصص بالكسر.

وقوله: ﴿نَحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ أَحۡسَنَ ٱلۡقَصَصِ﴾ [يوسف:٣] بالفتح، لم يقل أحسن القِصص -بالكسر-، ولكن بعض الناس ظنوا أن المراد أحسن القِصص بالكسر،

وأن تلك القصة قصة يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وذكر هذا طائفة من المفسرين.

ثم ذكروا: لِمَ سمِّيت أحسن القصص؟

فقيل: لأنه ليس في القرآن قصة تتضمن من العبر والحكم والنكت ما تتضمن هذه القصة. **وقيل:** لامتداد الأوقات بين مبتداها ومنتهاها.

وقيل: لحسن محاورة يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وإخوته وصبره على أذاهم وإغضائه عن ذكر ما تعاطوه عند اللقاء وكرمه في العفو.

وقيل: لأن فيها ذكر الأنبياء والصالحين والملائكة والشياطين والإنس والجن والأنعام والطير وسير الملوك والمماليك والتجار والعلماء والجهال والرجال والنساء ومكرهن وحيلهن، وفيها أيضا ذكر التوحيد والفقه والسير وتعبير الرؤيا والسياسة والمعاشرة وتدبير المعاش، فصارت أحسن القصص لما فيها من المعاني والفوائد التي تصلح للدين والدنيا.

وقيل: فيه ذكر الحبيب والمحبوب.

وقيل: أحسن بمعنى أعجب.

والذين يجعلون قصة يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أحسن القصص منهم مَن يعلم أنَّ القَصص بالفتح: هو النبأ والخبر، ويقولون: هي أحسن الأخبار والأنباء، وكثير منهم يظن أن المراد أحسن القِصص بالكسر، وهؤلاء جهَّال بالعربية، وكلا القولين خطأ، وليس المراد بقوله: ﴿ أَحۡسَنَ ٱلۡقَصَصِ ﴾ [يوسف:٣] قصة يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وحدها؛ بل هي مما قصه الله، ومما يدخل في أحسن القصص، ولهذا قال تعالى في آخر السورة ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِم مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡقُرَىٰٓۗ أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۗ وَلَدَارُ

ٱلْأَخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُواْ جَآءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَآءُۖ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١١٠﴾ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾﴾ [يوسف]، فبين أن العبرة في قصص المرسلين، وأمر بالنظر في عاقبة من كذبهم وعاقبتهم بالنصر.

ومن المعلوم أن قصة موسى وما جرى له مع فرعون وغيره أعظم وأشرف من قصة يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ بكثير كثير، و لهذا هي أعظم قصص الأنبياء التي تذكر في القرآن، ثنَّاها الله سُبْحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ أكثرَ من غيرها، وبسَطها وطوَّلها أكثرَ من غيرها، بل قصص سائر الأنبياء - كنوح وهود وصالح وشعيب وغيرهم من المرسلين- أعظم من قصة يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ، و لهذا ثنى الله تلك القصص في القرآن ولم يثنِّ قصةَ يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ؛ وذلك لأن الذين عادَوا يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ لم يعادُوه على الدين؛ بل عادَوه عداوةً دنيوية، وحسدوه على محبة أبيه له، و ظلموه فصبر واتقى الله، وابتلي -صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ- بمن ظلمه وبمن دعاه إلى الفاحشة فصبر واتقى الله في هذا...). اهـ [مجموع الفتاوىٰ (١٧/ ٢١)].

قلت: ولعل هذه السورة من أحسن القصص الملائمة للوقت الراهن يا محمد الذي أُذيت فيه من قِبل الأقارب ونحوهم، فهذه من أحسن القصص حسب الحال، والمتأمل يجد هذه اللفظة ﴿أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ﴾ [يوسف:٣] لم تبدأ في موضع آخر لقصة أخرى، وكأنها إشارة لشيء نفيس في هذه القصة، -ولا أقصد بهذا التفضيل ومعارضة كلام ابن تيمية-، ولكن هذه السورة تجد فيها نماء في البحث والتحري في المسائل، وأحداثها تعلمك كيفية حسن الاستدلال والحجة والبيان، ولا تنقطع منها

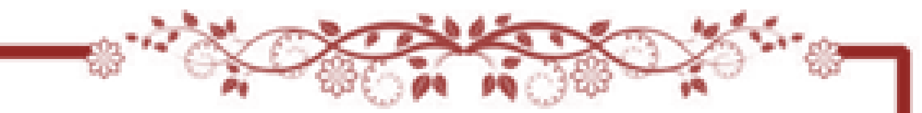


استنباط المواعظ والعبر والحِكم وفهم المسألة وغير ذلك، ودليله قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿لَّقَدۡ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخۡوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٞ لِّلسَّآئِلِينَ ٧﴾ [يوسف]، فهذه الآية دلالة لطالب العلم أن يبحر فيها ويجني الفوائد النفيسة من علوم شتى التي لا تنقطع في كل زمان، ودلالة أيضًا على حُسن هذه السورة مما فيها من العلم والتعلم، والله أعلم.

فائدة: بل هناك من عادى يوسف عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ على الدين ولم يُفصّل ذلك في القرآن، وإنما أشار في موضع آخر أنه جرى له من الدعوة لغير الذين عاشرهم يوسف عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ في السورة، وذلك قول الله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ جَآءَكُمۡ يُوسُفُ مِن قَبۡلُ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَمَا زِلۡتُمۡ فِي شَكّٖ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦۖ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلۡتُمۡ لَن يَبۡعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعۡدِهِۦ رَسُولٗاۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنۡ هُوَ مُسۡرِفٞ مُّرۡتَابٌ ٣٤﴾ [غافر].

أي: ولقد جاءكم يوسف عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ من قبل موسى بالبراهين الواضحة على توحيد الله، فما زلتم في شك وتكذيب لما جاءكم به، حتى إذا توفّي ازددتم شكًّا وارتيابًا، وقلتم: لن يبعث الله من بعده رسولًا مثل ضلالكم هذا عن الحق يضل الله كل من هو متجاوز لحدود الله، شاكٌّ في وحدانيته.

فائدة أخرى: ولعل من الحِكم من تكرار قصة موسى عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أن هذه الأمة ستُبتلى بالسحر ونحوه السُّم والظُلم من قِبل أعداء الإسلام من اليهود والنصارى إنسهم وجنهم، ولعل السحر هو الفتنة التي تدخل كل بيت كما في الحديث، فإنك تجد لفظ الفتنة ذُكرت أول مرة حسب الترتيب للسور الأولى في المصحف في سورة البقرة فيما تتحدث عن السحر، والله أعلم.



الباب الثالث:
دلو يوسف للعبور



المبحث الأول: الرؤيا الأولى.

المبحث الثاني: كل رؤيا قصة، وليس كل قصة رؤيا.

المبحث الثالث: للغلام نصيب.

المبحث الرابع: لكل منَّا يوسفه.

المبحث الخامس: دلو مُلِئَ دلالات.

المبحث السادس: يوسف أَم كتاب؟

المبحث السابع: بناء في رؤية الأنبياء.

المبحث الثامن: إتقان وتقدير.

المبحث التاسع: أحسن الرؤى.

المبحث العاشر: للأنثى نصيب.

المبحث الأول: الرؤيا الأولى من سورة يوسف

رؤيا يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَٰجِدِينَ ۝٤ قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيْدًاۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ۝٥ وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعْقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝٦﴾ [يوسف: ٤-٦].

ومن تفسير ابن كثير -ولنا فيه وقفات- قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا﴾، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قوله: ﴿إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا﴾ قال: كانت رؤيا الأنبياء وحيًا.

قلت: ورؤيا يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أتته وهو في سن الصغر، ولم يكن حينها نبيًا، ولذا لم تقع على ظاهرها كما هي رؤى الأنبياء، كرؤيا إبراهيم عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، بأن يذبح إسماعيل عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وسيأتي التفصيل أكثر إن شاء الله.

قال ابن أبي حاتم: قوله تعالى: ﴿أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا﴾ عن قتادة قوله: ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا﴾ أي: إخوته، وروي عن السدي، مثل ذلك.

حدثنا أبو يزيد القراطيسي، فيما كتب إلي، ثنا أصبغ بن الفرج قال: سمعت عبد الرحمن بن زيد بن أسلم في قوله: ﴿إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَٰجِدِينَ ۝٤﴾ قال: أبواه وإخوته، فبغاه إخوته، وكانوا أنبياء، فقالوا: ما رضي أن يسجد له إخوته حتى سجد له أبواه حين بلغهم.



قوله تعالى: ﴿وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ﴾، قال قتادة قوله: ﴿وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ﴾ قال: والشمس: يعقوب عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، والقمر: أم يوسف راحيل رأيتهم لي ساجدين ﴿رَأَيۡتُهُمۡ لِي سَٰجِدِينَ ٤﴾. [تفسير ابن أبي حاتم (٧/ ٢١٠١)].

قلت: والمتأمل في أحداث حياة يوسف عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ فإن الشمس والقمر لم يحصرا في والديه فحسب، بل المعنى أعم من ذلك، فإن الشمس والقمر دلالة للحاكم والوالي والمعيشة، وهذا جرى ليوسف عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ من معنى السجود وهو الخضوع والتذلل له بأمر الله تعالى، والله أعلم.

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وقد ذهب طائفة من العلماء إلى أنه لم يكن فيهم نبي غيره، وباقي إخوته لم يوح إليهم. [قصص الأنبياء (١/ ٣٠٩)].

قوله تعالى: ﴿قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقۡصُصۡ رُءۡيَاكَ عَلَىٰٓ إِخۡوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيۡدًاۖ﴾ [يوسف].

قال السدي: فكان الغلامان يوسف عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وبنيامين في حجر يعقوب، أحبهما وعطف عليهما ليتمهما من أمهما، وكان أحب الخلق إليه يوسف عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، فلما قدموا نحو الشام قال يعقوب عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ لرعاته وغلمانه: إن أتاكم أحد يسألكم من أنتم؟ فقولوا: نحن ليعقوب عبد عيصا، فلقيهم عيصا، فقال: من أنتم؟ فقالوا: نحن ليعقوب عبد عيصا، قال: فكف عن يعقوب، فذلك حين قال: وإذ غلبتني على الدعوة فلا تغلبني على القبر، فنزل يعقوب عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ الشام فكان ليس له هم إلا يوسف عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وأخاه فحسده إخوته مما رأوا من حب أبيه له، ورأى يوسف عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ في النوم رؤيا أن ﴿أَحَدَ عَشَرَ كَوۡكَبٗا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ رَأَيۡتُهُمۡ لِي سَٰجِدِينَ ٤﴾ [يوسف] فحدث أباه بها فقال له يعقوب عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: ﴿يَٰبُنَيَّ لَا تَقۡصُصۡ رُءۡيَاكَ عَلَىٰٓ إِخۡوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيۡدًاۖ﴾ [يوسف: ٥] فبلغ

إخوة يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ الرؤيا فحسدوه.

قال محمد بن إسحاق: يقول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في كتابه لمحمد صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ وهو يذكر له خبر يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وإخوته: ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا﴾ [يوسف: ٤] الآية، فعرف يعقوب عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ تأويلها، وخشي عليه بغي إخوته فيما عرف من التأويل أن الشمس والقمر والأحد عشر كوكبا أبوه وأمه وإخوته، فقال: ﴿يَٰبُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيْدًاۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ۝٥﴾[يوسف]. [تفسير ابن أبي حاتم (٧/ ٢١٠٢)].

قلت: ما ذكره ابن إسحاق سيأتي التعليق عليه في آخر هذا الكتاب.

قال قتادة في قوله: ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ۝٥﴾ عادوه، فإنه يحق على كل مسلم عداوته، وعداوته أن تعاديه بطاعة الله.

قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾[يوسف: ٦] قال السدي، عن أبي مالك: يعني: هكذا.

قوله تعالى: ﴿يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ﴾ قال قتادة: يصطفيك بتأويل الأحاديث، وعن ابن أبي عروبة، عن قتادة: اصطفاه.

قوله تعالى: ﴿وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ﴾، قال مجاهد: عبارة الرؤيا، وقال قتادة: ففعل وعلمه من عبر الأحاديث، وهي: تأويل الأحاديث. أخبرنا أبو يزيد القراطيسي، فيما كتب إلي، أنا أصبغ بن الفرج، قال: سمعت عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، يقول في قوله تعالى: ﴿وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ﴾ [يوسف: ٦] قال: تأويل الكلام: العلم والحكم، وكان يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أعبر الناس، وقرأ: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًاۚ﴾ [يوسف:٢٢]. [تفسير ابن أبي حاتم (٧/ ٢١٠٣)].

قلت: ولنا وقفة في هذه الآية عند آخر الكتاب.

قوله تعالى: ﴿وَيُتِمُّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعۡقُوبَ﴾ [يوسف: ٦].

قال سعيد بن جبير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: من تمام النعمة، دخول الجنة أن الله لم يتم على أحد نعمه فيدخله النار.

قوله تعالى: ﴿كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيۡكَ مِن قَبۡلُ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٦﴾ [يوسف].

قال محمد بن إسحاق: أي: عليم بما تخفون. [تفسير ابن أبي حاتم (٧/ ٢١٠٤)].

وفيها من الحِكَم والتعبير:

نتعلم من سورة يوسف أن الرؤيا تحكي عن أمر آتٍ، وهذا في الغالب، وتأتي عن حدث حاضر أو ماض وكلاهما ينطوي تحت الأول، ويعضد ذلك مما جرى للنبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ عندما سُحر، فأتت الرؤيا تحكي عن أمر مضى، وهو قيام لبيد اليهودي بسحره، وبماذا سحره، ومكانه كذلك، فقام النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ بالعمل وهذا تحت مسمى المستقبل، وأما الحال تحكي رؤياه صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ عن سبب المعضلة في بدنه وبعض الرؤىٰ تتكرر؛ وتكرارها للعبد إنما هي دلالة لأمر غفل عنه في زمن الحال أو عليه أن يتنبّه له مستقبلًا والقيام بذلك يكن تحت مسمى المُقبل أو المستقبل كرؤيا ملك مصر، فالأمور المُستقبلة يعلمها الباري سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ وكذلك مما مضى وما هو حاضر.

والمقصود أن الرؤيا عالم غيبي والإيمان بها واجب بل من العقيدة، وهي من أقسام الوحي كما ذكر ذلك الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه التوحيد، ودليله من سورة يوسف قوله تعالى: ﴿ نَحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ أَحۡسَنَ ٱلۡقَصَصِ بِمَآ أَوۡحَيۡنَآ

إِلَيۡكَ ﴾ [يوسف:٣]، ثم ساق رؤيا يوسف عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وكأنها إشارة لذلك.

ولذا تجد سورة يوسف تحكي عن الغيب من قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ نُوحِيهِ إِلَيۡكَۖ وَمَا كُنتَ لَدَيۡهِمۡ إِذۡ أَجۡمَعُوٓاْ أَمۡرَهُمۡ وَهُمۡ يَمۡكُرُونَ ١٠٢ ﴾ [يوسف]، فقصة يوسف عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ بما فيها الرؤى من علم الغيب.

علم الرؤيا: علم ظنّي، أي: عدم الجزم في التعبير، ودليله من تفسير يعقوب عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وسيأتي الحديث عن تفسيره، وكما جاء عند البخاري من حديث أبي موسى رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: «**رَأَيْتُ فِي المَنَامِ أَنِّي أُهَاجِرُ مِنْ مَكَّةَ إِلَى أَرْضٍ بِهَا نَخْلٌ، فَذَهَبَ وَهَلِي إِلَى أَنَّهَا اليَمَامَةُ أَوْ هَجَرُ، فَإِذَا هِيَ المَدِينَةُ يَثْرِبُ** ...» [رواه البخاري، برقم: (٣٦٢٢)، ومسلم، برقم: (٢٢٧٢)] «**وَهَلِي**» أي: ظني.

فإن قلت: ما تقولون في هذا الحديث ومعلوم أن تفسير الأنبياء حق؟

قلت: الظاهر لعل الظن هنا كان في حال منامه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ، وإن كان في اليقظة فهو لم يعبّرها لأصحابه من قبل، أو في حين لم يكن قد قصّها عليهم، والله أعلم.

وهناك من يحتج من طلبة العلم أن هذا العلم إنما هو علم ظني، ويكون المقصد منه ليس تعريفه وإنما أراد التلبيس عليهم، أي: حال لسانه فلا تتعلموا هذا العلم، ومثل هذا إن كان مقصده كما ذكرت فهو يُلبس الحق بالباطل، وقد وقع في زلة، وقدح في حق كلام الله تعالى، فليبيّن لطلاب العلم ما هو حقيقة علم الرؤيا، وكذلك مكانة هذا العلم، فهو من العلوم الشرعية التي ينبغي تعلّمها، ودليل ذلك من قوله تعالى: ﴿وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِ ﴾ [يوسف:٦]، فكل ما هو آت من الله توجب

علينا معرفته والعمل به ونُعلّمه على فهم السلف، ويكفي لهذا العلم رفعة من سورة يوسف، وأيضًا أحاديث النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ الدالة على قدره.



المبحث الثاني: كل رؤيا قصة، وليس كل قصة رؤيا

فالقصة حديث وخبر لها بداية ونهاية، مبنية على قواعد مرتبة، كما في القصص القرآنية، وقس على ذلك في الرؤيا، فهي تحكي أحداثًا غير مرتبة، ولكن لها بداية ونهاية، وإن كانت غير ذلك فهي ناقصة، ورؤيا يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ من القصص، وذلك من قوله: ﴿قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ﴾ [يوسف:٥]، ويزيد جمال القصة عندما تكون الرؤيا من القرآن الكريم، فهي من القصص القرآنية الماتعة، ولذا أتى قبل قص الرؤيا قوله تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ۝٣﴾ [يوسف]، ثم انتقل إلى بدء القصة على وجه المباشرة، ولما كانت القصص لها من التأثير والاستنباط من الفوائد التي لا تنقطع كان ذكر قصص الأنبياء مترادفة في القرآن الكريم، وذلك لتأثيرها على القلوب، وكان النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ كثيرًا ما يسأل أصحابه عن رؤياهم، فقد جاء عند البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ من حديث سمرة بن جندب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قال: كَانَ النَّبِيُّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ إِذَا صَلَّى صَلاَةً أَقْبَلَ عَلَيْنَا بِوَجْهِهِ فَقَالَ: «**مَنْ رَأَى مِنْكُمُ اللَّيْلَةَ رُؤْيَا؟**» قَالَ: فَإِنْ رَأَى أَحَدٌ قَصَّهَا، فَيَقُولُ: «مَا شَاءَ اللهُ»، فَسَأَلَنَا يَوْمًا فَقَالَ: «**هَلْ رَأَى أَحَدٌ مِنْكُمْ رُؤْيَا؟** ...» الحديث.

ولما كانت سورة يوسف في أولها قصة كان نبينا صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ يبدأ أول نهاره السؤال عن رؤيا، وذلك ليكون الحال طيب لأصحابه رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ، ويُفهم من هذا الحديث أنه كان صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ يستبشر بها كل حين، وأيضًا يسأل عنها بعد صلاة الفجر، وأيضًا تفقد حال الصاحب والمعارف أو يرشده من رؤياه، ومنها تعلّم

التعبير وغير ذلك من الحِكَم.

ولفظ: القصة، ونحوه: قص، أو: قصص، أو: قاص في المنام لعلك تجد له عبورًا من أحداث يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، أو اعتبره بتتبع الأثر، أو دل على خبر، وغير ذلك من الدلالات.

فائدة:

"كل رؤيا بدأت بحرف صحيح وانتهت بحرف صحيح فهي رؤيا، وكل رؤيا بدأت بحرف علة وانتهت بحرف علة فليست برؤيا، وكل رؤيا بدأت بحرف صحيح وانتهت بحرف علة أو العكس فهي تتطلب إلى غربلة لتحكم عليها." فافهم ذلك.



المبحث الثالث: للغلام نصيب

رؤيا الغلام حق إذا رأى أو رُئيت له، وذلك إذا خلت من حديث النفس، وعبث الشيطان، ودليله من رؤيا يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، فقد ذكر أهل التفسير أن الرؤيا أتته وهو في السابعة أو الثامنة، ودليل آخر كما رؤية لنبينا محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ عندما ولدته أمه كما عند أحمد، برقم: (٢٢٢٦١)، من حديث أبي أمامة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ؛ قال: قلت: يا رسول الله! ما كان بدءُ أمرك؟ قال: «**دعوةُ أبي إبراهيم، وبُشرى عيسى، ورأت أمي أنه يخرج منها نورٌ أضاءت له قصور الشام**». صححه الألباني، في "السلسلة الصحيحة"، برقم: (١٥٤٥)، وتشبيهًا بالكواكب فكما أن رؤية الهلال تثبت إن صفت الرؤية، فهكذا في رؤيا الغلام، وقس على ذلك في كلام الصغير في المنام، وذلك من قوله: ﴿هَٰذَا تَأۡوِيلُ رُءۡيَٰيَ مِن قَبۡلُ قَدۡ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّاۖ﴾ [يوسف:١٠٠].

أو الرضيع والجماد والحيوان فهو حق في المنام مالم يدعو إلى مخالفة، وذلك مما جرى من أمر عيسى عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ في المهد، وقصة الراعي مع الذئب في عهد النبوة، وغير ذلك من أدلة الكتاب والسنة.

قال لي صغير: إني أراني أحمل عَلَم (راية) بلدتي؟ **قلت**: تتولى عند سن الرُشد.

مليحة: إذا رأيت الصغير في اليقظة عنده حياء مميّز عن سائر الصغار فتفرس فيه إن تأدب من قبل أبويه لعله يُبتلى لرفعته، وهذا واضح من أدب وحياء نبي الله يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ في صغره مع أبيه، وهو يقص رؤياه لأبيه، وزيادة الحياء أو نقصه في الرؤيا دال على خير أو نكد، وتأتي الرؤيا في الصغر وتظل مخزونة في ذهنه حتى الكبر والبعض لا يتفطّن لها.

المبحث الرابع: لكل منّا يوسفه

التأويل بالأسماء، وهو أحد أصول التأويل، وسيأتي في موضع آخر باقي الأصول، وقد سُميت كواكب، ومنها الشمس والقمر، والكواكب تُسمى نجوما كما عند أهل اللغة، وكما في رؤيا النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ للرطب دلالة على التفسير بالأسماء، وأما اسم (يوسف) في الرؤيا فإن كان مجهولًا لدى الرائي ومن غير إشارة لنبي الله يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ فربما دل على إنسان له صفة اتصف بها يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وسيأتي بيان ذلك كعابرٍ للرؤيا أنت على صلة معه، أو احكم حسب أصول التأويل، أو لعل الرؤيا تعني والد الرائي، أو لأخيه، أو لأحد المعارف يحمل هذا الاسم، ودليله: ﴿وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعْقُوبَ﴾ [يوسف:٦] الآية.

ومن رؤياه أيضًا دلالة على التأويل بالمعنى، ومن ذلك فإن من طبيعة الكواكب الافتراق والتقارب، وهذا مما جرى ليوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ مع أقاربه.

كما قالت لي امرأة: رأيت أمي المتوفاة تقول لي: عليك أن تأخذي ثيابك وبما يرشدكم به يوسف فهو صاحب خلق حسن. انتهت الرؤيا، علمًا بأنه لا يوجد بيننا بهذا الاسم، ولا من المعارف.

قلت: ما أتى من دار الآخرة فهو حق، مالم يكن مخالفًا، وعليكم بما يرشدكم به العابر لرؤاكم، ومن نصحه يرشدكم بالصبر على زوجك رغم الخصومة الواقعة بينكم، فكان كذلك.

ودلالات أخرى فإنك تجد من يرى يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أو الكواكب ربما تجده محسودًا، ومنها شفاء المريض أو خلاص من شدَّة، واعتبر من اسمه بقراءة



سورة يوسف إن كان يشكو من ضر محسوس فهي راحة للمحزون لما فيها من العبر والتأثير على الروح والبدن، وكلام الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ كله شفاء.

قال ابن عطاء رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لا يسمع سورة يوسف محزون إلَّا استراح. [تفسير البغوي (٢/ ٤٧٤)].

ورجوع بصر يعقوب عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ يُعضد هذه الفائدة.

كما قال لي إنسان: رأيت قائلًا يقول لي: اقرأ سورة يوسف أربع مرات.

قلت: أنت محسود، فاقرأها أربع مرّات، ولعل تحديد هذا العدد من عدد أحرف الاسم أو بسبب قوة الداء، فباب الرقية واسع، وعليه فقس في سورة الرحمن لمرضى الرحم إذا جاء في الرؤيا من الاسم عبد الرحمن ونحوه.





المبحث الخامس: دلو مُلئَ دلالات

ليس كل من رأى يوسف عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أو وسمه يكون عابرًا للرؤيا، بل هناك دلالات عدة منها: لعله كان ذا حسن وجمال وأمه كذلك، وهذا من باب الزيادة في التعبير، ويحصل عليه حظوة من النساء، أو ولاية على زراعات، أو تجارة وعقارات، أو يعفو عن خصومه، أو يشاع أنه قُتل، أو فجور في الخصومة من قِبل أعدائه، تقطع ثياب، ونحوه كلام رديء في عرضه، ديون، يُمَن عليه، غدر صديق، زمن قحط وغلاء، تُهمة من امرأة، سفر، زواج، حمل، عاقبة سليمة، مقربة من الأكابر، خضوع أعدائه، مكر من نساء الأكابر، أو مرض بسبب نظرة في الصغر، وكل ما ذكرته آنفًا من الإشارات جرت ليوسف عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ولها مكانة من مفاهيم الكواكب، وسيأتي البسط لبعض العلامات.

فاعتبر من هذه الإشارات أو مما جرى ليوسف عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ بعد اطلاعك على حال الرائي وشهود الرؤيا من الخير أو النقص وأعط بقدر ما يليق به.



المبحث السادس: يوسف أم كتاب؟

لطالب هذا العلم: إذا رأيت يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ في المنام أو وسمه أو نحو رؤياه وفيها خيرية فاعلم أنها نعمة من الله عليك، وقد اصطفاك الله لخير نفيس بقدر همتك، وما عليك إلا القيام بنفع العباد، وهكذا قس على باقي الأنبياء والصالحين، وكما هو معلوم أن الله ذلّل الشمس والقمر لنفع العباد، وقد ذكر ذلك يعقوب عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وذلك من قوله: ﴿وَيُتِمُّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكَ﴾ [يوسف:٦]، وكذلك يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ عند تحقق الرؤيا، فرؤيا شبيهة برؤيا يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ قلّ أن يراها من العباد لا سيما في زماننا، وطالب علم التعبير في بادئ الأمر لئن يرزقه الله رؤيا بيوسف أو وسمه خير من قراءة كتاب، فافهمه.



المبحث السابع: بناء في رؤية الأنبياء

رؤى الأنبياء: اعتبر كل نبي بما جرى له واحكم للرائي بما يليق به من الخير أو النقص، وكذلك في الصحابة -رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ- والتابعين وأئمة السلف من بعدهم، وصلة هذه القاعدة بالكواكب أن الأحداث لكل نبي جرت في زمنه لها حكمها، وذلك لتشبيههم بالنجوم ولصلة الوقت من الليل والنهار، وقس في أزواجهم وأولادهم وأعدائهم وغير ذلك مما ذُكر في القرآن والسنة.

كما قال لي إنسان: رأيت النبي نوحًا عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ؟

قلت: قمت بعمل النجارة أليس كذلك؟

قال: بلى. **قلت**: تربح من ذلك. ودليله: من نجارة نوح عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ للسفينة.

وآخر كان يشكو من مرض في عاتقه يقول: رأيت النبي نوحا يمسك على رقبتي، ويقول: ماذا أجبتم المرسلين. **قلتُ**: تُشفى ويرتفع ذكرك وذلك كونه وضع يده موضع الألم، وذلك كونك طالبٌ للعلم، فهو كالأمانة في عنقك بالدعوة إلى الله، وعليك أن تقوم بما أُرسل إليك من قِبل طبيب أمين، فبرأ.

وقالت لي امرأة: رأيت النبي إبراهيم عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ. **قلتُ**: يُبنى لك بيت ولعل ذلك من قِبل والد زوجك، فجرى ذلك.

وآخر يقول: رأيت النبي عيسى عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وكانت بشرته حمراء اللون. **قلتُ**: تتقن في طب الحجامة وشفاء للمرضى على يديك، فكان كذلك.

وآخر يقول: رأيت النبي يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ. **قلتُ**: تُشفى من مرض بدواء يرسله لك عابرٌ للرؤيا، وآخر مثله، قلت: جرى لك نكد من أقاربك، فكان كذلك.



المبحث الثامن: إتقان وتقدير

فالغلام له حكمه في تفسير رؤياه، والبالغ له حكمه، وكذلك الكبير، وهذا حسب الحال ولا بد من ذلك إلَّا إذا كان شهود الرؤيا مآلها بعد زمن طويل فهو كذلك، فكما أن الهلال يسمّى هلالًا عند ظهوره، وفي النصف من الشهر يسمّى بدرًا، وكذلك الشمس عند أول النهار يختلف حرّها على الظهيرة، وكذلك عند الغروب، فأعط الرائي حسب سِنِّه أو حاله وفق أحداث الرؤيا، وربما كان حكمها لغيره كالوالدين، أو لأحد إخوانه، أو ممن دل عليه مع تقارب شهود الرؤيا، وما ذكرناه مستنبطًا من رؤيا يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

فإذا رأى الغلامُ الكواكب أو يوسفَ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ فإنه يدل على حسد أو ظُلم من إخوانه وهذا في الغالب، ويعقبه رفعة، وربما يكون وزيرًا عليهم، ونحو ذلك مما جرى ليوسف من أمور عدّة مختلفة، ويكون ذلك بعد برهة من الزمن.

وإن رأى الشيخُ يوسفَ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ فربما دل بما جرى ليعقوب عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وذلك كونه أحد أبنائه، أو بما جرى ليوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وذلك من أحداث آخر السورة.

ومعلوم كيف كانت سيرة الأئمة من السلف في سن صغرهم، وليس هنا موضع بسطه، فكلما كان الصغير محمَّصًا كان مُمَكَّنًا.





المبحث التاسع: أحسن الرؤى

فمن رأى نحو رؤيا يوسف عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، أو شيئًا منها، فهي رؤيا نفيسة ومن أحسن الرؤىٰ، وذلك كونها جزء من النبوة، وكذلك أمر حسن يعود ليوسف عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ فازداد حسنها، فتأمل في مثل هذه الرؤيا لا سيما إذا أتت مبكرة للغلام أو لطالب العلم أو للفقيه، وفيها معالم كبيرة علوية، وهذا مستنبط من بدء ذكرها من أول سورة يوسف، وهذا إن دل فإنما يدل على عظم شأنها وعظم شأن صاحبها في كل زمان ومكان بقدر ما يليق به.

وكفى فخرًا لمن رأى نحوها أن هذه الرؤيا في كتاب الله تعالى تُتلى حتى يرفع الله هذا العلم، وعليك أن تمعن ما في جعبتها وترشد الرائي بالصبر والمصابرة والعزيمة، وتبث الفأل الحسن وتبشره، وعليه بأخذ العبرة والعظة فيمن سبق، فإن حال القمر يبدأ ببزوغه هلالًا والناس تتأمل عند ظهوره لمعرفة عدد السنين والحساب لما فيه من منافع للعباد.

وهكذا كان أحوال بعض الناس قبل النبوة يترقبون ظهور نبي الرحمة، وظهور نجمه كما كان مدون عند اليهود كما ذكر ابن إسحاق رَحِمَهُ ٱللَّهُ في السيرة، وحسنه الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن حسان بن ثابت رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ، قال: **والله إني لغلام يفعة، ابن سبع سنين أو ثمان، أعقل كلما سمعت، إذ سمعت يهوديًا يصرخ بأعلى صوته على أطمة بيثرب: يا معشر يهود، حتى إذا اجتمعوا إليه، قالوا له: ويلك ما لك؟ قال: طلع الليلة نجم أحمد الذي ولد فيه.**

كما قال لي إنسان: رأيت الكواكب اجتمعت بما فيها الشمس والقمر، ولكنها كانت بارزة أكثر وضوحًا من الشمس والقمر.

قلت له: أنت وإخوانك إياكم أن تخرجوا عن طاعة ولي الأمر وتبرزوا السلاح للخروج عن طاعته.



المبحث العاشر: للأنثى نصيب

المرأة إذا رأت يوسف عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أو نحو رؤياه يجري عليها مما تقدم ذكره، ودل على حسنها وجمالها وتُحسد، أو تتنكد من زوجها، أو زالت نعمتها، وربما اشتكت من بصرها، أو تضيق بها السبل، أو ابتليت بحُب ذوي الأقدار، وإن كانت في شيء من ذلك تاب الله عليها، وبلغت قصدها أو تزوجت، واستغنت إن كانت فقيرة، وحسُنت عاقبتها في الدنيا والآخرة، وهذا شيء مما ذُكر عن امرأة العزيز، وربما ابتليت بنظرة حسد، وقد تُبتلى منذ صغرها أو في صغير لها.

كما قال لي إنسان: رأيت الربيع العابر بيده بطاطًا مقشورًا، وقلت: حاله كحال يوسف عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ عندما قطَّعن أيديهن.

فقصصتُها على مُعبَّر فلم يُدرك جوهرها، **فقلت للرائي**: يجري عليّ مكر وكيد من قِبل أصحاب لي، ومن نساء، ووراء ذلك امرأة من الأكابر على صُنعة يوفقنا الله بها فيما يتعلق بالطب النبوي وبما نكتبه من العلم الشرعي، فجرى ذلك بعد بضعة أيام، والله المستعان، ونسأله الإخلاص في القول والعمل.





الباب الرابع:
الرؤيا





المبحث الأول: الرؤيا الصادقة والرؤيا الصالحة.

المبحث الثاني: الرؤيا والرؤية.

المبحث الثالث: إصدار الحكم بين لفظ: الرؤيا والحلم.

المبحث الأول: الرؤيا الصادقة والرؤيا الصالحة

إن مثل هذه الرؤى كرؤيا يوسف عَلَيۡهِ‌ٱلصَّلَاةُ‌وَٱلسَّلَامُ تتطلب إلى عابر حاذق بعد توفيق الله له وصاحب تقوى وإلهام، ودليل ذلك من حال يوسف عَلَيۡهِ‌ٱلصَّلَاةُ‌وَٱلسَّلَامُ عندما قصّها على أبيه يعقوب عَلَيۡهِ‌ٱلصَّلَاةُ‌وَٱلسَّلَامُ فهو نبي وكبير في المكانة، فكانت إشاراتها كبيرة رفيعة، ولم يكن يوسف عَلَيۡهِ‌ٱلصَّلَاةُ‌وَٱلسَّلَامُ حينها نبيًا، أعني عندما أتته الرؤيا، ولم تكن رؤياه وحي نبوة، فرؤى الأنبياء لا تأتي ذات رموز حسب السياق القرآني، وانظر إلى رؤيا إبراهيم عَلَيۡهِ‌ٱلصَّلَاةُ‌وَٱلسَّلَامُ لذبح ولده عَلَيۡهِ‌ٱلصَّلَاةُ‌وَٱلسَّلَامُ، وكذلك رؤيا نبينا محمد صَلَّى‌ٱللَّهُ‌عَلَيۡهِ‌وَعَلَىٰٓ‌اٰلِهِ‌وَسَلَّمَ قال الله تعالى: ﴿ إِذۡ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلٗاۖ ﴾ [الأنفال:٤٣]، وقوله تعالى: ﴿ لَّقَدۡ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءۡيَا بِٱلۡحَقِّۖ ﴾ [الفتح:٢٧]، فرؤى الأنبياء صالحة صادقة ولا تحتاج إلى تعبير، وأما رؤيا يوسف عَلَيۡهِ‌ٱلصَّلَاةُ‌وَٱلسَّلَامُ هذه ذات رموز، وكان في سن الصغر، وأيضًا جرى وقوعها بعد أربعين سنة كما ذكر بعض أهل التفسير.

وأما الرؤى التي أتت لنبينا محمد صَلَّى‌ٱللَّهُ‌عَلَيۡهِ‌وَعَلَىٰٓ‌اٰلِهِ‌وَسَلَّمَ المرموزة كرؤياه للرطب فإنه صَلَّى‌ٱللَّهُ‌عَلَيۡهِ‌وَعَلَىٰٓ‌اٰلِهِ‌وَسَلَّمَ عبّرها، وهذا من الوحي، ومن الوضوح كذلك إذ أنه جزء من ذلك، وأول ما يرى الأنبياء عليهم الصلاة والسلام الرؤى الصادقة، وليست المرموزة، وذلك من حديث عائشة رَضِيَ‌ٱللَّهُ‌عَنۡهَا، أنها قالت: «**كَانَ أَوَّلُ مَا بُدِئَ بِهِ رَسُولُ اللهِ** صَلَّى‌ٱللَّهُ‌عَلَيۡهِ‌وَعَلَىٰٓ‌اٰلِهِ‌وَسَلَّمَ **الرُّؤْيَا الصَّادِقَةُ فِي النَّوْمِ، فَكَانَ لاَ يَرَى رُؤْيَا إِلَّا جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ، ثُمَّ حُبِّبَ إِلَيْهِ الخَلاَءُ**». الحديث. [رواه البخاري، برقم: (٤٩٥٣)، ومسلم، برقم: (١٦٠)]، وفلق الصبح يضرب به للشيء الواضح البيّن، ولذا فإن الرؤيا

الصادقة هي التي تكون واضحة بينةً لا تحتاج إلى معبر، فإنها تقع كما أتت في المنام.

ونتعلّم من رؤيا يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أنه يُفضل أن يقص الرائي رؤياه بنفسه.

فإن قلت: فما بال رؤيا ملك مصر؟

قلت: سيأتي البيان في الجزء الثالث إن شاء الله.

وكلما كانت الرؤيا جلية وإن كانت غير مرتبة كانت دالة على صدق صاحبها، وما على العابر إلا القيام بترتيبها ويخرجها مخرجًا متوافقًا مع حال الرائي، وليحكم بقدر ما يليق به، وهذا من رؤيا يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، فقد كانت كلها كواكب، ومنها العام والخاص والبداية والنهاية والمصير، فكانت واضحة كالشمس في رابعة النهار.

ولهذا إذا رأيت إنسانًا تأتيه رؤيا في النادر وتقع كفلق الصبح فهذا دليل على صدقه إن كان حاله كذلك في اليقظة، وإن كان غير ذلك فدلالة على أمر ما، والله أعلم.

والاختلاف بين الرؤيا الصادقة والرؤيا الصالحة كما ذكر ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال في «الفتح» (١٢/ ٣٥٥): وهما بمعنى واحد بالنسبة إلى أمور الآخرة في حق الأنبياء.

وأما بالنسبة إلى أمور الدنيا فالصالحة في الأصل أخص، فرؤيا النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ كلها صادقة، وقد تكون صالحة وهي الأكثر، وغير صالحة بالنسبة للدنيا، كما وقع في الرؤيا يوم أحد، وأما رؤيا غير الأنبياء فبينهما عموم وخصوص إن فسرنا الصادقة بأنها التي لا تحتاج إلى تعبير، وأما إن فسرناها بأنها غير الأضغاث فالصالحة أخص مطلقًا. اهـ

قال نصر بن يعقوب الدينوري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «التعبير القادري»: الرؤيا الصادقة ما يقع بعينه، أو ما يعبر في المنام أو يخبر به ما لا يكذب، والصالحة ما يسر. اهـ

المبحث الثاني: الرؤيا والرؤية

وإذا تأملت في كلام الله تعالى تجده مترابطًا في التفسير، ولنأخذ من هذا الترابط من رؤيا يوسف عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وذلك من ترابط الكواكب وسلسلتها، وإلا فكلام الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ ليس بمخلوق ونحو هذا السياق تجد الرؤيا ليست محصورة بالرؤيا المنامية، وإنما في عالم الغيب.

قال ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ويحتمل أن تكون الحكمة في تسمية ذلك رؤيا لكون أمور الغيب مخالفة لرؤيا الشهادة فأشبهت ما في المنام.

فالرؤية تُطلق على المشاهدة، وقد رُبطت بالتاء فكانت شبيهة بالعين، والدليل على ما ذكرنا من قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلۡنَا ٱلرُّءۡيَا ٱلَّتِيٓ أَرَيۡنَٰكَ إِلَّا فِتۡنَةٗ لِّلنَّاسِ﴾ [الإسراء:٦٠]، وهي حادثة الإسراء، وهذا يعضد هذه الفائدة، وعلينا أن نتدبر في السياق القرآني من الفوائد المتجاورة مع بعض.

ولما كان نبينا محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ أشرف الأنبياء والرسل كانت مكانته ورؤياه أنبل، فسيّره روحًا وجسدًا يقظةً في جزء من الليل فهو أعلى وأرفع من مكانة النجوم، وقد اتخذه الله خليلًا، وآتاه الوسيلة، وهذا يدركه اليهود ويزيدهم حسدًا وحسرةً.

وقس على ذلك في تأويل الأحداث في اليقظة كما سمعت أن حاكم أمريكا أُصيب بداء السرطان في جِلده.

قلت: هناك جائحة قادمة على بلدته لا سيما الدُّور، فجرى ذلك بعد بضعة أشهر، فتفطن لذلك.



والمقصود: أن هناك بعض الرؤىٰ تأتي في اليقظة فحكمها حكم رؤيا المنام خصوصًا المريض فربما يراها في يقظته، وتكون أحداثها قصيرة، ولعل السبب أنها كانت مخزونة في النفس الحافظة من قبل، أو أتت في تلك الساعة، والله أعلم.

كما قالت لي امرأة: رأيت في اليقظة، قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فاطر:٢٨] بين يدي؟

قلت: يصير زوجك أو ابنك فقيهًا.

يسأل سائل: هل الأعمى يرى رؤيا في منامه؟

قلت: هذا يعود على حال الأعمى ووقت مرضه ورؤيته للأشياء قبل المرض أو إن ابتلي من الصغر، وقد يرى أحيانًا لمن أراد الله له الشفاء خصوصًا إن كان بسبب مادة فتأتيه الرؤيا أو يُرى له بما يقوم به من الدواء كالاستفراغ وغيره.

كما قال لي أعمى: رأيت أني أقتل ثعبان أسود اللون؟

قلت: عليك باستفراغ البدن، وسيعود لك بصرك إن شاء الله تعالى.



المبحث الثالث: إصدار الحكم بين لفظ: الرؤيا والحلم

قال تعالى عن يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: ﴿إِنِّي رَأَيْتُ﴾، ولم يقل حلمت ونحوها في رؤيا السجينين، وكذلك في رؤيا الملك، وهنا إيضاح للفرق بينهما، وهي:

الرؤيا: اعلم بارك الله فيك أن الرؤيا: هي ما يراه الشخص في منامه، وهي بوزن فُعْلى، وقد تسهل الهمزة، وهذا التعريف لابن حجر العسقلاني.

يقول ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: والرؤية بالهاء: إدراك المرء بحاسة البصر.

حقيقة الرؤيا: الذي عليه أهل السُنة: أن الله يخلق في قلب النائم اعتقادات كما يخلقها في قلب اليقظان، فإذا خلقها فكأنه جعلها علمًا على أمور أخرى يخلقها في ثاني الحال، ومهما وقع منها على خلاف المعتقد، فهو يقع لليقظان، ونظيره أن الله خلق الغيم علامة على المطر، وقد يتخلف، وتلك الاعتقادات تقع تارة بحضرة الملك فيقع بعدها ما يَسُر، أو بحضرة الشيطان، فيقع بعدها ما يضر، والعلم عند الله تعالى.

قلت: البعض يُشكل عليه فيفهم ما يقع من ضر فهو من الشيطان، وهذا خلاف ذلك، فالتي بحضرة الملك تأتي خيرًا، وتأتي تحذيرية، وهذا إنما هو خير للعبد، إما يزجره عن معصية أو ابتلاء ونحو ذلك، ولعل ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ لم ينتبه لكلامه الأخير، فإن القارئ لعله يُلتبس عليه، وربما يعني بذلك الضر أي من الحزن والضيق ونحوه، فأحببت الإيضاح، وهناك أقوال متعددة في حقيقة الرؤيا.

الحلم: جاء عند البخاري برقم: (٦٩٨٤)، ومسلم، برقم: (٢٢٦١)، أنه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ قال: «**الرُّؤْيَا مِنَ اللهِ، وَالْحُلْمُ مِنَ الشَّيْطَانِ**».

وفي الحديث الآخر: «**الرُّؤْيَا ثَلَاثَةٌ: فَالرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ بُشْرَى مِنَ اللهِ سبحانه وتعالى، وَالرُّؤْيَا تَحْزِينٌ مِنَ الشَّيْطَانِ، وَالرُّؤْيَا مِنَ الشَّيْءِ يُحَدِّثُ بِهِ الْإِنْسَانُ نَفْسَهُ**».[رواه أحمد، برقم: (١٠٥٩٠) من حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ].

السؤال: هل هناك فرق بين لفظ الرؤيا والحلم، فهل أقول: رأيت أو حلمت؟

الجواب: إذا تأملنا في الحديث السابق فيه: أن الرؤيا هي ما كانت من الله تعالى، وأما الحلم من الشيطان.

وإذا تأملنا في الحديث الآخر فإنه أطلق على ما أتى من الشيطان رؤيا أيضًا!! فهنا يحصل إشكال عند طالب العلم؟!

والظَّاهر أن الحديث الأول يحكي ما بعد تفسير الرؤيا، وهذا يعود على العابر فيحكم عليها إما رؤيا أو حلم، أي: الحاصل، بمعنى الفتوى بعد قصّها للقاضي العابر فيكون الحكم إما رؤيا لكونها عُبِّرت وإما حلمًا من الشيطان، أي: بعدية.

وأما في الحديث الآخر فأطلق عليها رؤيا على العموم، وذلك قبل أن يُحكم عليها، وهنا أقول: إن الحديث يشير إلى الرؤيا قبل أن يفصل فيها القاضي العابر، فهي عكس السابق أعني: (قبلية) فالرؤيا كونها لم تقص على العابر فهي رؤيا بحكم عام، وبعد النظر فيها يصدر حكمه فيها، وهذا هو الإيضاح الجلي فيما أُشكل على كثير من أهل العلم، والله أعلم.

ومما يعضد هذا، فإنه ذكر أهل العلم أن لفظ الرؤيا جاءت في القرآن سبع مرات كلها في الرؤيا الصادقة؛ فخمس مرات للأنبياء كما في سورة الصافات، وسورة يوسف، والإسراء، وسورة الفتح، ومرتان في رؤيا العزيز، وقد صدقت، وقد بدت للملأ أنها هواجس وأوهام وأضغاث أحلام، وكان حكمهم خاطئ.

وإذا تأملنا في لفظ (الرؤيا) لوجدنا فيها دلالة على التميّز والوضوح والصفاء.

واللفظ (حلم) تجد فيه من الضعف، وعدم الوضوح، والهشاشة من خلال اللفظة.

وقال أهل العلم: إن القرآن استعمل اللفظة (الأحلام) ثلاث مرات يشهد سياقها بأنها أضغاث أحلام متهوشة وهواجس مختلطة، وأتت في القرآن دلالة على الخلط والتهوش، قال تعالى: ﴿ بَلْ قَالُوٓاْ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍۭ بَلِ ٱفْتَرَىٰهُ ﴾ [الأنبياء:٥]، وعلى لسان الملأ من قوم العزيز، حين سألهم أن يفتوه في رؤياه: ﴿قَالُوٓاْ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍۖ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ ٱلْأَحْلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾﴾ [يوسف].

يقول العيني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الرؤيا المضافة إلى الله لا يقال لها: حلم. اهـ [عمدة القاري (٢٤/ ١٣٢)].

والتي تضاف إلى الشيطان لا يقال لها رؤيا، وهذا تصرف شرعي، وإلا فالكل يسمى رؤيا.

والعلماء يفرقون بين الحلم والرؤيا، والمقصود بالتفريق نسبة الخير لله، والشرّ للشيطان.

قلت: ويَعضُد ذلك أيضًا ما جاء عند الطبراني والحاكم ووافقه الذهبي وهو وصية ثابت بن قيس فقال في الرؤيا: (**فإياك أن تقول: هذا حلم فتضيعه**)، وما جاء من أهل الآخرة فهو أقوى في تعضيد ذلك، وعلينا أن نفهم ونتعلم أن الرؤيا لا يؤخذ منها أحكام شرعية.

وارتباط الكواكب بهذا المعنى فكما أن النهار والليل من الشمس والقمر فمنها نعرف الفجر الصادق من الفجر الكاذب، والله أعلم بالصواب.





الباب الخامس:
العدد

المبحث الأول: توافق عجيب في العدد.

المبحث الثاني: حزمة من عدد.

المبحث الثالث: المَدَار للعدد.

المبحث الرابع: دلالات من أحد عشر.



المبحث الأول: توافق عجيب في العدد

اعلم أن كلام الله تعالى ينبغي علينا أن نفهمه ونتلمس فيه دلالات جلية حسب ما نُقل عن أهل العلم، فكل حرف له معنى، ولم يكن القرآن الكريم في عهد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ مدون ككتاب وفيه الأعداد للآيات أو لسور القرآن الكريم، ولكن كان العدد محفوظًا في قلوبهم مسلسلة كما هو الآن، ومما يدل على تدقيق الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ في العدد لآيات السورة، وذلك من حديث حذيفة بن اليمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: صليت مع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ذات ليلة فافتتح البقرة، فقلت: يركع عند المائة، ثم مضى... الحديث.

والشاهد من الحديث قوله: عند المائة.

فالعدد في القرآن الكريم أو في الحديث له دلالات، وكذلك قس إن أتى في الرؤيا، وذلك لكونه له معنى عند أهل التفسير كقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِي وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾ ﴾ [الحجر].

فاختلف أهل التفسير في المعنى للعدد سبعًا، فمنهم من قال: إنها السبع الطوال، ومنهم من قال: سبع آيات وغير ذلك، وكلها تتوافق فيما أشاروا إليه، وقول ابن عباس وابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وغيرهما أنها عدد الآيات لسورة الفاتحة.

قلت: ولعل المعنى أن كل آية فيها معنيين في سياق واحد لدلالة واضحة وذلك إن اعتبرنا شطرًا في كل آية، والله أعلم.

ومما يدل على أهمية العدد في القرآن تجده في رؤيا الملك، وبصورة أخرى من قوله تعالى: ﴿ إِذْ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا ﴾ [الأنفال:٤٣]، ونحو ذلك من

الآيات.

وبما أن الشمس والقمر دالة على معانٍ مختلفة ومنها عدد السنين والحساب ومن ذلك السِنّ؛ فإن القمر يبدأ كالهلال ثم يصير بدرًا ثم يصير كالعرجون القديم، وهذا هو عمره؛ ومن رؤيا يوسف لعل فيها دلالات تحكي عن سِنِّه، وذلك لكون رؤياه فيها إشارتين كبيرتين، وهما أصل لمرجعية العدد والحساب، وهما الشمس والقمر فبهما يعلم الإنسان ما مضى من سِنِّه، ويعلم الوقت لأحداث جرت كانت له أو لغيره وغير ذلك من الأمور، والله أعلم.

ومن التوافق العجيب عندما تأملت في أقوال أهل التفسير في هذه السورة مع عدد الآية وجدت توافق عجيب فمن ذلك:

تأملت في عدد الآية الخامسة حتى الآية السادسة فيها الرؤيا وإرشاد يعقوب ليوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وبعض أهل التفسير ذكروا أنه أتته الرؤيا وهو في سِن الثامنة، وهذا السِّن يُطلق عليه غلام، كقوله تعالى: ﴿يَـٰبُشْرَىٰ هَـٰذَا غُلَـٰمٌ﴾ [يوسف:١٩].

ثم تأملت للآية الخامسة عشر حتى الآية الثامنة عشر تحكي عن أمر الجُب، وذكر ابن كثير قولا للحسن: أنه عندما ألقي في الجُب كان ابن سبع عشرة سنة.

قلت: ومعنى غلام: هو من يقارب سن البلوغ.

ثم تأملت إلى عدد الآية التي تحكي بيعه فهي العدد عشرين وبحثت عن أقوال أهل التفسير فاختلف المفسرون، فمنهم من قال: اثنان وعشرون، وابن عباس وابن مسعود وغيرهم قالوا: إنهم قبضوا ثمنه عشرين درهمًا، وهذا توافق عجيب أيضًا مع عدد الآية.

وتأملت في قول عكرمة والضحاك أن يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ عندما بلغ أشده كان في سن العشرون، أو خمس وعشرون، وهذا يوافق الآية، ولمن ذهب أنه كان في سن بضع وثلاثون فإنه توافق أحداث الأعداد للآيات التي جرت له عند بلوغ أشده؛ وهنا يكون الفارق الزمني بين بيعه حتى دخوله للسجن هو مدة مكثه في قصر العزيز، ولعلها كانت نحو ثمانية عشر سنة، وذلك بما يوافق أقوال أهل التفسير، والله أعلم.

وعلى القول بأن الأنبياء يبعثون في سن الأربعين تأملت إلى الآية أربعين فيها الدعوة إلى التوحيد حيث بدأ بالدعوة إليه من السجن، والله أعلم.

وذكر الضحاك عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا أن يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ مكث في السجن ثنتا عشرة سنة، وقال الضحاك: أربع عشرة سنة، فتأملت إلى عدد الآية التي انتهى فيها تأويله لرؤيا الملك، وطلب الملك له، وخروجه من السجن فإنها الآية خمسون، وهذا يوافق قول ابن عباس أنها ثنتا عشرة سنة.

ومما يتوافق مع قول ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا فإن الآية ثمان وخمسين كان مجيء إخوانه، وذلك بعد مرور سبع خصب، والله أعلم.

والمتأمل في حياة يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ يجدها بدأت بتعب ونصب حتى الخمسين عامًا من عمره على ما سبق ذكره من التحديد لسِنِّه حسب أقوال أهل التفسير، وهذه دلالة من دلالات لمآل رؤياه ففيها الشمس، وذلك من حرها وشدتها، وبدأت رؤياه بذكرها بعد الكواكب، ثم عقب في رؤياه ذكر القمر، فكان دلالة للفرج وتجد ذلك من الآية إحدى وخمسين، ولعل سِنَّه كان كذلك، وهذا يَعضُد ما أسلفناه؛ فبدأت تتوالى عليه المبشرات، وبدأ حال القمر يظهر شيئًا فشيئًا مع بدء سبع سنين خصب وانتهت وهي من الآية خمسين حتى الآية سبع وخمسين.

ولعل بعض الآيات تحكي حدثًا أو أحداثًا في يوم جرت، أو في بضعة أيام، أو خلال شهر، أو عام وأكثر، والله أعلم.

وهنا دلالة قد يحصل التعب والنصب لطالب العلم حتى الخمسين من سنه ثم ينجلي عنه ذلك شيئًا فشيئًا، كالعلماء ونحوهم إذا وصل إلى الخمسين تبدأ المبشرات تترادف عليه والفرج، وإذا تأملت إلى حياة نبينا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ لوجدت أن الفرج بدأ له من بعد سن الخمسين، وهي الهجرة إلى المدينة وذهب عنه تعب ونصب أهل مكة وأذيتهم له، فافهم ذلك.

وفائدة أخرى: وهي لعل يوسف عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لم يتزوج حتى مضى الخمسون من عمره، فإنه على ما فصلناه آنفًا، فلن توافق امرأة العزيز مع حبها له بامرأة أخرى تجاوره ولا السجن يُدخل السجين مع زوجته، وهنا نستنبط أيضًا لمن رأى نحو رؤياه قد يتنكد من أمر الزوج، والله أعلم.

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ في "تفسيره": ويقال -والله أعلم-: إن الله تعالى رفع عن أهل مصر بقية السنين المجدبة ببركة قدوم يعقوب عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عليهم، كما رفع بقية السنين التي دعا بها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ على أهل مكة حين قال: «**اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَيْهِمْ بِسَبْعٍ كَسَبْعِ يُوسُفَ**». [رواه البخاري، برقم: (٤٧٧٤)، من حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ]، ثم لما تضرعوا إليه واستشفعوا لديه، وأرسلوا أبا سفيان في ذلك فدعا لهم فرفع عنهم بقية ذلك ببركة دعائه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

قلت: فدعاء نبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بسبع وجرت ثلاث لعل ذلك كانت على أهل مصر ثلاث أو أربع سنين شداد فإنه يتوافق مع دعوة نبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ.

وهنا فائدة: أن الدعاء يرد القدر، والذنب والجزع يحرم خيرية الرؤيا، والله أعلم.



وبعد أن ذكرنا توافق العدد والحدث بما يرجع ليوسف عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، فإنه يتوافق مع من ذهب أن غيبة يوسف عن يعقوب عليهما الصلاة والسلام كانت أربعين سنة، ثم زد إلى عمره حين ألقي في الجب فإنه يتوافق على ما ذكرنا، والله أعلم.

قال موسى بن عبيدة، عن محمد بن كعب القرظي، عن عبد الله بن شداد: اجتمع آل يعقوب إلى يوسف بمصر وهم ستة وثمانون إنسانًا: صغيرهم وكبيرهم وذكرهم وأنثاهم.

قلت: وهنا توافق من حيث عددهم وهو قريب من عدد الآية من سورة يوسف، والله أعلم.

ثم نختم هذا التوافق العجيب: فبعض أهل التفسير ذكروا بأن يوسف عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ توفي وكان عمره مائة وعشر سنوات، وهذا يتوافق مع عدد الآيات لسورة يوسف وهو مائة وإحدى عشرة آية، فالظاهر توفي وهو في هذا السن فإن الكواكب يُعلم منها عدد السنين والحساب، فكتب الله ذلك العمر بما يوافق عدد الكواكب أحد عشر من رؤياه والوالدان يقومان مقام المائة، أو كونه واحدًا جوار أحد عشر فتصير الهيئة لكتابة العدد مائة وإحدى عشر، والله أعلم.

فما سبق بيانه ليس تفسيرًا في كلام رب العباد ولا أجزم به، وإنما من باب الاستئناس بعد أن تأملت توافق لأقوال أهل التفسير فما أدري هل كان لعدد الآية له تفسير عندهم في بعض المواضع أم لا؟ والله أعلم.

ومما يزيد هذا الفصل ملاحة فإنك تجد الترتيب لهذه السورة من سور القرآن في المصحف الكريم الذي بين أيدينا ترتيبها الثاني عشر، وهذا العدد شبيه بيوسف

عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ مع إخوانه فكانوا اثني عشر، وبدأت القصة تحكي أمرهم، وانتهت القصة على الترتيب الجزئي وهو الجزء الثالث عشر، وهذا العدد شبيه بعدد إخوانه مع والديه، وما ذكرناه هنا إنما دلالة لك في تأويل بعض الرؤىٰ.

ولهذا فاعتبر من عدد الآية أو السورة أو الحديث إذا ورد في المنام بما يوافق حال الرائي على مآل يلائم معنى الآية أو الحديث.

قال لي إنسان: رأيت في يدي عسلًا، وسمعت قوله: ﴿عَسَلٖ مُّصَفّٗىۖ﴾[محمد:١٥].

قلت: اسمك محمد، ومضى من عمرك ستة وعشرون، أليس كذلك؟

قال: بلى.

قلت: وعليها بالعسل وستحمل، فكان كذلك.

وآخر يقول: رأيت أني أُؤَذِّن في الناس؟

قلت له: اسمك إبراهيم، ومضى من عمرك سبع وعشرون.

قال: نعم.

قلت: ولعلك تحج بيت الله الحرام، ويحصل منك نفع ممن حولك، ودليله قوله تعالى: ﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَجِّ يَأۡتُوكَ رِجَالٗا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٖ يَأۡتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٖ ٢٧﴾ [الحج] فالآية عددها سبعة وعشرون من سورة الحج، والخطاب لإبراهيم عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، والأذان نفع لمن حوله من أمر بمعروف ونهي عن منكر ونحو ذلك، فافهمه. فهذا الفصل من أمتع الفصول وأطيبها.



المبحث الثاني: حزمة من عدد

فإذا تأملت إلى العدد من رؤيا يوسف عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ لوجدت له معانٍ عدّة، وذلك من كلام رب العباد سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ، وذلك لتوافق حال يوسف عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ مع العدد، وهو من الأحداث التي جرت، ومن ذلك فإن العدد عشرة وما فوقها حتى الأربعين في اللغة يعني العصبة، قال مجاهد: من عشرة إلى خمسة عشر وهذا أقرب.

ومن حال إخوة يوسف تدل على أنهم كانوا إخوة متماسكين مع بعضهم البعض سوية في مطعمهم ومشربهم ولعبهم وعند رعي الماشية، وكذلك في تجارتهم وترحالهم.

قال الإمام البغوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في معنى (العصبة): جماعة يتعصب بعضها لبعض لا واحد لها من لفظها كالنَّفر والرَّهط. اهـ[التفسير (٢ / ٤٧٧)].

ومن قصة يوسف عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وعلى معنى العصبة تجد أن إخوته كانوا عصبة أي: ضده، وذلك من قوله تعالى: ﴿ إِذۡ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحۡنُ عُصۡبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ٨﴾ [يوسف] فهنا ﴿ إِذۡ قَالُواْ ﴾، وأيضًا ﴿وَنَحۡنُ عُصۡبَةٌ ﴾ أي: كلهم، ولم يخالف أحد منهم في تفكيرهم الواحد، وهو نبذ يوسف عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ عن أبيهم، وهذا هو الأصل عندهم.

ومما يدل على حرصهم على تعذيب يوسف عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، والكذب على أبيهم من قوله تعالى: ﴿ قَالُواْ لَئِنۡ أَكَلَهُ ٱلذِّئۡبُ وَنَحۡنُ عُصۡبَةٌ إِنَّآ إِذٗا لَّخَٰسِرُونَ ١٤﴾ [يوسف]، وهذا دليل على الكيد والدوران كدوران الكواكب.

وتجد من خطابهم لأبيهم من قوله تعالى: ﴿قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأۡمَ۫نَّا عَلَىٰ يُوسُفَ

﴿وَإِنَّا لَهُۥ لَنَٰصِحُونَ ١١﴾ [يوسف] أن يعقوب عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ كان يخشى على يوسف من بعد الرؤيا ولم يُنبّه يوسف عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وذلك لعله لأسباب منها: لعله خشي الخصومة بين الإخوة، ولعل أن التعبير ظن كونها رؤيا مرموزة، أو أنه خلاف المصلحة، ومن الآية شعروا بأن أباهم آخذ الحيطة منهم على يوسف عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ من قبل أن يطلبوا يوسف منه، ولكن لا حذر من قدر.

وهنا درس نفيس لعابر الرؤيا بأن عليه ألا يعبر بما يزرع الفتنة والخصومة بين الأخ وأخيه، وبين الزوجين، وبين الطالب وشيخه ونحو ذلك، وعليه أن يعبر الرؤيا بالفأل الحسن بقدر ما يستطيع، وذلك حسب شهود الرؤيا.

ومما يستدل به على معنى العصبة للقوة والتكاتف والتعصب لبعضها البعض من قوله تعالى: ﴿قَالُواْ لَئِنۡ أَكَلَهُ ٱلذِّئۡبُ وَنَحۡنُ عُصۡبَةٌ إِنَّآ إِذٗا لَّخَٰسِرُونَ ١٤﴾ [يوسف]. وهنا إشارة إلى أن إخوته لم يكونوا أقل من عشرة، وذلك لتكرر لفظ العصبة مرتين في الآيتين المتقدمتين آنفًا.

وإذا تأملت إلى حال الكواكب من الرؤيا لوجدتها أنها تشير إلى العصبة، ومما يعضد معنى العصبة إلى ما أشرنا إليه نجده في أمر كنوز قارون.

وهنا نضع فائدة: وهي أن الإسلام نهى عن النجوى، وذلك لعدم سعي الشيطان في زرع الحُزن، وينبغي للإنسان أن يأخذ الحيطة والحذر عندما يعاشر جماعةً متماسكة فيما بينها، وتفكيره يخالف تفكيرهم، وقد يُحسد من قِبلهم لا سيما إن كان فطنًا موفقًا وأصغرهم سنًا، كما جرى ذلك لشيخنا يحيى الحجوري حفظه الله من قِبل من هم أكبر منه سنًا وتقدمًا في طلب العلم، ولكن فضل الله يؤتيه من يشاء.



المبحث الثالث: المَدَار للعدد

إنّ ذكر القرآن الكريم للأعداد الحسابية والمعاني العددية إنما يستهدف أن يستخدمها الإنسان فيما يحقق الغرض من خلق الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لها، وتعليم الإنسان بها، وتوجيهه إليها، وعلاوة على ذلك فلقد وجه القرآن الكريم نظر الإنسان إلى العد والحساب في آيات كثيرة، وكما أورد القرآن الكريم كل أصول وحقائق العلوم المختلفة؛ فقد أورد كذلك الأعداد باعتبارها أصول علم الحساب، وأساس الأعداد وعلامة العدد في كثير من الآيات القرآنية، فيهدف إلى مزيد من البحث والدراسة وحفزه إلى الواسع من العلم والعميق من المعرفة، فقد أورد بعض الأعداد تارة فردية، وتارة مركبة من عددين وأكثر حتى تتسع أمام الإنسان رقعة التفكير في العمل الحسابي، والاستمرار في الاستخدام العددي، والله أعلم.

ومثل هذه الأعداد مما لا نعلم، والحساب عند الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فيه أيضًا ما لا نعلم، ولذلك فإن القرآن الكريم إنما يدعونا إلى ممارسة ما نعلم من الأنشطة الحسابية والدراسات العددية، على أسس من الأعداد التي ذكرها والتي يتكون منها كل الأعداد، ويتم بها العمل، وإذا ما استخدم الإنسان الأعداد والحساب وتأملها وتدبرها في القرآن الكريم لوجد فيضًا من الإعجاز المبين يثبت بلغة العصر، ولسان الجيل، وبالعدد الحسابي، إنه وحي الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لخاتم المرسلين والنبيين.

وعلى هذا فقس في المنام، فلها دلالات ومعانٍ معتبرة لمن وفقه الله لتأويلها، واعلم أن تأويل العدد في المنام يتطلب منا ثلاثين درسًا، وهذا مستنبط من حال الشمس والقمر، فإنه يُدرس ويُعلم منهما العدد والحساب، وذلك من قوله تعالى:

﴿هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ﴾ [يونس:٥] فمن مدة القمر للشهر ثلاثون ليلة، وكل ليلة لها دلالة مختلفة على ما سبق، وسنكتب شيئًا منها، وهنا نتحدث عن الموسوعة الأم لهذه الدروس وهي:

"الحُكم على العدد حسب أحداث الرؤيا وحال الرائي ووقت الرؤيا"

ودليل ذلك أن العدد الحادي عشر في رؤياه كان دلالة أنهم إخوته وذلك كونه يوافق حال يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ من عدد إخوته، ومن أحداث الرؤيا أن الكوكب يدل على إنسان، ودال أيضًا على الرفعة والعلم؛ فتكلم يعقوب عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ بذلك، وبقي هناك دلالات أُخرى للعدد والكواكب سيأتي الحديث عنها إن شاء الله تعالى.

ومعلوم أن مجداف العبور للعابر على ضوء الكتاب والسنة، وأيضًا من حيث المعنى، أو الاسم والاشتقاق والضد، وما يوافق العُرف والزمان والمكان والصفة الظاهرة، وغير ذلك من الأصول، فافهم هذا الفصل وما بعده يسهل عليك إن شاء الله تعالى.

والحساب إنما يشمل العديد من مختلف القواعد والاستخدامات المختلفة، ففيه جمع العدد أو النَّقص، ويُسمَّى بالطرح، وكذلك الضَّرب والقسمة وغير ذلك من الطُّرق الحسابية، وأيضًا لها أحوال مختلفة كالنسبة المئوية، وكذلك المُسَمَّيَات التي تدل على الوزن ونحو ذلك وغيرها من القواعد والمفاهيم العصرية، وعليها يُعتبر العدد في الرؤيا إن توافق شهود الرؤيا مع الحال.

وهذه القواعد الحسابية شبيهة بقواعد التأويل، فإن جئت للاشتقاق فهو شبيه بما

يُطلق عليه بحساب القسمة أو النَّقص، ونحوه إذا كان العدد مركبًا، أي: فيه أكثر من عدد، وإذا تأملت إلى التأويل بالمعنى فهو شبيه بحساب الضّرب، وذلك لتغيُّر العدد عن أصله إلى عدد آخر، وإن جئت لتأويله بالعكس أو الضد والقلب فهذا جائز ويصير مآل العدد مغاير، وغير ذلك من الأصول، فافهم ذلك.

ولما كان إخوة يوسف على رأي واحد وهو الكيد ونحوه، واعترض أحدهم بعدم قتله، فإن هذا التوافق والاختلاف شبيه بحال الكواكب وكان من الدروس لتأويل العدد هو الحكم بدلالات مغايرة كليًّا، أو موافقة جزئيًّا؛ فإذا كان العدد مركبًا وحكمت عليه بالوقت فربما دل أحد العدد المركب على السَّنَة، والآخر على الشَّهر وهذا اشتقاقًا، أو اعتبر أحد العدد المركب بأصل، والآخر بأصل مغاير، والآخر بدلالة الوقت، وغير ذلك من أصول التأويل.

ومن الدروس للعدد:

اعتبر العدد الفردي أو المركب حسب ما جاء من الكتاب والسنة بما يوافق حال الرائي؛ فالعدد واحد لكونه مفردًا دل على الانفراد على هيئته كالواحد، ودال أيضًا على التوحيد، ودال على الخوف من الحسد والعين، أو دل على التفرد والتميز بالعلم والمال، وذلك اشتقاقًا من أحد عشر مما في رؤيا يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وربما العدد ثلاثة، دل على كفارة يمين، أو التكرار والتردد، أو دل على الصمت، وهذه الأحكام من القرآن الكريم، وعلى هذا فقس في باقي الأعداد بشرط أن يلائم ذلك الحكم قرائن الرؤيا مع حال الرائي.

وأما العدد الزوجي كالأربعة، والستة، ونحوها التي تقبل التشطير، ربما دل على الزواج لكونه مركبًا، والأربعة دال على الإيمان أو الاطمئنان، وربما دل على الزواج

أيضًا، وكذلك العدد ثمانية، وربما دل العدد ستة على الابتلاء والاختبار، وعلى هذا فقس حسب ما جاء في الكتاب والسنة، أو احكم عليه حسب باقي أصول التأويل والتي سيأتي الحديث عنها.

ومن الدلالات القرآنية للعدد وذلك شبيه بتأويل الاشتقاق على العدد الفردي أو الزوجي، أو كان عددًا مركبًا، فتجد له إشارتين مختلفتين أو أكثر، ومن ذلك لفظة العدد: الثلاثة أو الثلاثين أو الثلاثمائة ونحوها الأربعة أو الأربعين أو الأربعمائة فدال على قضاء الحوائج والوفاء بالمواعيد بما دل عليه المعدود، وربما دل العدد الثلاثة ونحوه على إخلاف الوعد، وهذا مستنبط من كلام رب العباد كما جرى مع موسى عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، ويجري ذلك بعد مرور ذلك الوقت، فكانت دالة على دلالة المعنى، ودلالة زمنية، فافهم ذلك.

كما قالت لي امرأة: رأيت أحد المعارف أمامه مائدة طعام، وفيه أرز، وبدأ يأكل منه بملاعق صينية، وكان بيدي لحم وكَبِد ناضج وناولته، وقلت في نفسي: أربع وأربعين.

قلت: يُرزق هذا الرجل بسبب دعاءك له، ولديه رزق عالق في الصين، ويسمع خبر وصوله بعد ستة عشر يوما، وسيأتيه بعد أربعين أو أربعة وأربعين يومًا، ومقدار أرباحه أربعة أضعاف أو الرُّبع من القيمة الشرائية، فجرى ذلك كله.

ودليله على ستة عشر قمنا بطريقة الضّرب في العدد، فافهم ذلك.

وعليك أن تنظر في إشارة المعدود ثم تكلم عليه، كما لو كان العدد دال لمعدود الأموال، والدراهم، والذهب، وشبيههم، لمن ملكهم، فاحكم بما دلت عليه من أخبار، أو غائب، أو ولد، أو معرفة، أو أموال، ويكون فيهم نفع، ثم تكلم في ذلك

العدد بما دل عليه من دلالات متعددة ويكون ذلك موافق لذلك الشيء مع حال رائيه، وأعط بقدر ما يليق به، وعلى هذا فقس فيما دل عليه المعدود.

كما قال لي إنسان: رأيت في بيتي ستة نوافذ. **قلت**: لديك ست أخوات، وسيحصل لك راحة وفائدة. فقال: صحيح.

وقالت امرأة: رأيت أحد يخبرني أنها ثمانية أبواب، وهي أبواب الجنة، وكنت أقف على الأبواب الثمانية. **قلت**: منذ سبع سنين تنتظرين الفرج بما دلت عليه الجنة من سفر، أو سكن، ونحو ذلك. **قالت**: صدقت، يتعلق بالسكن. **قلت**: يحصل الانتقال بعد عام، ويذهب عنكم تعب وكدر، وذلك شبيه بسكن الدنيا.

وأخرى تقول: رأيت رضيعًا بين يدي. **قلت**: هناك أمر أتعبك منذ بضعة أشهر.

قالت: صحيح. ودليله أن الرضيع في هذا الحال يكن سنه بضعة أشهر، وحكمنا عليه بالنكد لكونه يتطلب إلى رعاية ونحوها.

وآخر يقول: رأيت ستة أوراق بيضاء. **قلت**: ست مرات وأنت تنتظر خبرًا ولكن لا جدوى من ذلك. **فقال**: صحيح.

كما لو رأت امرأة لزوجها أو لرجل آخر من المعارف: ثمانمائة وثمانية وثمانون، نقول لها: دالة على الزواج بثلاث يربطهن صفة مشتركة، وذلك لكون الرائية هي الزوجة، أو كونها أنثى، أو دل على المعيشة، أو بما يرجع على حال الرائي، وإذا كان دلالة زمنية فربما ما ذكرناه يقع في السنة الثامنة في الشهر الثامن في اليوم الثامن ونحوه، وذلك مآل رؤياك، وربما اعتبر الزواج بأخرى وذلك بعد محو العدد المكرّر، فإنها كانت أحد عشر كوكبًا لكنها من جنس واحد، وما ذكرناه آنفًا توافق جزئي أي كل جزء تحت دلالة واحدة مع تعدد الاختلاف، وإذا حكمنا بدلالات

مغايرة كلية فربما دل العدد الأول على الزواج، والثاني على زمن، والآخر على المعيشة، والدليل على الزواج لذلك العدد وعلى الوقت مما جرى بين موسى عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ والرجل الصالح من أمر ابنته، ومن قوله تعالى: ﴿ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ﴾ [الزمر:٦]، وربما دل على الحُجة، وعلى هذا فقس.

وإياك أن تحكّر كل عدد بدلالة زمنية فحسب إلا إذا وجدت قرينة له، ودليل ذلك مما في رؤيا يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ حيث استنبطنا منها دلالات مختلفة والتي سيأتي الحديث عنها.

كما رأيتُ في المنام: أن عدد متابعي دروس ربيع المنامات مائة ألف وأربعمائة وثمانون، فقصصتها على صديقي أبا سعد الجزائري، فقال: هذه دلالة على أن تأويلك للرؤى بالتأويل الصحيح نصفها أي تارة تأويلك في رؤيا صائب وفي الرؤيا الأخرى تخطئ، **قلت**: أي النصف وقد نعبر نصف الرؤيا صحيحًا ونخطئ في النصف الآخر، وهذا قد جرى لأبي بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، ولعل الرؤيا فيها دلالات أخرى، ثم قال لي: واعلم أن عابري الرؤيا في زماننا يعبرون من العشر الرؤىٰ واحدة ومن المائة رؤيتين وهذا يعتبر عند الناس من حذاق التعبير، ولها دلالات أخرى. نسأل الله الإخلاص والسداد.

ومن حال الشمس والقمر وذلك من رؤيا يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ نتعلم أنه ما من عدد إلَّا وله تأويلان: إما محمود وإما مذموم، والله أعلم.

وسيأتي البسط أكثر في دروس العدد والحساب في رؤيا الملك إن شاء الله تعالى.

المبحث الرابع: دلالات من أحد عشر

وعلى هذا المنوال في الحديث عن العدد فقد ذُكر في القرآن الكريم مما جاء في رؤيا يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ عدد، وكذلك في رؤيا الملك، وهذا إن دل فإنما يدل على أهمية تعلّم وفهم العدد في كلام الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وكلام رسوله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ سواء كانت تحكي عن الأحكام الشرعية أو غير ذلك، وكذلك دلالة على دراستها للحكم في الرؤيا ولابد من عبوره الصحيح وإلَّا فتفسيرك مُخل.

ومن رؤيا يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ فيها العدد أحد عشر، وإذا حكمنا عليه على الموسوعة الأم فإننا نستنبط منها دلائل زمنية لكون الكواكب دالة على الوقت، وإشارات مختلفة، ومن ذلك:

دالة على إخوته، وذلك حسب عدد الكواكب بعدد إخوانه، وكذلك الكواكب دالة على أناس لهم مكانتهم ناهيك عن الصفات المتشابهة فيما بينهم، وهي تعضد العبور نحوهم، ونستنبط أن الشيء المشترك في الصفة وكان متعددًا فدال على نحو ذلك العدد المشترك بالصفة تلك، سواء كانوا أناس أو غير ذلك، كما سُرق على رجل قطعة أثرية، قال: رأيت أربعة جِراء جوار فراش لي وكنت أطاردهم ولم أمسك بهم. **قلت**: هل هناك أربعة إخوة يعملون معك وأنت تقرّبهم إليك وتجلّهم. قال: نعم، **قلت**: لقد اتفقوا على سرقتها ولن تستطيع أن تثبت عليهم، وذلك لأنك لم تُمسك بأحد منهم، فكان كذلك.

ومنها دلالة على السِّن فقد كان سن يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ مائة وعشرة سنة كما ذكر بعض أهل العلم، وهو قريب من عدد الكواكب من رؤياه.

ومن دلالة العدد والحساب فمن رؤيا الملك ذكر بعض أهل التفسير أنها كانت ثلاث أو أربع عجاف ثم رُفعت، وهذا العدد يتوافق مع السبع السمان فصارت إحدى عشرة سنة، ويتوافق مع رؤيا يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ويقوم يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ مقام عام الغيث وانفرد بذلك، والله أعلم، ولكن دعاء نبينا صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰٓاٰلِهِۦوَسَلَّمَ دليل على أنها سبع شداد مضت وذلك من قوله: «**سَبْعٌ كَسَبْعِ يُوسُفَ**»، ولكن جرت سنتين أو ثلاث على قريش.

ودلالة على وقت الخير والتعب، فكما أن العدد أحد عشر يُكتب واحد جوار واحد متساويان دل على تساوي في مدة الشدة ومدة الرخاء بل وجرى له زيادة من الخير، ودليل ذلك من عدد الآيات فكانت حياته حتى الآية خمسين معاناة وما بعدها كانت فرجًا حتى الآية مائة من السورة، فإنك لو تأملت في سورة يوسف لوجدت أن الآيات الأول من السورة حتى آية العدد خمسين تجدها نَصَب وتعب، وذلك بما دل عليه الشمس، وكذلك بدأ بالشمس من رؤياه، ثم تجد في الآية الواحد والخمسين بدأ الفرج ليوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وما بعدها نصر وعز وتمكين وذلك بما اتصف به القمر، وما سبق ذكره موافق حسب أصول التأويل، وذلك من حيث الصفة للأعداد والمعنى للشمس والقمر، وزد أيضًا التفسير حسب الهيئة المعاصرة وذلك من حال الشمس والقمر فهيئة الأعداد التي بين أيدينا وإن كانت مستجلبة من الهند لكن قد اعتاد عليها العرب في علم الحساب فتجد العدد خمسة من هيئتها مستديرة، أي: مكورة، فهي شبيهة بهيئة الشمس والقمر أي مكورة، وأضفنا الصفر كونها صفراء، وهذا اشتقاق، ثم تم الجمع كونها مجتمعة في رؤيا يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، فاعتبرنا الشمس خمسين، والقمر كذلك، ثم أضف أحد عشر وهو عدد الكواكب.



وأيضًا فالشمس والقمر دلالة لعدد الأيام والشهور والسنين، ومن ذلك فالشمس غيابها شبيهة بالحبس فقد كانت سنين سجن يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ عند بعض أهل التفسير اثنا عشر سنة، فهو يوافق عدد الكواكب من رؤياه وهو تمام الاثني عشر، والحديث في هذه القاعدة يحتاج إلى بسط مع فهم وتعمق وتدبر، فتفطن لذلك، والله أعلم.

وقد تجري هذه الأحكام على العدد اثني عشر أو ثلاثة عشر، وذلك لوجود الشمس والقمر معًا، وصارت في حال السجود مع الأحد عشر من رؤياه، وقد نحكم على أقل من هذا العدد أو أكثر بهذه الأحكام إن جرى توافق الحال.

فإن قلت: لماذا العدد اثني عشر؟

قلت: لأن يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ خارج العدد الأحد عشر، فهو أخوهم، فيضاف فوق العدد المذكور، ولكنه أفضلهم وأوسطهم.

وكما ذكر ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ قيل: الشهور الاثني عشر كمثل أولاد يعقوب عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وشهر رمضان بين الشهور كيوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ بين إخوته؛ فكما أن يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أحب الأولاد إلى يعقوب عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ كذلك رمضان أحب الشهور إلى علام الغيوب. [بستان الواعظين (٢٣٠)].

ومن الدلائل في هذا العدد دال على السنة، فإن عدد أشهر السنة اثنا عشر شهرًا، وربما دل على اثني عشر نقيبًا ونحو ذلك.

ومنها: التأويل من لفظة العدد بما دل عليه ذلك الشيء فقوله: ﴿أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا﴾ [يوسف:٤] فربما نعتبر دلالة زمنية فنقول: لعل الحدث للرائي من حيث التحديد اليومي في يوم الأحد، أو التحديد العددي في اليوم، كيوم الحادي عشر، أو الشهر

الحادي عشر، أو في اليوم الأول من الشهر الحادي عشر، وهذا اشتقاق، واعتبر من العشرة عِشرة وعُشر، وعلى هذا فقس.

كما قالت لي امرأة: رأيت عمتي المريضة تقول: سأسافر ولا أريد أحدا. **قلت**: اقترب أجلها، ولعل ذلك يقع يوم الأحد. فاشتد مرضها وتوفيت ليلة الأحد.

ومن ذلك لعل قصة يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ جرت في سنة ألفين وبضع سنين قبل الميلاد أو نحو هذا العدد، والله أعلم.

ومن الدلالات المليحة: لعل يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ كان في المرتبة الحادي عشر أو الثاني عشر أو الثالث عشر أو الرابع عشر من ترتيب عدد الرسل المذكورين في القرآن الكريم، فانظر إلى البداية والنهاية لابن كثير، والله أعلم.

ولما كان العدد الحادي عشر مفردًا مركبًا لا يقبل التشطير دل على حال إخوته فقد كانوا ضده وعُصبة عليه، ودل على الانفراد عنه والتحيُّز، ودل على عدم الود والمحبة منهم، ونحو ذلك.

كما قال لي إنسان: رأيت معلمي يقول لي: واحد، وثلاثة، وخمسة، وسبعة، وتسعة. **قلت**: هناك أمر يصرفك عن الزواج وإن كنت من طلبة العلم، فكان حاله كذلك.

فما سبق بيانه يجعل فكرك ينمو في استنباط فوائد مليحة لم نذكرها، فتفطن لها.







الباب السادس:
علامات للسّيّارة



المبحث الأول: دلالات المعالم العلوية.

المبحث الثاني: السماء.

المبحث الثالث: الشمس والقمر.

المبحث الرابع: نور وإنارة.

المبحث الخامس: الشمس.

المبحث السادس: شموس.

المبحث السابع: حال الكسوف أو السقوط.

المبحث الثامن: شروقها أو غروبها.

المبحث التاسع: القمر.

المبحث العاشر: حال الخسوف أو ظلمته.

المبحث الحادي عشر: ليلة البدر.

المبحث الثاني عشر: أقمار وأهلّة.

المبحث الثالث عشر: الشمس مع القمر.

المبحث الرابع عشر: النجوم.

المبحث الخامس عشر: الشهب.

المبحث السادس عشر: حال النجوم مع البدن.

المبحث السابع عشر: حال المصير.



تمهيد

وهنا سنتدارس عن أحكام رؤيا الكواكب بصورة وجيزة تشبيهًا بالشمس عند إشراقها، وبالقمر عند بدء هلاله؛ لكي يسهل عليك فهم الحِكَم واللطائف النفيسة المترادفة.

وفي مطلعها صغت فوائد قليلة الكلم غزيرة المعنى مختصرة، ثم شيئًا فشيئًا تجد روحك بين سعة وبسط، وغزارة في الفائدة إن شاء الله تعالى، فتفطن لها.



المبحث الأول: دلالات المعالم العلوية

قال تعالى: ﴿ وَعَلَٰمَٰتٍۚ وَبِٱلنَّجۡمِ هُمۡ يَهۡتَدُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ [النحل] أي: معالم، ونذكر هنا دلالات لكيفية العبور بما دلت عليه الكواكب:

ونبدأ بالفلك فدال: على صحبة الملك أو الحاكم أو الأمير أو كاتبه أو رجلٍ جليل القدر، وهذا مستنبط من رؤيا يوسف عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، ودال على الزواج، وعلى السُفُن والكلفة، والمأمورية من كبير ونحو ذلك، فما جرى من خير أو سوء عاد على من دل إليه، فافهم ذلك.





المبحث الثاني: السماء

دالة على الحاكم وحشمه، والوالي والعالم، أو الوالد ونحوه ممن هو فوق، وعلى الولاية، وكل من له فضل عليك، فمن صعد إليها من الأصحاء دال على الرفعة والزوجة والدور، ودخول دور الأكابر، وعلى السفر، أو كل مكان غريب، وهذا القياس مما جرى ليوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

وإن كان من المرضى ولم يرجع منها مات، ويدل على سقف البيت، وأعلى الرأس، وتدل على نفسها، وعلى الماء، وغير ذلك.

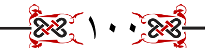
فإن أصاب فيها أو مما فيها من ملائكة، أو رائحة، أو مأكولًا، وكان كل ذلك مليحًا، حصل له فائدة وراحة ممن ذكرنا.

وأما إن كان فيها عكس ذلك كالظلام، أو الحيات، أو جن، أو دخان، ونحو ذلك حصل له نكد ممن ذكرنا.

كما قالت لي امرأة: رأيت مطرًا غزيرًا، وكانت هناك سُحب ونزل من السماء ثعبان أخضر اللون، فقلت: سأسأل أبا الربيع. **قلت**: جائحة على الزرع، وتشكين من رأسك أو بصرك بسبب البلغم منذ سنوات، وحصل لك نكد من أحد الأقارب بعد أن كان يُظهر الخير خلاف ما يُبطن من سوء. **فقالت**: صحيح.

وإذا أمعنت في الرؤيا لوجدت أن هناك حائلًا من أن تُرزق بذرية، فكان حالها كذلك.

واعتبر بما جرى في السماء على البحار والمياه؛ لأنها معدن الغيوم والأمطار، فما جرى فيها من خير أو سوء عاد على ذلك.



المبحث الثالث: الشمس والقمر

دال أحدهما على الملك أو السلطان والوالي والآباء والأزواج والأبناء والعلماء والأستاذ والأقارب، وكل من كان جليل القدر، والأموال والمعيشة، والعلوم ونحو ذلك، وذلك لعموم انتفاع الناس بهما ولضرر بعضهم منهما، وهذا من حال قصة يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ فما جرى من خير أو شر عاد على من دل عليه.

وما سيأتي بيانه من الدلالات المليحة كلها تصب نحو الكواكب ومنها الشمس والقمر.



المبحث الرابع: نور وإنارة

ضوء أحدهما بلا أذى: هيبة وعدل وفائدة ممن دل عليه؛ لأن زيادة ونقصان الضوء يرجع على من دل عليه، والقمر أدنى مرتبة من الشمس، ومن حال النور والإنارة فاعتبر الشمس بامرأة حسناء، وكذلك القمر، وهذا من رؤيا يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

والنهار والنور يدلان على الهدى والخير والراحة، وعلى خلاص المشدودين، وعلى إظهار المستورين، ويدل على المريض بوجع العين وطول مرضه، وإن قوي خشي عليه، وهذا مما جرى لامرأة العزيز بعد فقدانها ليوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ إن صح ما قيل، أو مما جرى ليعقوب عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، والله أعلم.



المبحث الخامس: الشمس

ومن دلالات الشمس دالة على زواج الأعزب، وللحامل ولد ذا حسن وجمال، أو فوائد وأرباح إن رأى الشمس في النهار عنده أو في داره، أو على رأسه، أو أمامه أو يحملها، ولم تؤذه، وأكثر فائدة إن كان ذلك في الشتاء، أو مجيء من دل عليه كما جرى ليوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ من مجيء أهله، وأما إن صدر منها أذى أو من حرها وأحرقته تنكد ممن أشرنا إليه، وإذا كان في الصيف كان رديئًا.

واعتبر الشيء الذي آذته أو أحرقته فإن كان في البساتين أو الزراعات أو الناس بصفة الجمع فأوبئة وأمراض ونحو ذلك، ومن الأدواء الصفراء وعلاج ذلك بالمسهل مع مادة باردة رطبة، أو ظُلم ممن دل عليه، أو جوائح، أو ارتفاع في أسعار المأكول، وربما خلّف حروب ونحو ذلك، وانظر موضع ذلك المكان وتكلم عليه.

واعلم أن المعالم العلوية غالبًا ما يستبشر بها إن لم يحصل منها أذى، وقد يُرى الشمس والقمر أو أحدهما وقد توفي أبواه فاعتبر ذلك بمعانٍ أخرى أو ربما يسلك أمرًا كان له صلة بأبويه أو بأحدهما، فافهم ذلك.



المبحث السادس: شموس

تأويل الأكثرية بنفع أو ضر: فكثرة الشموس على من دل عليه بالأكثرية كأقوام أو أرباب، فإذا تضرر الناس منهم حصل ظلم وشر من أولئك أو نكد على ذلك الشيء؛ وهذا مما جرى ليوسف عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ من امرأة العزيز وصواحب يوسف، وأما إن حصل النفع للناس أو في ذلك الشيء فأرباب عدل وأرباح، وفوائد من الغلال، أو بما اعتبر ذلك الشيء العائد نفعه من الشمس والقمر، وقد جرى نفعه لإخوانه، وذلك من تعدد الكواكب، وحصل في بادئ الأمر حر حسدهم وأطفأها بعفوه، فافهم ذلك.



المبحث السابع: حال الكسوف أو السقوط

وأما كسوفها أو الغبار عليها أو دخان ونحو ذلك كان دليلًا على من دل عليه الشمس بمرض أو غم أو كربة أو سجن، وإن كان مريضًا مات، أو حوادث مزعجة وخوف ونحوه ممن دلت عليه الشمس، فإن صلّى الرائي تم له مراده وإلا فلا، وقد جاء من حديث أبي بكرة رضي الله عنه، قال: كنا عند رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ، فانكسفت الشمس، فقام النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ يجر رداءه، حتى دخل المسجد، فدخلنا فصلى بنا ركعتين، حتى انجلت الشمس، فقال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ الشَّمْسَ وَالقَمَرَ لاَ يَنْكَسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ، فَإِذَا رَأَيْتُمُوهُمَا فَصَلُّوا، وَادْعُوا حَتَّى يُكْشَفَ مَا بِكُمْ**». [رواه البخاري، برقم: (١٠٤٠)، ومسلم برقم: (٩٠٤)].

كما قال لي إنسان: رأيت الشمس مكسوفة، ثم بان القمر. **قلت**: يحصل خوف وأحداث مزعجة في بلدتك، ويحصل ضعف لحاكم البلدة ومعتقده معتقد عباد النيران، ثم يظهر حاكم عادل بعد أن طال غيابه، وقد جرى ليوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ بعض مما ذكرنا.

وأما سقوط الشمس دالة على مصيبة إما عمومًا أو موت والد الرائي أو نكد بمن دلت عليه الشمس، أو تعطلت أرزاق الناس في تلك البلدة.





المبحث الثامن: شروقها أو غروبها

طلوع الشمس من المشرق خير وراحة وخلاص من شدة وعدل من الوالي أو ممن دل عليه، وغياب الشمس دالة على غياب من دلت عليه أو خلاص من شدة وذهاب نصب وتعب، وربما دل على انتشار المفسدين وفتن ونحو ذلك.

وأما طلوعها من المغرب دل على من دلت عليه، ودل على عودة حاكم البلد، أو عودة السجين، أو توبة الفاسق، أو مرض ونحو ذلك.

كما قالت لي امرأة: رأيت الشمس تشرق وكنت خائفة من حرها.

قلت: وجدت راحة من أمك بعد عودتها وتخشين تغيّرها معك.

فقالت: صحيح.



المبحث التاسع: القمر

ومنه الهلال: دليل على البشارة، أو غائب يقدم من تلك الجهة، وهو لمن عليه ديون مطالبات وهموم، وربما دل على نكد، ويدل على خلاص المسجون والمريض، ويدل على الأمن والأمان.

والقمر دال بما دلت عليه الشمس إلا أنه أدنى منزلة، ويعتبر بالأب في الغالب، ويدل على الغلام الحسن، أو الملك ونحو ما ذكرناه آنفًا، فإذا صدر منه خير أو سوء عاد على من دل عليه.

وقد رزق الله يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ شطر الجمال، ونال الملك وغير ذلك من الأمور التي سنتحدث عنها إن شاء الله تعالى.

فالنجوم: المُذكَّر منها ذَكَرٌ، والمُؤنث أُنْثَى، فالشمس مؤنث، وتدل على الأم أو الخالة، وأحيانًا تُعتبر بمعانٍ مختلفة، وقد يؤنث القمر في الاعتبار للجارية أو زوجة صاحب الرؤيا وغير ذلك، وقيل: إن القمر من رؤيا يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ يُعتبر بجدته.

كما قالت لي امرأة: رأيت القمر يدور حولي مرات عدّة.

قلت: أنت من الأشراف، وزوجك يمكر بك منذ سنوات، وتشكين من وجع في الرأس ومنه الدوار.

فقالت: صدقت.

المبحث العاشر: حال الخسوف أو ظلمته

دال على مرض أو نقص أو تغيّر على من دل عليه وخوف، وانشقاق القمر يدل على هلاك من دل عليه، أو وجع بالرأس، أو نكد على البلدة، وخصومة في الولاة وغير ذلك.

فإن أتم الرائي صلاته ذهب عنه ذلك وإلا فلا.

ومن يرى سقوط القمر في حجره دل على الزواج أو حمل غلام حسن، وربما كان اسمه محمد أو أحمد أو من آل البيت، وأعط لمن يرى القمر حسب حاله بقدر ما يليق به.

وأما مجيء الليل أو الظُّلمة فيدل على ضيق الصدر، وعلى رمد العين، أو على فراغ الأعمال، وأمن الخائف، ومن أراد أن يعمل مستورًا تم له مراده، ولعل اسم الرائية: ليلى، والظُّلمة للصحيح دالة على مرض اليبوسة، أو البرودة والرطوبة، أو وجع بياض العين، ولعل علاجه قدح العينين، ويدل على وجع الأسنان إن كان الرائي يشكو من ضر محسوس، أو تعب ونحوه، وهذا من أعراض البيضاء، وقد يكون من السوداء وذلك من سواد الليل، وإن قوي للمريض نوره أو بياضه طال مرضه وخشي فقدان بصره، أو أمر غفل عنه خصوصًا إذا تكررت رؤياه، وربما دل على الحزن والشكوى يبثها الرائي لله تعالى أو لكبير، وربما دل على السرطان، ويدل أيضًا على الغريم. فافهمه.

المبحث الحادي عشر: ليلة البدر

رؤيا القمر عند اكتماله خير وصلاح وعلم، ومنه علم التعبير، وخلاص من شدة، وهذا مما جرى ليوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وربما جرى ذلك في النصف من الشهر، ويدل نقصانه على عزل الوالي، أو على من دل عليه.

كما قال لي إنسان: رأيت خارطة البلدان على القمر، وكان بدرًا مضيئًا، وكان على بلدة أبي نصير، فأولتها حينها بانتشار الإسلام في كل البلدان.

قلت: وزد في ذلك إلى فيضانات ونحوها في أغلب البلدان، ودليله مما جرى مع نوح عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، قال الله تعالى: ﴿ فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَغۡلُوبٞ فَٱنتَصِرۡ ١٠ ﴾ [القمر]، فجرى ما ذكرناه.

وآخر يقول: رأيت القمر مضيئًا، ثم احمَرَّ، ثم صغر، ثم انشق نصفين.

قلت: جرى ظلم للأب بتهمة قتل حتى سُجن، وأخشى مآل ذلك إلى قصاصه.

قال: صحيح فهو مسجون بتهمة قتل وهو بريء منها.



المبحث الثاني عشر: أقمار وأهلّة

دالة على الفوائد، وعلى الخوارج، فإن انتفع الناس من ضوئهم فخير وإلا فلا، فقد نال أهل مصر فوائد ومنافع عدة، ومن ظلم إخوة يوسف وهم الكواكب لكونهم خرجوا على طاعة أبيهم عند مؤامرتهم، فكان هذا سببًا مما آل بأهل مصر من الفوائد.

وربما دل على المنازعة في الأمر، وهذا من رؤيا يوسف عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، واعتبر اشتقاقًا بالقمار، أو دل على الحلف اليمين وغير ذلك.



المبحث الثالث عشر: الشمس مع القمر

يدل على اجتماع من دل عليه، وذلك مما جرى ليوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وأما إن حصل قتال بينهما فدليل على حرب بين كبيرين، وتنتفع ملوك، فإن كانت أحداث الرؤيا في نهار فالغلب للشمس، وظهور أهل الحق، وإن كانت في ليل فالغلب للقمر، ويظهر أهل الظُّلم، وذلك من الظلمة، ومنه الظلم، وقس نحو ما ذكرنا إن صدر ارتطام ونحوه من أحد الكواكب مع كوكب آخر.

ويدل على الموت للمريض والخائف، قال تعالى: ﴿وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ٩﴾ [القيامة] وقد ذكر ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في "تاريخه" رؤيا لأحد الخلفاء العباسيين، وفيها اجتماع الشمس والقمر، فعبَّرها العابر بالموت، وجرى ذلك.

ودال على علم الحساب، قال تعالى: ﴿ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ٥﴾ [الرحمن].

وقد كان يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ بارعًا فيه وسيأتي بيانه.

وربما دل على خصام الزوجين والولدين والأخوين، ويدل أيضًا على مرض العينين وهذا من أحداث قصة يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، فافهم ذلك.



المبحث الرابع عشر: النجوم

كل واحد منهم يدل نحو دلالات الشمس والقمر، وذلك أن الشمس أو القمر يسمى: نجمًا، فدل على العلماء ونحوهم، فالكبار من النجوم أشراف الناس كالشمس والقمر، والصغار عوامهم، والمُذكر ذكور، والمؤنث إناث، كالزُّهرة والشعرى وبنات نعش ونحوهن، وربما دلت النجوم على ما يُذاع صيته، وتدل النجوم على الشيء الزجاجي المضيء، فإن كان بالليل ففائدة وإلا فلا.

فمن رأى النجوم على حال من هذه الأحوال وهي: إذا رأى أنه يرعاها، أو تحكّم فيها أو جاءت إليه، أو إلى داره، أو اجتمعت عنده ولم تؤذه فأعطه من الخير بقدر ما يليق به، وهذه الأحوال مستنبطة من رؤيا يوسف عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، والحكم على مراتب مختلفة وهي: إما ملك، أو ولاية، أو زواج، ويأتي من دل عليه إليه، أو يرزق ذرية، أو دلت على أقارب، أو أصحاب، أو أموال، أو عبادة، أو تلاميذ، وهذا كله مستنبط من قصة يوسف عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، ويكون ذلك على قدر كثرتها وقلتها من غير أذى، وأما إن آذت أو أحرقت فنكد ممن عاد إليه، أو من غلمان الأكابر، وربما للمسافر قطع طريقه كونها يُهتدى بها، فذلك منها أذى أو يُخلّف آفة وغيرها في مكانه، وكلما كان النجم بهيًا وأكثر إنارة من غير أذى كانت زيادة للرائي بما أشرنا إليه، وقد كان نبينا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ كالبدر، وهذا من التشبيه البليغ، وكان جمال يوسف عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ زيادة على جمال إخوته، ونال من الخير أضعاف مضاعفة في زمانه، وربما كانت الزيادة نكد في حق الرائي إن كان لا يليق به، وإذا كان في النهار دل على الحروب.

المبحث الخامس عشر: الشهب

هي كالنجوم بالكثرة إذا رئيت في النهار.

وإما إن كانت في الليل من دون أذى دل على صرف الآفات على من دل عليه الملك والظفر بالأعداء والجواسيس، وتجريح في مبتدعة، وعافية للمريض، وأمان للمسافر.

ودالة على حوادث وتكون عاقبتها سليمة، وإذا جرى أذى كالصواعق فأخبار رديئة، أو نكد على الرائي من قِبل من دل عليه الباري سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، أو على ذلك الموضع، وربما دالة على كلام لزجر الرائي، والله أعلم.



المبحث السادس عشر: حال النجوم مع البدن

إن صار جسمه نجومًا كثرت عليه ديونه لأنها شبيهة بالأموال كالدراهم والدنانير ومطالبات؛ لكون الناس يتطلبون النجوم سواء كان في سفر أو حضر، أو حقوقهم، أو يتكلم الناس في عرضه، وذلك كونها ظاهرة على عرض البدن، ومغاير لطبيعته، وهذا جرى ليوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ في عرضه، أو يطلع في جسمه مرض أو دماميل أو جُدَري أو طلوعات، وهذا في الغالب وربما من البيضاء أو السوداء فهي شبيهة بالنجوم كونها طالعة، أو لعل سببه نظرة أو تعب من الجان، وذلك اشتقاقًا من النجوم، وأما إن رأى كأنه بلع نجمًا اعتقل إنسانًا، وربما أحب من دل النجم عليه كونه في فؤاده، فإن أحرق شيئًا في فؤاده، تنكد ممن ذكرنا وإلا فلا، فإن أخرجه من فؤاده أخرج المعتقل، أو ترك محبة من وقع بفؤاده، أو زال النكد الذي بفؤاده، ومن رأى كأنه يأكل النجوم وطعمها في فمه طيب حصلت له فوائد ممن ذكرنا، وربما صار منجمًا أو حارسًا، وإن كان طعمها رديئًا فنكد ممن ذكرنا، ومن رأى كأنه يتقيؤها دل على رد حقوق، أو خروج أذى، أو ممن دلت عليه، وتدل على البيض المقلي، فإن كان رديئًا فمادة سامة إن أكله، وتدل على المال والورث، وعلى البرص وذلك لبياض القمر، ودال على الغرق ونحوه، فافهم ذلك.

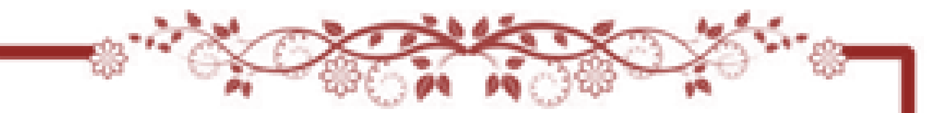


المبحث السابع عشر: حال المصير

إذا صار من النجوم عاشر من دل عليه، وهذا جرى ليوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ كالملوك أو الولاة أو العلماء، أو ممن دل عليه من الأكابر، أو غلمانهم، أو أرباب الحرس، وذلك كونها مانعة للشياطين من استراق السمع، أو يعاشر قطاع طرق، كونهم يظهرون في الليل وأعطه بقدر ما يليق به، وأما سقوطها أو ضِرابها بعضها في بعض، أو طلوعها والشمس طالعة: دال على الحروب والفتن والموت ممن دل عليه، وهو نحو حال الشمس والقمر، قال تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتۡ ۝٢﴾ [التكوير]، وهذا يوم القيامة، أي: وإذا الكواكب تساقطت ومُحي ضوؤها، وعند موت إنسان يقال: فلان قامت قيامته، وسقوط النجوم في الغالب لا يُحمد فهو موت عالم، وذهاب نوره، ويدل على الظُّلمة وتفشي الجهل والبدع والفساد، ومن رأى كأنه يطمس النجوم دل على معتقد فاسد كالرافضة أو يحصل أمر رديء ممن دل عليه، والأسرع وقوعًا للتأويل عندما تأتي الرؤيا بصفة: رأيت أني صرت كيت وكيت، قلت: تصير كيت وكيت، فيصير كذلك، فافهمه.

وعلى هذا فقس في الإشارات العلوية كالسُّحب والثلوج والمطر والرعود ونحوها النازلة إلى الأرض، فما جرى من خير أو سوء دل عاد على من دل عليه، وقس على ذلك في الصاعد من الأرض إلى السماء، والله أعلم.





الباب السابع:
وِهيجُ الشمس



المبحث الأول: الرؤيا ذات أُفُق واسع.

المبحث الثاني: يا زُهرة إنما أستمد قوتي بتوحيدي لخالقي.

المبحث الثالث: فقيه مُلهم وطويلب اظَّلَم.

المبحث الرابع: دلالات الظلم من قول أو عمل.

المبحث الخامس: وفي الليلة الظلماء يُفتقد البدر.

المبحث السادس: لكل ريح طيبة فترة.

المبحث السابع: كسوف وخسوف.

المبحث الثامن: كوكب وكوكبة.

المبحث التاسع: في صحراء لا ظهير في عز الظهيرة.

المبحث العاشر: كوكب محبوب حلَّت عليك كُروب.

المبحث الحادي عشر: يُشترى بأغلى الأثمان...

المبحث الثاني عشر: ...ويسمّى بأحسن الأسماء.

المبحث الثالث عشر: حزام على امرأة العزيز.

المبحث الرابع عشر: القمر يستمد نوره من الشمس.

المبحث الخامس عشر: دَرْس من سجن يوسف.

المبحث السادس عشر: وهل يَخْفَى على النَّاس القمر.

المبحث السابع عشر: بديهة وبديهية.



تمهيد

ومن هذا الباب ستجد طريقة الحديث فيها بسط في كل فائدة، وذلك لكي تُدرك حُسن الاستنباط بعد التدبر في كلام الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، وأيضًا دلائل للعبور لمن رأى يوسف عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ، أو نحو رؤياه.

وزدت من الفوائد المليحة بما فتح الله عليَّ، وليس فيها من الهذيان أو الخرافة وفلاسفة الكلام، وهذا الاستنباط من المعاني والدلالات منها ما هو مقرون بيوسف عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ، ويَعضُد ذلك أدلة من الكتاب والسنة، ومنها ما هو مقرون بإخوته، ومنها ما هو مقرون بأبويه، وكذلك بامرأة العزيز، ومنها فوائد ولطائف نفيسة، وذلك من إشارات الكواكب والشمس والقمر، وزد على ذلك مما يرجع لنبينا محمد صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ في أغلب الفوائد، وهذا يُحفز نماء فكرك للاطلاع والسعي وراء فوائد ملاح، وقد زيّنّاها بمسميات لامعة فائقة الحسن والجمال، تحتاج منك إلى تأمل وفكر، وذلك تشبيهًا بجمال البدر في ليلة كماله، فأمعن في ذلك.

وقبل أن نسرد هذه اللطائف الحسان نتعلّم أن الكواكب يُطلق عليها نجوم كما عند أهل اللغة، وذُكرت في كتاب الله تعالى بالمصابيح، وأيضًا بالبروج.

ومعتقدنا معتقد أهل السنة والجماعة وذلك من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل، وأيضًا ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۝١١ ﴾ [الشورى].

فائدة: حين اطلاعك للفوائد القادمة لعلك ستجد بعضها متشابهة، ولكن ستجد في كل جعبة فائدة تختلف عن الأخرى، وكان علينا لا بد من هذا التشابه والتقارب،

وذلك من تقارب الكواكب وتشبيه ضوء الغروب بالغلس، ونحو ذلك من القرائن المتقاربة بين الشمس والقمر.





المبحث الأول: الرؤيا ذات أُفُق واسع

فمن رؤياه دليل على البسط، فيستنبط من الأمر معانٍ عدَّة، كالرؤيا دالة على دلالات عدّة، فقد لا يذكرها العابر الواحد، وتُقص الرؤيا لمعبرين آخرين فتقع أقوالهم مع اختلاف تأويلاتهم، وليس هذا في كل رؤيا.

وسنتحدث عن بعض الأمور المختلفة التي جرت ليوسف عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وذلك من رؤياه، ولما كانت النجوم دالة على العلماء في الأفق ومتفاوتة كانت كذلك المسألة لها وقفات عدّة من علماء الشريعة من غير الخروج عن طور المعنى، وقس على ذلك في الرؤيا وعبورها، فهي أوسع مما يظنُّه العابر، ودليله من تفسير يعقوب عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ الذي فسّره إن كان فسّرها، وذلك بأوجه عدّة منها: الاصطفاء، وتعلم تأويل الأحاديث، وإتمام النعمة، وكما عبر نبينا محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ رؤياه للرطب بأمور عدّة. وبما أن كثرة الكواكب في رؤياه مختلفة كاختلاف الشمس والقمر فهو كذلك في الدلالات المختلفة المتوافقة لشهود الرؤيا الواحدة.

وقس على ذلك في الرؤيا، فحال الرؤيا تختلف بحسب أحوال الناس بقدر مكانتهم، أو همتهم، كما هو حال الكواكب وتفاوتها، وهي أمثال تُضرب بالمنام، وإن كانت بعض رموزها غير مقبولة، لكنها جارية في الرؤىٰ كرؤيا يوسف عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ من سجود الكواكب له.

وكلما كانت الرموز أرفع كانت للرائي أنفع، ولا تُعظّم الرؤيا بذاتها، وعلينا بالتوكل على الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ، والعمل بالأسباب؛ فترك الأسباب قدح في الشريعة، والعلم لا يُنال بالرؤىٰ والأحلام، وليحمد الله الرائي على هذه النعمة، وهذا من باب

التذكير، وكل هذا مستنبط من رؤيا يوسف عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

والرؤيا لها دلالات عدّة، فإنك لو تأملت إلى رؤيا يوسف عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ فيها الكواكب والشمس والقمر، فكلها متصلة كما في اليقظة إلا السجود، فإنه مختلف عنها إلَّا إنه يصب إلى المصير المتوافق معها.

ومن هذا التعدد واختلاف وتقارب الكواكب دليل على اختلاف أعمار إخوة يوسف عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وكذلك في آرائهم، ودليل ذلك فالأول رأى بقتله، والآخر قال: ﴿لَا تَقۡتُلُواْ يُوسُفَ﴾ [يوسف:١٠]، وأيضًا دلالة على أن هناك صفات متشابهة فيما بينهم، وأما الشمس والقمر فهما أكبر منهم، وذلك كونهما بمقام الوالدين، وبينهما اختلاف كذلك، وكلما كانت رموز الرؤيا أرفع كانت معانيها أوسع.

كما قال لي إنسان: أراني قريبٌ لي مات غرقًا في أعماق البحر ولم تطفو جثته.

قلت: يسافر ويلهمه الله بأسرار وجواهر من علوم عدة، ويربح من تجارة، ويمرض بالرطوبة، ويشتكي من فقدان حاسة الشم، فكان ذلك.

وعند أهل اللغة يقال أفق: الأُفْق والأُفُق مثل عُسْر وعُسُر: ما ظهر من نواحي الفَلَك وأَطراف الأَرض، وكذلك آفاق السماء نواحيها، وكذلك أُفْق البيت من بيوت الأَعراب نواحيه ما دون سَمْكه، وجمعه آفاق، وقيل: مَهابُّ الرياح الأَربعة: الجَنُوب والشَّمال والدَّبور والصَّبا.

وقوله تعالى: ﴿سَنُرِيهِمۡ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلۡأٓفَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمۡ﴾[فصلت:٥٣].

قال ثعلب: معناه نُرِي أَهل مكة كيف يُفتح على أَهلال آفاق، ومَن قرُب منهم أَيضًا. وعلى هذا المنوال نتعلّم من رؤيا يوسف عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أن الرؤيا التي فيها بشارة أحيانـًا يُستنبط منها نذارة.



المبحث الثاني: يا زُهرة إنما أستمد قوتي بتوحيدي لخالقي

ومن العلامات النفيسة: دلالة على الإخلاص، ومنه التوكل.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: التوكل نصف الدين. [مدارج السالكين (٢/ ١١٣)].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كثرة الذنوب مع صحة التوحيد خير من قلة الذنوب مع فساد التوحيد. [الاستقامة (١/ ٤٦٦)].

فأصل دعوة الأنبياء والرسل هو إخلاص العبادة لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ودلالة الشمس والقمر والكواكب على هذا المعنى، قوله تعالى: ﴿وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتِۭ بِأَمۡرِهِۦٓۗ أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٥٤﴾ [الأعراف].

خلق الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ الشمس، وخلق القمر، وخلق النجوم مُذلَّلات مُهَيَّآت، ألا لله وحده الخلق كله، فهل من خالق غيره؟! وله الأمر وحده، وقوله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۖ فَأَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ٦١﴾ [العنكبوت].

وصلة ذلك مما جرى ليوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ عندما كان في السجن من قوله: ﴿وَٱتَّبَعۡتُ مِلَّةَ ءَابَآءِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشۡرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَيۡءٖۚ ذَٰلِكَ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ عَلَيۡنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشۡكُرُونَ ٣٨ يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ٣٩﴾ [يوسف].

ودالة على الخلاص عند الهرج والمرج، ودليل ذلك مما جرى ليوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ مع امرأة العزيز، وهي ذات حسب ومال وجمال وطلبها كان برفق ولين معه، ونظير ذلك جمال يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ في ريعان شبابه، وغربته عن

أهله، وفي مكان قد أُغلقت أبوابه، وصار خالٍ سواهما فالفتنة بهذا الحال لا يصدها إلا من كان مخلصًا تقيًا نقيًا خفيًا موفقًا من خالقه، ولهذا استمد ثباته بخالقه عند الفتن من قوله: ﴿قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٢٣﴾ [يوسف]، فلم تكن الشمس قادرة على القمر بتغيير مساره أو إذهاب نوره فاعتصم بالله، وذكر فضل سيده له لأن الكريم لا يغدر، فكيف بالكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم، فحصل له النجاة، وذلك من قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصۡرِفَ عَنۡهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلۡفَحۡشَآءَۚ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُخۡلَصِينَ ٢٤﴾ [يوسف].

ولهذا جاء من حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قال: قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَنْ أَكْرَمُ النَّاسِ؟ قَالَ: «**أَتْقَاهُمْ**»، فَقَالُوا: لَيْسَ عَنْ هَذَا نَسْأَلُكَ، قَالَ: «**فَيُوسُفُ نَبِيُّ اللهِ، ابْنُ نَبِيِّ اللهِ، ابْنِ نَبِيِّ اللهِ، ابْنِ خَلِيلِ اللهِ**». الحديث [رواه البخاري، برقم: (٣٣٥٣)، ومسلم، برقم: (٢٣٧٨)]، والتقوى أيضًا من الاتقاء.

وذكر أهل العلم ومنهم ابن تيمية والشهاب العابر رَحِمَهُمَٱللَّهُ: أن القمر يستمد نوره من الشمس، وهذا الكلام انتقد من البعض في عصرنا، وقالوا: كيف يستمد القمر نوره من الشمس، وقد خلقه الله وجعله نورًا، وخلق الشمس وجعلها ضياء!

قلت: وإن كان كذلك كما في القرآن الكريم، فالقمر كونه نورًا ليس بمستحيل أن يستجلب نوره من الشمس، وهذا لا ينافي الآية، ألا ترى إلى الرطوبة كيف تنشأ من البرودة، وكذلك اليبوسة كيف تنشأ من الحرارة، وغير ذلك من الأدلة المعتبرة، وعلى قول من ذهب أن القمر يستمد نوره من الشمس فقد جعلت قاعدة في رؤية الهلال إن جرى كسوفًا كليًا للشمس في بلد فإنه يتعثر عليهم رؤية الهلال، فجرى ذلك في زماننا حيث جرى كسوفًا كليًا في بلدان شرق آسيا في صبيحة تسع وعشرين

من شهر رمضان، وتعثر عليهم رؤية هلال شوال، وأما البلدان التي لم تُكسف فيه الشمس فلم يتعثر عليهم ذلك.

ولما كان العالِم الموحد كالقمر فإنه يستمد ثباته عند الفتن من السراج المنير، وهو مما أُنزل على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وسيرته، وكما قيل: لولا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ثم البخاري ما كان مسلم، **قلت:** ولولا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ثم الشافعي ما كان أحمد بن حنبل، ولولا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ثم ابن تيمية ما كان ابن القيم رَحِمَهُمُ اللَّهُ جميعًا، ولولا الله ثم شيخنا مقبل الوادعي رَحِمَهُ اللَّهُ ما كان شيخنا يحيى الحجوري حفظه الله.

وقيل: إن يوسف عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ اكتسب جماله الباهر من جدته سارة، **قلت:** بل ومن أمه راحيل؛ فقد كانت ذات حسن وجمال، وأيضًا من عفته وهذا التشبيه يوافق من قال: إن القمر يستمد نوره من الشمس.

ولمن رأى مثل ذلك فدالة على الزواج بامرأة حسناء، أو ابنة ملك، أو جليل القدر، فتعينه على الخير والدعوة إلى الله تعالى، كما جرى من خديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا مع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وكذلك عندما أشارت أم المؤمنين أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أن يخرج على المسلمين بعد الحديبية ويحلق أمامهم كي يقتدوا به.

ومن أزواجه من كانت ابنة سيد قومها، وذلك لأن الكواكب تُقارب من جنسها كما في رؤيا يوسف عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، فافهم ذلك.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: لقاحُ الهمَّةِ العاليَة النيّة الصَّحِيحَة...، فَإِذا اجتمعَا بلغَ العبدُ غايةَ المُرادِ. [الفوائد (٢٠٠)].

المبحث الثالث: فقيه مُلهم وطويلب اظّلم

ومن **التُّحف**: دلالة على الظُّلم، وعلينا أن ندرك مكانة العلماء كونهم ورثة الأنبياء، ويحكمون على الظاهر، وفق الكتاب والسنة، وأما السرائر فعلمها عند عالم الغيب والشهادة، وإذا تأملت في قصة يوسف عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وإخوته حيث أسرعوا بالمكر به من أوجه عدّة منها: بحجة الظاهر: ﴿وَجَآءُوٓ أَبَاهُمۡ عِشَآءٗ يَبۡكُونَ ١٦﴾ [يوسف].

ثم بعد ما اتفقوا انتقلوا إلى هجوم ريح الحجج والتلبيس على أبيهم، وذلك من قولهم: ﴿قَالُواْ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبۡنَا نَسۡتَبِقُ وَتَرَكۡنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئۡبُۖ وَمَآ أَنتَ بِمُؤۡمِنٖ لَّنَا وَلَوۡ كُنَّا صَٰدِقِينَ ١٧ وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٖ كَذِبٖۚ﴾ [يوسف:١٧-١٨].

فما كان من نبي الله يعقوب عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ إلا الحكم بما أظهروه بعد أمر الله تعالى مع تفطنه لكيدهم، ﴿قَالَ بَلۡ سَوَّلَتۡ لَكُمۡ أَنفُسُكُمۡ أَمۡرٗاۖ فَصَبۡرٞ جَمِيلٞۖ وَٱللَّهُ ٱلۡمُسۡتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ١٨﴾ [يوسف].

والمقصود: أنه قد يُظلم طويلب العلم من قبل إخوانه من طلبة العلم، وليس من قِبل شيخه، ولعل عددهم أحد عشر، أو الشريك من شركائه، أو من هو على شاكلته، فتحصل الحجّة لهم بسبب ما قاموا به من تعصب وتأجيج وبرهان، ودلالة ظاهرة مزخرفة كقميص يوسف عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وبكائهم، وذلك على تلطيخ عرضه، ولكن العالم الربّاني يدرك في نفسه أنها خساسة من قِبلهم؛ لأنه مُلهمٌ، ويرى بنور من الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ، وبصيرة نافذة، وذلك من سلامة القميص، وحالهم غِيرة غلت،

وطغت وحال الفقيه ﴿قَالَ بَلۡ سَوَّلَتۡ لَكُمۡ أَنفُسُكُمۡ أَمۡرٗاۖ فَصَبۡرٞ جَمِيلٌۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأۡتِيَنِي بِهِمۡ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ٨٣﴾ [يوسف].

وليس بيده شيء، وهذا الذي ينبغي عليه، واقتضت حكمة الله أن يصمت صغيرهم وهو كغياب يوسف عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وذلك إمّا لضعفه أو لإجلاله تجاه إخوته المزخرفين بالقول، فينبغي على من ظُلم أن يصبر وسيأتي ﴿إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٩٠﴾ [يوسف].

ومدلول الكواكب بهذه الفائدة من ظلام وظُلمة الليل فإن الليل يصير دُجى عند فقدان البدر، كما غاب يوسف عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ في رؤياه جوار الكواكب، وكذلك من بدء ذكر الكواكب ثم عقَّب الشمس والقمر، وكأنها إشارة على تعصبهم وتكاتفهم، وقس على ذلك بغياب شمس الحجة في النهار، أو اختفاء قمر الدليل في الليل لفترة، وسرعان ما تنقشع ظلمة الباطل، أو تكبت غيرة الحسد بالصبر، فافهم ذلك.

وقد جرى ليوسف عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ظلم إخوانه له، وظلمة الجب، وظُلم من امرأة العزيز وزوجها، وظُلمة السجن، ثم انكشف عنه تلك المظالم لطلوع إشراق الشمس بعد الظلام، أو من نور القمر في ليلة كماله، فبان وانكشف عنه ذلك.



المبحث الرابع: دلالات الظلم من قول أو عمل

ومن قرائن الظُّلم في المنام كالقتل أو الرّمي والرجم، كما جرى لنبينا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ من قِبل أهل الطائف، أو الذبح أو لطم الوجه، أو إشارة من إشارات الاعتداء، والظلام والظُّلمة منهما اشتقاقًا، وكذلك تحديق العينين من صاحبها، أو توجيه أصبع السَّب على المظلوم، أو تلطيخ شيء يتعلق بالدم ونحوه، أو من اشتهر بالظُّلم كالحجاج الثقفي، وغير ذلك من أوجه الاستدلال.

واعلم أنه من ظُلم واتقى وصبر نال عزًّا، ولما اجتمع في يوسف عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ صغر سنه، وفَقَد رعاية أبيه وإلقائه في البئر وغير ذلك من الأمور نال رفعةً وعزًّا وسيادة، ولعل طالب العلم جرى له كلام في حقِّه، أو في عرضه، وعليه أن يلزم عبادة الصبر.

كما قال لي إنسان: رأيت فلانا لطمني حتى احمّر وجهي، وكظمت غيظي.

قلت: يظلمك فلان، ويكتب أقاويل كاذبة في عرضك، وخير تنفع به الآخرين فتصبر، وتعفو ويُبدلك الله خيرًا كثيرًا، فجرى منه ذلك.

ربيعية: فمن تجرّع مرارة الصبر والحنظل وكان مذاقه عليه عذبًا تحمّل البلايا والمحن، وهذا إنما تشبيه.





المبحث الخامس: وفي الليلة الظلماء يُفتقد البدر

ومن الإشارات المليحة: دالة على الغياب، كما هو حال الشمس عند غيابها وغروبها، وكذلك في حال القمر، وستجد أننا نتكلم تارةً عن معنى الكوكب بما يوافق حال يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وتارةً عن معنى الشمس بما يرجع إليه، وتارةً لغيره، وهذا كله جائز؛ لأنها جاءت في رؤياه، فله نصيب منها، وإذا أمعنت في قصته لوجدت الغياب جرى له بأوجه عدّة:

منها: غيابه عن أهله بدلالة الشمس والقمر باعتبار والديه.

ومنها: غياب امرأة العزيز عنه عندما سُجن باعتبارها الشمس كذلك.

ومن صفة الغياب ما جرى له من رميه في غيابات الجُب، وهذا من اللفظة اشتقاقًا. فتفطن لذلك.

وغياب القمر في الليل أبلغ في الحاجة إليه، وذلك لحاجة النفوس إليه، وقد جرى ذلك ليوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، أعني الغياب عن أهله ما يقارب أربعين سنة أو ثمانين سنة على قول بعض أهل التفسير، وأما عودته بعد الغياب فجرى ذلك؛ لأن الشمس والقمر من إشارات رؤياه، وإن كانوا هم من أتوا إليه، ولكن ذلك بطلب منه، ولما كان المجيء من طبيعة الشمس والقمر جرى منهما ذلك، قال تعالى: ﴿وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٣﴾﴾ [يوسف]، وقوله: ﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِيَ إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُم مِّنَ الْبَدْوِ﴾ [يوسف:١٠٠]، فافهمه.

والمتأمل في سورة يوسف يجدها أحداث مترادفة، وذلك من اللفظ: "جاء" فتجد قوله تعالى: ﴿وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ ﴿١٦﴾﴾ [يوسف].

وقوله: ﴿ وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٍ كَذِبٍۚ ﴾ [يوسف:١٨].

وقوله: ﴿ وَجَآءَتۡ سَيَّارَةٌ فَأَرۡسَلُواْ وَارِدَهُمۡ ﴾ [يوسف:١٩] ونحوها من السورة.

وتجد في ختام السورة قوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسۡتَيۡـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ قَدۡ كُذِبُواْ جَآءَهُمۡ نَصۡرُنَا ﴾ [يوسف:١١٠].

وهذا الحال شبيه بحال مجيء وقدوم الشمس والقمر، وهذا من التوافق العجيب.

وقد جرى الغياب لنبينا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ عن أقاربه وبلدته، وهي أحب البقاع إليه بعد أن جرى له من الأذية والشدة والمعاناة ما هو معلوم في سيرته، ثم عاد إليها فاتحًا مؤيدًا منصورًا، وكم من غريب وهو بين أهله أو في بلدته فصارت أشد من غربة البلد ألا وهي غربة الدين، ولما غاب بدر الإسلام قبل بعثة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ عاد نوره حتى ارتقى وصار بدرًا، وهي رسالة نبينا محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ، ثم اقتضت حكمة الله بعد الكمال إلى نقصان، ولن يبقى إلَّا قلة كما هو حال القمر، ففي الحديث قوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ: «**بَدَأَ الْإِسْلَامُ غَرِيبًا، وَسَيَعُودُ كَمَا بَدَأَ غَرِيبًا، فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ**» [رواه مسلم، برقم: (١٤٥)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ]، وسيعود في زمن المهدي وعيسى عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وقس نحو ما ذكرت في شمس الرسالة.

كما قال لي إنسان من اليمن: رأيت الشمس طلعت من المغرب. **قلت**: يظهر حاكم البلد بعد أن أشيع وعلم الناس أنه مقتول، أعني علي عبد الله صالح، والله أعلم.

وآخر مثله: قلت: صاحب الرؤيا من البلد ليبيا، وينتظر أمرًا يرجوه، فكان كذلك، ودليله أن البلد ليس لها حاكم يديرها.



المبحث السادس: لكل ريح طيبة فترة

ومن المعاني: دالة على السكون، قال تعالى: ﴿فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٩٦﴾﴾ [الأنعام].

فإن الليل والنهار يعتبران من الشمس والقمر، وقس منهما الرياح المحمّلة برحمة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فإنها موسمية تأتي تارةً وتسكن تارة بأمر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وكما في قوله تعالى: ﴿إِن يَشَأْ يُسْكِنِ ٱلرِّيحَ﴾ [الشورى:٣٣]، وبعض الأرواح طيبة كسحاب الغيث، فيكون حاله نفعًا للبلاد والعباد، وهذا الفُتُور لابد منه، وذلك من غير إرادته وبعدها ينجلي ويعود له العزم والنشاط، وفي الحديث قال النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ لِكُلِّ عَمَلٍ شِرَّةً، وَلِكُلِّ شِرَّةٍ فَتْرَةٌ»[رواه أحمد، برقم: (٦٩٥٨)، عبد الله بن عمرو رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا].

وتجد هذا المعنى جرى في حال يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وهي فترة بُعْدَه مما أدى إلى حزنه على أبيه، ومما أعياه من بعد الجب والسجن، وعندما أقبلت الريح الطيبة من قوله تعالى: ﴿إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَآ أَن تُفَنِّدُونِ ﴿٩٤﴾﴾ [يوسف].

جرى في روح أبيه العافية والقوة، فإن العالِم كالريح الطيبة ينتفع العباد بخيرها، وإن غابت فترة لكنها تعود.

وصلة هذا المعنى بالكواكب فإنه في القرآن عند ذكر الرياح يذكر الآثار العلوية كالسماء والليل والنهار والسحاب، وتجد حركتها في مواسم معلومة، ولذا فإنك تجد أناسًا يَجِدُّون في الصيف، ويَفْتُرون في الشتاء أو العكس، وذلك بما يرجع على أمزجتهم بهذه الفصول الموسمية وهذا كله بأمر الله سبحانه تعالى.

المبحث السابع: كسوف وخسوف

ومن دلالات الكواكب ومنها الشمس والقمر: دالة على الخوف والهول، وقد جرى ليوسف عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ من ذلك أمور عدّة:

منها: ما قام به إخوانه.

وإذا أمعنت في بادئ الأمر فلعل يوسف عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وقع في نفسه شيء من الخوف منهم لا سيما بعد كلام أبيه، وكذلك عندما رموا به في الجب، وكذلك عندما بِيع في مصر.

قال محمد بن مسلم الطائفي: بلغني أن يوسف عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ عندما أُلقي في الجب قال: يا شاهد غير غائب، ويا قريب غير بعيد، ويا غالب غير مغلوب، اجعل فرجًا ومخرجًا، وارزقني من حيث لا أحتسب. قال: فما بات فيه.

قال أبو الربيع الطاهري معقّبًا على هذا الدعاء: والإسرائيليات كما هو معلوم يُعتبر بها ولا تُعتمد، وهنا معناه يستقيم، وإذا تأملنا إلى معاني ألفاظه لوجدتها تلائم معاني الكواكب، وضرب آخر من حيث الاشتقاق في نبي الله يونس عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ عندما جرت عليه ظُلمات عدّة كان دعائه: لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين.

وارتباط هذه الإشارة بالكواكب فإن طلوع الشمس من مغربها من علامات القيامة، وهذا يدعو للخوف، والشدائد كما جاء عند مسلم من حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمَا، قال: سمعت رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ يقول: «**إِنَّ أَوَّلَ الْآيَاتِ خُرُوجًا طُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا**». [رواه مسلم، برقم: (٢٩٤١)].

وكما جاء في "صحيح البخاري"، من حديث أبي بكرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ الشَّمْسَ وَالقَمَرَ آيَتَانِ مِنْ آيَاتِ اللهِ، لاَ يَنْكَسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلاَ لِحَيَاتِهِ، وَلَكِنَّ اللهَ تَعَالَى يُخَوِّفُ بِهَا عِبَادَهُ**». [رواه البخاري، برقم: (١٠٤٨)، ومسلم، برقم: (٩١١)]. وهذا يدل على المخاوف عند الكسوف أو الخسوف، حتى إن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ كان يجر رداءه، وانظر إلى قوله تعالى: ﴿وَمَا نُرْسِلُ بِٱلْـَٔايَـٰتِ إِلَّا تَخْوِيفًا ۝٥٩﴾ [الإسراء].

وإذا تأملت بين الشمس والقمر فالشمس أكبر حجمًا؛ فدلالة على أن يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ عانى أشد المعاناة، وتوالت عليه المحن منذ الصغر، ومن قبل أن يُكلَّف بالرسالة، وهذا لم يحصل لنبي سوى نبينا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ، بل حال نبينا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ كان أشد بلاءً من أوجه عدة:

منها: أن نبي الله يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ابتلي بمفارقة أبويه، ثم اجتمع بهم، ونبينا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ لم يدرك أبويه.

ومنها: أن يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ عند غربته عاش وترعرع في كنف العزيز، فعاش عيشة طيبة، ونبينا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ جرى له من النصب والتعب ما هو معلوم في السيرة.

ومنها: أن إخوة يوسف فكروا بقتله، ثم اتفقوا على رميه في الجب، ونبينا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ عزموا وأرادوا قتله على الجادة، ولذا فإن قصة يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ تجد من حين فسّر له أبوه وحذّره جرى له من الشدة ما ذكرناه آنفًا، ثم جرى ليوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ العاقبة الحسنة والسيادة والرخاء والتمكين، ولو كانت كل كواكبه شموس لجرى غير ذلك. والله أعلم.

المبحث الثامن: كوكب وكوكبة

ومن الحِكَم: اعلم أن الكواكب تُذكَّر إلا كوكب الزُّهرة كما ذكر ذلك الأزهري، وكذلك من رؤيا يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ كانت الكواكب دلالة على إخوانه، ولكن لا نحصر هذا عند التأويل، فالشمس دالة أحيانًا على الذَّكَر، وعلى معانٍ أخرى كما تقدم ذكره، وقس على ذلك في القمر ونحوه الكوكب، فإنه أحيانًا يؤنث، فإنك إذا تأملت إلى كوكب القمر فإنه في الغالب يكون مذكرًا، ولكن هنا نشتق دلالة من معناه فيكون مؤنثًا، وقس ذلك كما في العدد، مثال على ذلك: أليس الكوكب دال على الأملاك والمعيشة ونحوهما؟ بلى، فجائز أن يكون الكوكب أو كوكب الأرض دال على أختين لمورث لهما بعد هلاكه، وذلك كونه دلالة على الأملاك والمعيشة، وهذه القرينة التي تُجزم بها عند تلاؤم الحال، وذلك من قوله تعالى: ﴿لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾ [النساء:١١]، فللذكر مثل حظ الأنثيين، فإذا اعتبرنا الكوكب مذكرًا لواحد كان كذلك دلالة لأختين؛ لأن الشمس والقمر يعتبران بالأبوين، وهلاكهما يشير إلى ما ذكرته آنفًا، فتفطن لذلك.

وإلا فالكواكب في الغالب ذكورٌ، واستدلال آخر أيضًا وذلك من قول عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا في حادثة الإفك: **والله لئن حلفت لا تصدقوني، ولئن اعتذرت لا تعذروني، فمثلي ومثلكم كمثل يعقوب وبنيه، فالله المستعان على ما تصفون، فانصرف النبي** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ، **فأنزل الله ما أنزل، فأخبرها، فقالت: بحمد الله لا بحمد أحد.**

فالأمر فيه سعة، وقد بيَّنا اعتبار الشمس والقمر من قبل، وبما أن الكواكب من رؤيا يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ معتبرة بالذكور وهم إخوانه؛ فهذا دليل على أنه ليس



لديه أخت من قوله تعالى: ﴿قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقۡصُصۡ رُءۡيَاكَ عَلَىٰٓ إِخۡوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيۡدًاۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ٥﴾ [يوسف].

فإخوته كانوا أحد عشر، فلعله لم يكن له أخوات، وهنا استدلال لكذب ما حرف في التوراة من أمر أختهم التي تم تلفيقها بالفضيحة والبهتان، وهذا دأبهم، وهنا فضحهم الله تعالى في هذه الآية، وإن كان لديهم أخت فحاشا وكلا في بنات الأنبياء، وليس كل ما في كتبهم صحيحًا؛ ففي "مسند" أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ من حديث أبي نملة الأنصاري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ: «**إِذَا حَدَّثَكُمْ أَهْلُ الْكِتَابِ فَلَا تُصَدِّقُوهُمْ وَلَا تُكَذِّبُوهُمْ...**» الحديث.

وإن كان لديه أخوات فالظاهر لم يدخلن في حكم الحسد ضد يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، لأن الحسد من قِبل الأخت على أخيها من النادر، وذلك لأن الحسد مذكرٌ، فيكون من ذكر على ذكر، أو يكون من أنثى على أنثى في الغالب، وأما إن صدر من أنثى على ذكر أو العكس فهو أفسد، والله أعلم.

فلو أن بين أخوة يوسف أخت واحدة لاقتصت أثره كأخت موسى لتعيده إلى أبيه، لأن الأخوات لا يعرفن طريق الجُب، وإنما يعرفن فحسب طريق الحُب.

مليحة فريدة:

فمن رآه في منامه أو نحو رؤياه لربما صُرف عنه ميراثه من أبيه.

المبحث التاسع: في صحراء لا ظهير في عز الظهيرة

ومن الإشارات أن الشمس دالة على التعب والعناء والصبر، وذلك من حال الشمس من حرّها وحرقها، وهي أهون في المنام إن لم يتأذى منها، ففي اليقظة إذا نظرت إليها فإنها تتعب البصر، قال الله تعالى: ﴿وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾﴾ [نوح]، وقال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ﴿١٣﴾﴾ [النبأ] أي: شديد الاتقاد والإنارة.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وهَّاجًا): وقَّادًا مضيئًا، وهذا يتولد منه حرارة وحرق ونحوه، وقال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا﴾ [يونس:٥].

والفرق بين الضياء والنور: أن ضياء الشمس فيه نور وفيه حرارة، ونور القمر فيه نور وليس فيه حرارة، ولما كان نبينا صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىآلِهِوَسَلَّمَ كالقمر نهانا أن ننظر في الكتب السابقة، وذلك حفاظًا على نور القمر، وكان هو بعد الشمس من رؤيا يوسف عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ، كما جرى من عمر بن الخطاب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ وترك ذلك، وأيضًا نهانا الإسلام أن نكلف أنفسنا بما لا طاقة لنا به، وهكذا كان قول يوسف عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ: ﴿وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّى كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [يوسف]، وقياسًا بأن امرأة العزيز بدلالة الشمس فحفظه الله تعالى.

ومما يستدل به على الصبر من سورة يوسف قوله: ﴿إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [يوسف]، وقد جرى له تعب وعناء من إخوانه؛ لأن الكواكب تستمد نورها من الشمس فنال منهم ومنها ذلك النصب من امرأة العزيز حصيلة حرارة العشق والهيام، ومن ثم حرارة الانتقام، وهو السجن، وكذلك

مما جرى له من نسوة المدينة والعزيز كما في قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنۢ بَعۡدِ مَا رَأَوُاْ ٱلۡأٓيَٰتِ لَيَسۡجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ حِينٖ ٣٥ ﴾ [يوسف].

وصبرك على الآخرين يعتبر بدرجة الإحسان إليهم، فبقدر صبرك يكن إحسانك إليهم وجمالك، والجزاء يكن لك أضعاف من رب العباد، وارتباط الكواكب على معنى الصبر قوله تعالى: ﴿ فَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ قَبۡلَ طُلُوعِ ٱلشَّمۡسِ وَقَبۡلَ غُرُوبِهَاۖ وَمِنۡ ءَانَآيِٕ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡ وَأَطۡرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرۡضَىٰ ١٣٠ ﴾ [طه]، فأمر الله تعالى بالتسبيح قبل طلوع الشمس قبل مجيء حرّها، وعند غروبها، وكما جاء في الحديث عن أبي مالك الأشعري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ «**وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ**». [رواه مسلم، برقم: (٢٢٣)].

فأهل الصبر تتفرس بالنور على وجوههم، كيف لا والجزاء من جنس العمل، وقس على ذلك القَدْر من الضياء على يوسف عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ بقدر التعب والنصب الذي جرى له في قفار كنعان وصحراء مصر، ولم يكن له ظهير، وبان ذلك الضياء في حسن جماله، وفي ذلك قال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ: «**عَجِبْتُ لصبرِ أَخِي يُوسُفَ وكَرَمِهِ وَاللهُ يَغْفِرُ لَهُ حَيْثُ أُرْسِلَ إِلَيْهِ لِيُسْتَفْتَى فِي الرُّؤْيَا، وَلَوْ كُنْتُ أَنَا لَمْ أَفْعَلْ حَتَّى أَخْرُجَ، وعَجِبْتُ لصَبْرِهِ وكَرَمِهِ وَاللهُ يَغْفِرُ لَهُ أُتِي لِيَخْرُجَ فَلَمْ يَخْرُجْ حَتَّى أَخْبَرَهُمْ بِعُذْرِهِ، وَلَوْ كُنْتُ أَنَا لبادرتُ الْبَابَ**». [رواه الطبراني في الكبير، برقم: (١١٦٤٠)، من حديث ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمَا، وقال الألباني: صحيح].

فقد ذكر في الحديث صفة الصبر والكرم، وهذا صعب الوصول إليه إلا لمن وفقه الله تعالى، وتجد من قوله: «**لبادرتُ الْبَابَ**»، دلالة على شدة البلاء الذي جرى ليوسف عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

ونذكر من "عدة الصابرين" لابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعض منها وهي: الأمر به،

والنهي عما يضاده، وتعليق الفلاح به، الإخبار عن مضاعفة أجر الصابرين على غيره، تعليق الإمامة في الدين، وما ذكره ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ يوافق مما جرى من يوسف عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ فكان للناس هداية في عبادة الصبر.

وفي "الصحيحين" من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ قال: قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ: **«إِذَا اقْتَرَبَ الزَّمَانُ لَمْ تَكَدْ رُؤْيَا الْمُسْلِمِ تَكْذِبُ، وَأَصْدَقُكُمْ رُؤْيَا أَصْدَقُكُمْ حَدِيثًا»** [رواه البخاري، برقم: (٧٠١٧)، ومسلم، برقم: (٢٢٦٣)، واللفظ له]، ولعل من مفاهيم هذا الحديث أيضًا أن المرء كلما كان صابرًا مصابرًا فإنه يتولد فيه الصدق، وغالبًا رؤياه صادقة صافية من الأضغاث وحديث النفس، والله أعلم.

وقد جرى لنبينا محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ من التعب والجهد والمصابرة في مواطن عدّة ما لم يجري لنبي قبله، فهو إمام الصابرين، وضرب أحسن الأمثلة في ذلك، وإذا تأملت إلى أحداث الأنبياء من التعب والنصب لوجدتها كلها جرت في نبينا محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ، والله أعلم.

وقفة مليحة:

تأملت في أحوال الناس في رؤاهم، فوجدت أنّ من يُرزقون برؤيا الكواكب يجد أحدهم تعب ونصب عندما يستيقظ على إثرها، ومثل هؤلاء قلة قليلة.





المبحث العاشر: كوكب محبوب حلّت عليك كُروب

ومن العلامات: دالة على كُربة من أحبّه، وبقدر حبّه تكن قدر تلك المحنة، فإن يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أحبّه أبوه فتنكد من إخوته بسبب ذلك، وأحبّته امرأة العزيز فسُجن بسببها، وكان السجن أحب إليه، وذلك من قوله: ﴿ قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِۖ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [يوسف].

وأحبّه السجين من قوله: ﴿ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾ [يوسف].

وكونه أيضًا عبر له بالخلاص من السجن وبثّ الفأل الحسن في روحه فأنساه الشيطان ذكره عند الملك، وهذا بأمر الله تعالى، وذلك لحكمة، وكذلك كما جرى له بسبب حب عمته له، والعجيب أن القريب قال: ﴿ ٱقْتُلُواْ يُوسُفَ ﴾ [يوسف:٩].

وأما الغريب فقال: ﴿ أَكْرِمِي مَثْوَىٰهُ ﴾ [يوسف:٢١]، فالود أرزاق، وإنك لا تدري في أيّ قلبٍ رزقك.

وإذا أمعنت في الكواكب وعظيم نفعهما للخليقة فلا ريب أن النفوس تحب تلكم الكواكب حبًا فطريًا، وتنشرح الروح بها، ولكن إن كان على الديمومة والزيادة وذلك في مخالفة الشرع في الليل والنهار حلّ بالشمس الكسوف وبالقمر الخسوف بسبب ذلك بعد أمر الله سبحانه تعالى، وذلك لتخويف عباده، وكل محبوب لشيء من الطبيعة فقد ذَلَّل الله له الشمس والقمر وذلك بما يعود عليه من نفع، فإن خرج عن الاعتدال كان مضرًا.

وتشبيه نبينا محمد صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰٓآلِهِوَسَلَّمَ بالشمس عند الإشراق، والقمر ببدره دليل آخر على حب ذلك، ولكن باعتدال، ومن زاد فخرج كان سُحقًا سُحقًا، فافهم ذلك.

سائل يسأل: لِمَ جرى الكسوف في حياة نبينا محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ، ولَم يحدث خسوف القمر؟

والجواب:

أولًا: لله الأمر من قبل ومن بعد، فيفعل ما يريد وكله لحكمة.

ثانيًا: لعل الحكمة لأمرين:

أحدهما: هو درس للصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، ولأمته، ما هو تأويل هذا الحدث، وهو خلاف ما ذهبوا إليه.

والآخر: إن الله شبّه نبيه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ بالقمر في مواضع عدّة، فلعل العدم ذلك لوجوده بين أصحابه، وما زال على قيد الحياة، فكيف يُكسف وهو بينهم، والله أعلم.



المبحث الحادي عشر: يُشترى بأغلى الأثمان...

ومن الدلالات المليحة: دالة على الطلب الحثيث له، فيُطلب ولو بثمن مرتفع من قِبل كبير من غير بلده، وذلك مقابل أمر معقول على ظاهره، أو شيء يُتقنه، ومعلوم أنه لا يُطلب على هذه الصورة إلا شيء نفيس، وقد جرى ليوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وذلك من قوله: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِى ٱشْتَرَىٰهُ مِن مِّصْرَ لِٱمْرَأَتِهِۦٓ أَكْرِمِى مَثْوَىٰهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًاۚ﴾ [يوسف:٢١]، ثم يكن باطنه تملُّكه أو أمر رديء، وذلك من قوله تعالى: ﴿وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِى هُوَ فِى بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِۖ﴾ [يوسف:٢٣].

فلم تقدر امرأة العزيز كونها شمس أن تدرك يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ كونه قمرًا، وقس على ذلك بحال يعقوب عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ بالحثَّ على يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وذلك من قوله: ﴿يَٰبَنِىَّ ٱذْهَبُوا۟ فَتَحَسَّسُوا۟ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَا۟يْـَٔسُوا۟ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ لَا يَا۟يْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾﴾ [يوسف].

سواء كان حسًا مسموعًا أو رؤية، وهذا في غاية البلاغة، وكذلك طلبه الملك، وذلك من قوله: ﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِى بِهِۦٓ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِىۖ فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴿٥٤﴾﴾ [يوسف]، وصلة هذا المعنى من الشمس والقمر فإن المتأمل لمنفعة الشمس والقمر وتسخيرهما من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في أمس الحاجة إليهما فبدونهما تتعطل معايش الناس ومصالحهم، قال تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ﴿٣٣﴾﴾ [إبراهيم].

وطالب العلم يبذل الغالي والنفيس لأجل العلم المقتبس من شمس الرسالة ونور الهداية، بل واجب على الناس أن يبذلوا الروح والمال والولد لأجل نبينا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وقد أفلحت أمنا خديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بطلبها والحث بالزواج من نبينا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ لما رأت فيه جمال الخَلْق والخُلُق، وشتان بينها وبين امرأة العزيز.

وكم حاولت حرارة حقد أهل الأهواء والبدع من شراء القمر في كل زمان ومكان، وكم عانى شيخنا يحيى الحجوري حفظه الله من فتنة عبد الرحمن العدني، وكاد أن يشق الصف، فحفظ الله دعوته ومشايخها ودار الحديث وجرى لمن سعى لتلكم الصفقة مالا يُحمد.

وجرى لنبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ العروض المغرية لكي يترك ما أتى به، ولم يزده ذلك إلَّا ثباتًا وقوةً.

كما قالت لي امرأة: رأيت زوجي كأن وجهه يوسف عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وإخوته بجواره يريدون أن يقذفوه في نار كانت بين أيديهم.

قلت: هل أُلقي في النار أم لا؟

قالت: لا.

قلت: يُبتلى زوجك بمحنة مع إخوانه ليرغموه على السفر إلى بلد آخر، ويأخذوا مقابل ذلك أموالًا من إنسان من الأكابر، ويخلّصه الله من ذلك، فجرى ذلك.



المبحث الثاني عشر: .. ويسمّى بأحسن الأسماء

ومنها دالة على الاسم الحسن له، أو يُكنّى بذلك، وقد كان يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ يُنادَى بأحسن الأسماء في زمانه بـ(العزيز)، وله معانٍ عدّة، وهنا تشير إلى الرفعة، وهو خلاف الذُّل، والغلبة والقوة ونحوه كما قالوا من بعد زمن يوسف من قولهم: ﴿وَقَالُواْ بِعِزَّةِ فِرۡعَوۡنَ إِنَّا لَنَحۡنُ ٱلۡغَٰلِبُونَ ٤٤﴾ [الشعراء]، وهذا المسمى دال على القوة والرفعة والسؤدد ونحو ذلك مما يتوافق مع معاني الكواكب.

وأمّا من حيث جمال الاسم من الشمس والقمر فيكفي مسمّى الشمس والقمر أنهما في مواضع عدّة من كتاب الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ وسنة نبيه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِۦ وَسَلَّمَ، وكذلك اتصف بهما نبينا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِۦ وَسَلَّمَ، والباري سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ لم يصف نبينا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِۦ وَسَلَّمَ إلّا بأفضل وأحسن الصفات.

وربما كان اسم الرائي أو اسم أبيه عبد العزيز ونحوه، لأن لكل شيئ من اسمه نصيب، فافهم ذلك.

ونبينا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِۦ وَسَلَّمَ سُمّي بأنفس الأسماء وأعذبها وأجلها، بل ولا نظير لها من أسماء الأنبياء والرسل، فقد سُمي بـ: (**محمد، وأحمد، والحاشر، والماحي، والعاقب، والمتوكل، ونبي الملاحم**)، فعن حذيفة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ، قال: لقيت النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِۦ وَسَلَّمَ في بعض طرق المدينة، فقال: «**أَنَا مُحَمَّدٌ، وَأَحْمَدُ، وَنَبِيُّ الرَّحْمَةِ، وَنَبِيُّ التَّوْبَةِ، وَالْحَاشِرُ، وَالْمُقَفِّي، وَنَبِيُّ الْمَلَاحِمِ**». [رواه أحمد، برقم: (٢٣٤٤٥)].

وانظر إلى أقوال أهل العلم في معاني أسمائه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِۦ وَسَلَّمَ.

المبحث الثالث عشر: حزام على امرأة العزيز

ومن العلامات النفيسة: دالة على شدَّةٍ بِحَزْمٍ، وذلك من كبير أو امرأة أحد الأكابر أو من نساء، وهذا من حال الشمس والكواكب حولها، فعندما كان جواب يوسف: ﴿قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٢٣﴾ [يوسف].

كان عزمها وحزمها، وذلك من قولها: ﴿وَلَئِن لَّمۡ يَفۡعَلۡ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسۡجَنَنَّ وَلَيَكُونٗا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ٣٢﴾ [يوسف]، وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنۢ بَعۡدِ مَا رَأَوُاْ ٱلۡأٓيَٰتِ لَيَسۡجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ حِينٖ ٣٥﴾ [يوسف].

ويكون الحزام من آخرين على تلطيخ عرضه مقربون إليه لأجل حظوظ دنيا ويُشن عليه الحرب ليلًا أكثر من النهار من قِبلهم، وهذا من قولهم: ﴿وَجَآءُوٓ أَبَاهُمۡ عِشَآءٗ يَبۡكُونَ ١٦﴾ [يوسف].

ولعل ذلك كان بأمرٍ من كبيرٍ أو من دل عليه الشمس، فهم الكواكب حولها من رؤياه وعليها كالحزام، وهذا المثل شبيه بما قام به الأحد عشر من البرامكة حسدًا منهم على شيخنا يحيى الحجوري حفظه الله وما يستمدون نارهم إلَّا من حرارة الربيع المدخلي أو من غيره، ومن كان يستمد خفية سيُفضح وإن طال ليله، فما أشبه الليلة بالبارحة، ومن التشبيه عليهم أيضًا أن الشمس تخدع لمن تاه في الصحراء واشتد عطشه فيظنه سرابا، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَسَرَابِۭ بِقِيعَةٖ يَحۡسَبُهُ ٱلظَّمۡـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمۡ يَجِدۡهُ شَيۡـٔٗا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ٣٩﴾ [النور].

فالسراب ما يُرى من بعيد في واضحة النهار انعكاس الشمس وكأنه ماء وليس

بذلك، وما يدريك أن الذي كان يُمدَّهم ينقلب حرّه عليهم، فإن الذي يقف مع الباطل يلقى حتفه، فإن العزيز بعد اعتراف امرأته ببراءة يوسف عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ لابد أنه تنكّد من ذلك في عرضه، فالجزاء من جنس العمل، وهذا من طبيعة الحال والمآل، وإن لم يذكر في السورة.

ولذا فإن يوسف عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ لقي من امرأة العزيز محن وشدائد وارتدى معطف درع من حديد ليحتمي من حرّها، وحصل عليه من حرّها مما أسخن درعه، فبعد أن كان عزيزًا في قصر العزيز تكلموا في عرضه، ولم يُصدّق لسانه بعد شهادة الحق، ثم فوق هذا سُجن؛ لأنها أبت إلا أن يُقبل افتراؤها مع بيان كذبها أمام زوجها، ولكن جُبل هذا الطبع في نساء مصر على رجالهم، ومن ذهب أن السبب في طبائع نساء مصر هو بعد أن أهلك الله تعالى فرعون تزوج بني إسرائيل بنساء أكابر فرعون فجرى طبع الهيمنة فيهن، فهذا القول فيه نظر، فإنك إذا دققت في الأمر جيدًا وجدت أنه قد غُرس في نساء مصر من قبل أن يأتي فرعون، ودليل ذلك ما ذكرناه، والله أعلم.

سائل يسأل: لماذا لم تُذكر أُم يوسف في السورة إلا في موضعين مع أن الشمس أعظم من القمر وبدأ بها في رؤياه؟

قلت: هذا لكي نفهم ونتعلم أن الشمس لها معانٍ ودلالات عدّة كما ذكرنا، وليست محصورة في الإشارة إلى أمِّه فحسب، والله أعلم.



المبحث الرابع عشر: القمر يستمد نوره من الشمس

دالة على العطاء، وذلك منحة، ثم محنة، ثم دهشة، وعنوان هذا الفصل ذكره علماء السلف القدامى، والمتأمل في حال الشمس عند إشراقها تدل على العطاء، فقد جرى ذلك ليوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ من قول العزيز: ﴿أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا﴾ [يوسف:٢١].

ومن ثم جرى منها المحنة في عز الظهيرة، وهو السجن، ونظيره من قِبل إخوانه، وهو رميه في الجب، وكان العطاء له قبل ذلك من قولهم: ﴿أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ﴾ [يوسف:١٢]، وذلك لين ورفق منهم وسعي لراحته، ثم جرى ليوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ الراحة بعد غروب الشمس، فكانت العطاية من الباري سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بما جرى له من العطاء، وهو المُلك بعد شهادتها بالحق أمام المَلك، فإن المتأمل في المنحة والمحنة ليوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ من امرأة العزيز كانت من تلكم الشمس بمعانيها المختلفة، وذلك لحكمة الله البالغة.

ونحو ذلك فقد حصل النكد في أمر قميصه مرة كأداة كذب، ومرة دليل براءة، ومرة دواء.

ودالة على العطية، وهو ضوء القمر، كما عند أهل اللغة.

والمتأمل في سيرة نبينا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ فقد جرى له ذلك، أعني المنحة مما جرى من قريش وإجلاله قبل البعثة، ثم جرى منهم المحن أثناء بعثته، ثم جرى له الرفعة في الدنيا والآخرة، فافهم ذلك.



المبحث الخامس عشر: دَرْس من سجن يوسف

ومن العلامات: دلالة على السجن، وهذا من حكمة الله البالغة ليرتقي صاحبها للمنزلة التي تنتظره، وقد جرى ذلك ليوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ بعد أن رآه ملاذًا من الفتن والهم والغم، وذلك من قوله: ﴿ قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ ۖ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [يوسف].

واللفظة: ﴿ٱلسِّجْنُ﴾ لن تجدها إلا في سورة يوسف من القرآن الكريم، وهذا من شدّة الكربة التي خاضها، وتجد اللفظة: ﴿ٱلْمَسْجُونِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ [الشعراء] في حق موسى عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، ولكن لم يُسجن، وكأنه يُفهم أنه من زمن يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ حتى موسى عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ كان السجن أشد العقوبات للخارج عن طاعتهم بعد القتل، ولعل السجن في أزمانهم كان في باطن الأرض، وليس على ظاهرها، وذلك من معنى اللفظ.

وإذا تأملت في حياة يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ في قصر العزيز وحياة موسى عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ واعتناء امرأة فرعون به وغيرها من الأمور لوجدت أن هناك أمورًا متوافقة جرت لهما، ومن التوافق العجيب أن شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ سُجن في مصر، واسم السجن سجن الجُب عند أعلى الجبل، كما ذكر ذلك ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تأريخه.

وقد يُسجن المرء وهو في سعة من الأرض كالهمّ والغم، أو محنة، أو من ديون، أو مرض، أو شدة في معيشته، أو داره تُضيّق عليه، أو من الزوجة، وكم من دار وهي حبس على أهلها، ولعل الوقت مدته اثنا عشر سنة عليه، ولكن في سجنه قد يهبه الله

سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ منحة وعطية نفيسة إن أخلص وصبر فهذا مما جرى ليوسف عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ، ففي سجنه دروس وعبر ونفائس ملاح لمن تأملها، ولنا عبرة في سجن الإمام أحمد بن حنبل رَحِمَهُٱللَّهُ وغيره من الأئمة رحمة الله عليهم.

وأمّا دلالة الكواكب على هذه الفائدة من قوله تعالى: ﴿وَٱلصُّبۡحِ إِذَا تَنَفَّسَ ١٨﴾ [التكوير] ولا يقسم الله إلا بعظيم، وكأنّ الصبح كان في انحباس، فإن غياب الشمس في الليل شبيهة بالحبس أو السجن حتى يأذن لها بالظهور، وقس على ذلك في القمر، وقس على ذلك في حال الخسوف والكسوف، وعند أهل اللغة: يقال عند منع القطر: حبس المطر من السماء. كالقائل: وَما رَأَيْناها تَبْكِي حَتَّى هَطَلَتْ دُموعُنا كالْمَطَرِ يَتَساقَطُ بَعْدَ انْحِباسٍ. أي: بعد انقطاع. ويقال: انحبست أنفاسه.

وفائدة أخرى: فقد ذكر أهل العلم أن يوشع بن نون بن أفرائم بن يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم خليل الرحمن عليهم الصلاة والسلام وقد كان نبي بني إسرائيل بعد موسى عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ، وهو الذي خرج ببني إسرائيل من التيه، ودخل بهم بيت المقدس بعد حصار ومقاتلة، وكان الفتح قد ينجز بعد العصر يوم الجمعة، وكادت الشمس تغرب ويدخل عليهم السبت فلا يتمكنون معه من القتال، فنظر إلى الشمس فقال: إنك مأمورة وأنا مأمور، ثم قال: اللهم احبسها عليّ، فحبسها الله عليه حتى فتح البلد ثم غربت. وفي "صحيح مسلم" من طريق عبد الرزاق، عن معمر بن همام، عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ قال: «**غَزَا نَبِيٌّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ، فَقَالَ لِقَوْمِهِ: لَا يَتْبَعْنِي رَجُلٌ قَدْ مَلَكَ بُضْعَ امْرَأَةٍ، وَهُوَ يُرِيدُ أَنْ يَبْنِيَ بِهَا، وَلَمَّا يَبْنِ، وَلَا آخَرُ قَدْ بَنَى بُنْيَانًا، وَلَمَّا يَرْفَعْ سُقُفَهَا، وَلَا آخَرُ قَدِ اشْتَرَى غَنَمًا -أَوْ خَلِفَاتٍ- وَهُوَ مُنْتَظِرٌ وِلَادَهَا، فَغَزَا فَأَدْنَى**



لِلْقَرْيَةِ حِينَ صَلَاةِ الْعَصْرِ، أَوْ قَرِيبًا مِنْ ذَلِكَ، فَقَالَ لِلشَّمْسِ: أَنْتِ مَأْمُورَةٌ، وَأَنَا مَأْمُورٌ، اللهُمَّ احْبِسْهَا عَلَيَّ شَيْئًا، فَحُبِسَتْ عَلَيْهِ حَتَّى فَتَحَ اللهُ عَلَيْهِ»، الحديث بطوله.

[رواه البخاري برقم: (٣١٢٤)، ومسلم برقم: (١٧٤٧)].

وهذا النبي هو: يوشع بن نون. بدليل ما رواه الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ، قال: حدثنا أسود بن عامر، حدثنا أبو بكر ابن هشام، عن محمد بن سيرين، عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ الشَّمْسَ لَمْ تُحْبَسْ لِبَشَرٍ إِلَّا لِيُوشَعَ** عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ **لَيَالِيَ سَارَ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ**». [تفرد به أحمد، برقم: (٨٣١٥)، وإسناده على شرط البخاري].

والمتأمل في سيرة نبينا محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ جرى له ما هو أشد من السجن، وهو حصار الشعب، فإنك لو تأملت لوجدته أشد منه، بل كان على جماعة، وليس على فرد، وشُق له القمر، فهي أعظم من حبس الشمس، فافهم ذلك.

كما قال لي إنسان: رأيت فلانًا يراسلوه ليحبس في المدينة.

قلت: سيتزوج من تلك المدينة، ويُحاك عليه مكر برسالة لأجل أن يتوقف عن عمله، ولن يتمكنوا من ذلك.

وآخر مسجون يقول: يتكرر عليَّ رؤيا بأني مسجون.

قلت: لعلك مريض. **فقال**: صحيح.

وآخر يقول: رأيت أخي المسجون يريد أن يصل إليَّ ولا يستطيع.

قلت: إن كلّفت رجلًا يعمل لأجل ذلك فهو ماكر، فانظر إلى رجل آخر، ففعل وخرج من السجن.

وآخر يقول: رأيت أحد المعارف أنه مات على سوء خاتمة.

قلت له: هذا سيُسجن. **قال الرائي**: فكنت أراقبه وأتطلع إلى خبره كل حين حتى إنه أقدم على قتل ابن عمه فسُجن.

ولمن رأى يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أو نحو رؤياه ربما يُسجن من قِبل من دل عليه الشمس أو الكواكب من كيد أو يُمكر به، والله أعلم.



المبحث السادس عشر: وهل يَخْفَى على النَّاس القمر

ومن الأحكام: تفسير المنامات وهذه الدلائل التي نسردها بما فيها من معانٍ هي لمن يراه أو يرى نحو رؤياه، فتجده يأتي بالعجائب وما عند الرائي من أمور لم يطلعه عليها، وماذا سيجري له وما جرى له من قبل، ويُدرك أحيانًا اسمه ومعتقده وخباياه في بعض الرؤى، وهذا ليس تكهنًا، وإنما علم وإلهام من الله بجوار تعمّق شهود الرؤيا، ويتحدث بما يتعلق في الحوادث والأكابر والبلدان، ويجري ذلك على قلبه ولسانه، وهذا مما جرى من يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ في تأويل رؤيا السجينين، وكيف جرى ذلك لهم بعد ثلاثة أيام، وقوله: ﴿قَالَ لَا يَأۡتِيكُمَا طَعَامٞ تُرۡزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأۡتُكُمَا بِتَأۡوِيلِهِۦ قَبۡلَ أَن يَأۡتِيَكُمَاۚ ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّيٓۚ﴾ [يوسف:٣٧].

وكيف علّمه الله تأويل رؤيا الملك بما هو قادم لخمسة عشر سنة، وما الذي ينبغي عليهم، ومن ذهب بأن كهنة الملك كانوا يعلمون أن البقرة كانت دالة على السنة فقد أبعد النجعة ورفع من قدر القَذَى، وصلة هذا الفصل من إشارة الكواكب؛ فإنك لو تأملت إلى رؤيا يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ فيها كواكب وشمس وقمر، وقد كان إخوانه وأبوه مفسرين للرؤيا، فهنا دلالة على أن رؤيا الكواكب في الغالب دالة على علوم، ومنها علم الرؤيا لا سيما إذا اقترنت جوارها بشيء له صلة بيوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، أو بجزء من أحداث قصته. وقد صار من يرفعه الله بهذا العلم يُنادى بيوسف زمانه وبقدر إخلاصه يكن يوسفيًّا، نسأل الله الإخلاص في القول والعمل.

وقد كان نبينا صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِۦ وَسَلَّمَ عابرًا للرؤيا، وكذلك أبو بكر الصديق، وعمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمَا، وكذلك من الصحابيات رضي الله عنهن.

المبحث السابع عشر: بديهة وبديهية

ومن الحِكَم: دالة على سرعة الفهم والإجابة بعفوية، وتجد ذلك من قوله: ﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ﴾ [يوسف:٤٧] فإنك تجد من الآية سرعة فهمه، والإجابة بسلاسة، وهذا ما يسمّى بالبديهة، ومما جرى مع نبي الله إبراهيم عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مع النمرود، قال تعالى: ﴿قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ﴾ [البقرة:٢٥٨]، وهنا أيضًا استدلال على الإجابة الواضحة بصورة بديهية وهذا من النُّدر.

ومنها البديهية فقضيته مع امرأة العزيز قضية جلية بيّنة واضحة كالشمس في رابعة النهار، فلا تحتاج في تأييده إلى أدلة من حيث معرفتهم بنزاهته وحكمته وعلمه وصدقه، وتجد العفوية فيه من قوله: ﴿قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَن نَّفْسِي﴾ [يوسف:٢٦].

فحال بعض طلبة العلم في علومه تجد فيها ملاحة ويكون متفردًا بها ويُنتقد عليه بسبب ما أُشكل عليهم، لكنه بديهي في قلبه، وهذا في بادئ أمره وليلزم الصبر.

وأما الاستدلال لهذا المعنى من الشمس والقمر من قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١٩٠﴾﴾ [آل عمران].

فالليل والنهار مرجعيتهما من الشمس والقمر، فهما آيتان واضحتان بينتان لعظمة الخالق وصنعه الذي أتقن كل شيء بحكمة، فتبارك الله أحسن الخالقين.

فائدة مليحة: نقل بعضهم عن الحكماء: أن الفهم والحفظ لا يجتمعان على سبيل الكمال، لأن الفهم يستدعي مزيد رطوبة في الدماغ، والحفظ يستدعي مزيد يبوسة فيه، والجمع بينهما على سبيل التساوي ممتنع عادة. اهـ[الحطة للقنوجي].

قلت: هذا القول فيه نظر، ودليل ذلك مما جرى ليوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ من الفهم والحفظ معًا، وكذلك الأئمة من السلف، وسبب قولهم هذا؛ لأن أمزجة الأبدان تستشعر بضوء الشمس ونور القمر وذلك بأمر الله تعالى.

وعندما يطمس الله البديهة على العبد من قلبه فإنها تُطمس من بصره كحال قريش مما جرى من انشقاق القمر كان عليهم سرعان فهم ذلك، وذلك كونها آية بديهية، ولم يأت بمثلها من الأنبياء من قبل، ولكن جُلب الكبر من الأقارب والمعارف كما هو حال إخوة يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وكذلك امرأة العزيز، والله أعلم.





الباب الثامن:
طَلَع البَدر



المبحث الأول: تنفّس الصبح.

المبحث الثاني: بشرى.

المبحث الثالث: الشمس والقمر ففيهما الميم.

المبحث الرابع: روح من العهد القديم.

المبحث الخامس: صخرة فانبثق منها ماء جارٍ.

المبحث السادس: أقاويل ولها مثاقيل.

المبحث السابع: كُن دليلًا يكن لك التبجيل.

المبحث الثامن: سوف تسمع بك الدنيا.

المبحث التاسع: مَلَك يقذف في روع ملك.

المبحث العاشر: رُبّ حيلة أنفع من قبيلة ورُبّ فخ أنجد من أخ.

المبحث الحادي عشر: عذبة باطنها كذبة.

المبحث الثاني عشر: حُجب القمر بالسُّحب.

المبحث الثالث عشر: معدن نفيس وإن اصفرَّ أو ازمَهَرَّ.

المبحث الرابع عشر: الناس على دين ملوكهم.

المبحث الخامس عشر: التدبير نصف المعيشة.

المبحث السادس عشر: كوكب دُرِّيٌّ في موكب كواكب.

المبحث السابع عشر: زينة كواكب.

تمهيد

بعد أن تحدثنا في النصف الأول عن التعب والمعاناة ننتقل إلى ما بعد غروب الشمس، وهو سكون الروح والبدن، مع نور القمر، أو ما بعد انقشاع ظلمة الليل، وهو عسعسة الفجر والفرج، وإنارة الشمس بعد سواد الليل.





المبحث الأول: تنفّس الصبح

ومن الدلالات: ظهور الحق وإزاحة قناع الظُّلم وانقشاع الظُلمة، وكما قيل بوضوح الشيء كالشمس في رابعة النهار، ودليل ذلك مما جرى ليوسف عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ بعد أن ظُلم من إخوانه، وأرادوا سقوطه، ومن امرأة العزيز أرادت ذلّه وطمسه، فظهر أن الذئب بريء من دم يوسف، والسجن رديء من قِبلها، فظهر الحق بعد خفائه، وتنفّس الصبح، وأشرقت حقيقة الشمس بعد ظلام جثم عليها، وبان القمر وتَحلَّى بِحُلِيِّ نوره، ومما يدل على هذا المعنى من حال الشمس والقمر؛ فقد أقسم الله بالشمس بوقت ارتفاعها بعد طلوعها من مشرقها، وذلك من قوله سبحانه تعالى: ﴿ وَٱلشَّمۡسِ وَضُحَىٰهَا ۝١ وَٱلۡقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا ۝٢ ﴾ [الشمس]، فبدأ الظهور من قِبل الشمس بعد قولها للحق وهي شمسه: أعني امرأة العزيز على أحد الاعتبارات المتعددة، ثم تلاها ظهور الحقيقة ليعقوب عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وهو قمره ومجيئه إلى مصر.

وإذا تأملت في اللفظ: ﴿ حَصۡحَصَ ٱلۡحَقُّ ﴾ [يوسف:٥١]، فإنك تجدها فيها شيء من الثقل والتقييد، أي أن يوسف عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ جاءه نور الحق بعد شدائد مترادفة، وكأنّ لسان حالها أنه لقي شدائد كثيرة من قِبلها، وهذه اللفظة لم تتكرر في كتاب الله سبحانه تعالى، وتجدها من حركاتها ما يوافق حال يوسف عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ؛ ففي الحرف الأول علامة نصبه الفتحة، فقد كان في عز في بادئ أمره معها، ثم جرى له السجن، وذلك من علامة النَّصب للحرف الثاني وهو السكون، والقيد وسط دائرة الجدران لا منفذ له، ومن ثم صار الفتح من قِبلها باعترافها، ثم الفتح من قِبل الملك،

فكانت الشمس دليلًا على براءته، وربما إن كذبت ظل يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ في سجنه ساكنًا، والله أعلم.

وهل يا تُرى سَلِم يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ من امرأة العزيز عندما كان في السجن؟

الجواب: الله أعلم.

وهكذا من حكمة الله جعل للباطل سرعة وخفة، وجعل للحق بطئًا وثقلًا على النفوس لكنه عند المآل يوقفه ويدمغه.

وعلى هذا فقس في نور وإنارة العلماء للناس للنجاة من ظلمات البدع والفتن ومخاطرها، فهم كالشمس عند إشراقها، وكالقمر في ليلة البدر، والناس لا تستغني عنهما، وقد شبّه النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ حاله وأصحابه بالنجوم فإذا طغت المخالفة وطمس نورهم خصوصًا من مجوس هذه الأمة حل بالأمة مالا يحمد، ولن يقدروا طمس نور علم الشريعة؛ لأن طمس الكواكب أمر مُحال من قِبل العباد، كما لم يتمكن إخوة يوسف من كبته ونسيانه عند أبيه، وكما قال شيخنا مقبل الوادعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أينما حلّت السنة أدبرت البدعة.

ومن الحِكَم الملاح أنك تجد أصناف من العبادات لبعض العباد الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله، كما في الحديث توافق مما جرى ليوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وذلك لشدة الكربة في ذلك اليوم العظيم، نسأل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أن نكون منهم.

المبحث الثاني: بشرى

ومن معاني الشمس والقمر دالة على البشارة، وهذا شعور الإنسان عند بكوره يُستبشر بعد انقشاع ظلمة الليل بإشراق نور الشمس في أول النهار، أو إثر نصب وتعب النهار ودخول راحة وسكون الليل مع نور القمر، ومما يدل على البشارة أو الاستبشار من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ نَاسًا فِي زَمَنِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ! هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**نَعَمْ**»، قَالَ: «**هَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الشَّمْسِ بِالظَّهِيرَةِ صَحْوًا لَيْسَ مَعَهَا سَحَابٌ؟ وَهَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ صَحْوًا لَيْسَ فِيهَا سَحَابٌ؟**» قَالُوا: لَا، يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**ما تضارُّون في رؤية الله سبحانه وتعالى يوم القيامة، إلا كما تضارون في رؤية أحدهما مَا تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ اللهِ سبحانه وتعالى يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا كَمَا تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ أَحَدِهِمَا**». [رواه البخاري، برقم: (٤٥٨١)، ومسلم، برقم: (١٨٣)].

فهنا دلالة واستبشار برؤية الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عيانًا بيانًا.

وقد كان نبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يقول لأصحابه بعد الغداة، وهو عند طلوع الشمس أو بعده: «**مَنْ رَأَى مِنْكُمْ رُؤْيَا...** » الحديث. [رواه البخاري، برقم: (١٣٨٦)، مسلم، برقم: (٢٢٦٩)]، وهذا من زرع الفأل والخير من أول النهار بعد كدر الليل، وكان يبشّرهم، ومنه يعلّمهم التعبير.

وهنا أضع فائدة منفردة وهو أن التعليم بعد الغداة فيه فوائد جمة تعود للفقيه ولطالب العلم، ويدركها من جَرَّب ذلك.

وقد ضرب لنا خالد بن الوليد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مثلًا يُضرب به حتى يومنا، وهو قوله:

عِنْدَ الصُّبْحِ يَحْمَدُ القَوْمُ السُّرَى.

فإن سأل سائل: إذا كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ شُبِّه بالشمس والقمر فكيف النذارة على هذا التشبيه؟

قلت: عند الكسوف والخسوف فهما آيتان يخوف الله بهما عباده، فإنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ كان يغضب لله وفي الله ولا يخشى لومة لائم.

والبِشارَةُ المُطْلَقَةُ لا تكون إلَّا بالخير، وإنما تكون بالشر إذا كانت مقيدة، كقوله تعالى: ﴿ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢١﴾ ﴾ [آل عمران]؛ وقوله تعالى: ﴿ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأَخِرَةِ ﴾ [يونس:٦٣].

قيل: بُشْراهم في الدنيا الرؤْيا الصالحة يَراها المؤْمن في منامه أَو تُرَى له.

وعند الجوهري: تَباشِيرُ الصُّبْحِ أَوائلُه؛ فالمبَشرّات: الرياح التي تَهُبُّ بالسحاب وتُبَشِّرُ بالغيث، قال تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٍ وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ ﴾ [الروم:٤٦]، ومما جرى ليعقوب عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ من قدوم البشير، وذلك من قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلْبَشِيرُ أَلْقَىٰهُ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ ﴾ [يوسف:٩٦].

وجاءت بشارات عدّة من بعد دلو بشرى ليوسف عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وذلك لو تأملت في أحداث قصته.

المبحث الثالث: الشمس والقمر ففيهما الميم

ولما كان راحة الروح والبدن تكمن مع سكون الليل ونور البدر، كان لابد قبل ذلك من العبور وسط حر ونصب الشمس.

فإنه ربما يقع من ألفاظ الكلم أو العبور الحسن شدة حتى بلوغ ذلك الحسن، فعندما فسّرها يعقوب عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ بما فسّره بأن الله سيجتبيه، فقد اصطفاه الباري سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ونال (جبة) الولاية، ومنها جباية الحنطة، وكان لابد أن يبدأ من (الجب)، وهذا مستنبط اشتقاقًا، وتدبير إخوته من إلقائه في الجب إنما تلفظوا به بعد أن تلفظّ به يعقوب عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، ولا يُمَكَّن للرجل حتى يُبتلى.

وكما قال الإمام الوردي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

إِنَّمَا الوَرْدُ مِنَ الشَّوْكِ وَمَا ... يَنْبُتُ النَّرْجَسُ إِلَّا مِنْ بَصَل

والعجيب أنّك إذا تأملت إلى المعالم العلوية لوجدت حرف الميم فيها كالسماء والشمس والقمر والنجم والعلم والمطر ونحو ذلك، وإذا تأمَّلت لمعالم الأرض لوجدت حرف الراء فيها كالقبر والحفرة والبئر، وكذلك إذا تأملت في لفظ الجنة والنار كان المشترك بينهما حرف النون أوسط أحرف اللفظتين فكان لزامًا على العباد عبورها وحينها يحفظ الله عباده المتقين منها، فافهم ذلك.

المبحث الرابع: روح من العهد القديم

ومن الدلالات: دالة على شغف الروح بالهمة السامية وبلوغ الغاية واقتحام المخاطر، فقد جرى ذلك من يوسف عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، ودليله من حاله وهو في السجن من قوله: ﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ٣٩﴾ [يوسف]. والآيات التي قبلها.

فلم يتوقف عن بث العلم مع ما حلَّ به، فقام يدعو إلى التوحيد قبل أن يُفسِّر رؤيا السجينين، وهنا نستدل أنه على طالب العلم أن يبدأ بعلم التوحيد والعقيدة، ومن ثم يتعلَّم علم الرؤيا، فما قام به يدل على شغف روحه بالهِمَّة الرفيعة وبلوغ مُنَاها، ووجه آخر مع امرأة العزيز مما صدر منها من تخويف وتهديد بالسجن والذُّل، وما كان منه إلا الرَّفض، بل دعا وسأل المكروه لكيلا يقع في المحذور، فأحيانًا يكن المكروه محبوبًا؛ وذلك لأنه وَقَرَ في روحه هِمّة رفيعة لأمر عظيم ولابد أن يبلغه، ووجه آخر أيضًا من قوله: ﴿تَوَفَّنِي مُسۡلِمٗا وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ١٠١﴾ [يوسف].

وأمّا اقتحام المخاطر فقد جرى من يوسف عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ من اقتحام المخاطر وذلك من حمل مسؤولية زمام أمور خزائن مصر في مصير قادم فيه تعب ونصب وشدّة، ولا يطلب هذه المكانة بعد خروجه من السجن إلا من كان لديه ثقة بالله، وإقدام بهمة عالية، وذلك من قوله: ﴿قَالَ ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٞ ٥٥﴾ [يوسف].

وهذا الفصل لهو شبيه بالكواكب فإن النجوم لعلوها فهي دلالة على الهمة العالية، والوصول إليها يحتاج إلى مشقة وكد وروح سامية واقتحام المخاطر.



قال المتنبي:

إذا غـــامرت في شـــرف مـــروم فـــلا تقنـــع بمـــا دون النجـــوم

وعند أهل اللغة يقال: اقتحمَ النجمُ إذا غاب وسَقط.

قال ابن أَحمر:

أُراقِـــبُ الـــنجمَ كـــأَني مُولَـــع بحيْثُ يَجْـري النجمُ حتى يقْتَحِم

أي: يسقط؛ والقُحَمُ: ثلاث ليال من آخر الشهر؛ لأَن القمر قحَمَ في دُنُوِّه إلى الشمس، وقُحْمة الأَعراب: أن تصيبهم السنة فتُهْلِكَهم، فذلك تقَحُّمها عليهم أو تقَحُّمُهم بلاد الريف، وقَحَمَتهم سنة جدبة تقْتحِم عليهم، وقد أَقْحَموا وأُقْحِموا؛ الأُولى عن ثعلب، وقُحِّموا فانْقَحَمُوا: أُدْخِلوا بلاد الريف هربًا من الجدب.

وما ذكره أهل اللغة تجد له ارتباط مع حال الكواكب، وقد قام يوسف عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ بهذه المسؤولية العظيمة الخطيرة ووفقه الله لبلوغ مناه.

وإن وجدت من كان حاله كذلك في زماننا تجده وكأنه من العهد القديم في مطعمه ومشربه ومسكنه وروحه وغير ذلك كعادة السلف القدامى، أو يُحب ذلك وتسكن روحه لمثل هذه الأمور، فحال روحه كحال الكواكب منذ القدم لم تتغيّر على مر الأزمان، فلم تصبه فتنة فهو يسلك طريق السلف ممن مضى ومآله يكون إلى العلو والرفعة في الدارين، ولم تذهب ريح يوسف عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ من أبيه عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وإن صار الجسد كالعرجون القديم كونه القمر، وقالوا عنه: ﴿قَالُواْ تَٱللَّهِ إِنَّكَ لَفِى ضَلَٰلِكَ ٱلۡقَدِيمِ ۝٩٥﴾ [يوسف] أي: في توهم، فمن كانت روحه توّاقه لعهد السلف القديم يريد أن يستعيده أو يحيا به، قالوا عنه: مجنون، فكيف لا يحزن من كانت روحه كذلك وهو يستشعر كيف كانت بغداد أو دمشق فما من زقاق من أزقتها

إلَّا وكان فيه قمر يتلألأ، وما زال نورهم يُهتدى به إلى يومنا هذا، والله المستعان.

وإذا تأملت في سيرة نبينا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ في طموحه وهمته السامية فقد كانت همة لا نظير لها، وهي إنقاذ الأمة من الكرب والشدائد، وذلك بدءًا منذ بعثته وبعد وفاته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وحتى في الآخرة كما في حديث الشفاعة.

وأمّا في اقتحام المخاطر فكما جرى منه في غزوة حُنين كان في المقدمة، ولم يرجع القهقرى، وعندما تجمع الأحزاب، وغير ذلك من الوقائع والملاحم.

والمتأمل في قصة يوسف عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يجد فيها من الفوائد التي لا تنقطع، وكذلك في باقي السور، وتجد فيها المتعة وعدم الملل مع الترداد عليها، وهي من القصص القديمة التي قد مضى عليها قريبًا من ثلاثة آلاف سنة، ومع ذلك تجد فيها ما ذكرنا.

واعلم أن الشمس والقمر منذ خلقها الله منذ القدم وهي كما هي، فإذا تهيّجت واضطربت بعد أمر الله فإنه منذر بأحداث لا تُحمد، كما في تخويف العباد من آية الكسوف والخسوف.

كما قال لي الشيخ سليم الهلال حفظه الله: ذهبت زيارة دعوية إلى بريطانيا قبل ست وعشرين سنة، ورأيت أني في بلادي، وكان الحال كالعصر البدائي، والحمير عليها أدوات للبحث عن الماء.

قلت: وإن كانت الرؤيا فيها بلدك الشام، ولكن تفسيرها يشير إلى بلد بريطانيا حيث سيحل عليها جوائح وينعدم فيها الماء، وتحصل عليهم شدة في المعيشة، وذلك نقيض ما رأيته في بريطانيا من التحضر في كل أمورهم، والله أعلم.



المبحث الخامس: صخرة فانبثق منها ماء جارٍ

ومنها: تسخير الأمور العظيمة وتليين الشدائد لنفع البلاد والعباد على يديه، ويُلهم عجائب وفرائد في حال ضعفه، ودلالة الكواكب بذلك قال تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتُۢ بِأَمۡرِهِۦٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ١٢﴾ [النحل].

ومع عَظَمَة الشمس والقمر والنجوم فقد جعلها الله مسخرات لمنفعة الخلائق.

واعلم أنه كلما كانت روح العبد عليها الرزايا الشديدة مترادفة كحال الكواكب من رؤياه كلما كان الخُلص منه أنفس وأطيب وأعذب وأمتع.

وقد سخّر الله تعالى وذلّل ليوسف عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ طاعة الملك له، وهو مع ذلك كان عبدًا وسجينًا، ومكّن له خزائن مصر تحت تصرفه، وكذلك من اعتراف امرأة العزيز، وعاد نفعه وبركته على البلاد والعباد.

ونبينا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ سخّر الله له أمورًا أعظم مما جرى للأنبياء من قبل فقد بعث الله إليه ملك الجبال، وانشقاق القمر آية ومعجزة عظيمة، بل وفريدة، وهذا من قوة التوكل على الله، وحسن الظن به، وصار نفعه للبشرية في الدنيا والآخرة.

والمتأمل في طالب العلم عندما يسعى لطلبه يجد من التعب والنصب والمشقة، ولكن ليعلم أن هذا العلم لا يُنال بالأماني والراحة والأحلام، فإن أخلص وصبر نال الرفعة في الدارين، فافهمه.

المبحث السادس: أقاويل ولها مثاقيل

ومن العلامات: دلالة على تهمة السِّحر، وذلك أباطيل، ولها مثاقيل على الروح، ويجري على العامد لذلك أضعاف، ولما كانت الأقاويل ثقيلة على الروح والبدن أمر الله نبيه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ بما يُذهب عنه ذلك من قوله تعالى: ﴿فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ۖ وَمِنْ ءَانَآئِ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ ﴿١٣٠﴾﴾ [طه].

ومن كان فريدًا في زمانه فيما يُلهمه الله تعالى يُتهم بالسحر والشعبذة أو الجنون، ويكون الرّامي أحد المقربين له كما رموه إخوته في الجب وهذا من تقارب الكواكب، وربما سُحر، وقد جرى ليوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ذلك؛ أعني من رماه بالسحر والجنون، ودليله قال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا۟ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٥٢﴾﴾ [الذاريات].

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: يقول تعالى مسليًا نبيه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: وكما قال لك هؤلاء المشركون، قال المكذبون الأولون لرسلهم كذلك، ﴿كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا۟ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٥٢﴾﴾ [الذاريات].

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: يقول الله مسليًا لرسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ عن تكذيب المشركين بالله، المكذبين له، القائلين فيه من الأقوال الشنيعة ما هو منزه عنه، وأن هذه الأقوال ما زالت دأبًا وعادة للمجرمين المكذبين للرسل، فما أرسل الله من رسول إلا رماه قومه بالسحر أو الجنون.

ونظير ذلك مع يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ من قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ

مِن قَبۡلُ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَمَا زِلۡتُمۡ فِي شَكّٖ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦۖ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلۡتُمۡ لَن يَبۡعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعۡدِهِۦ رَسُولٗاۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنۡ هُوَ مُسۡرِفٞ مُّرۡتَابٌ ﴿٣٤﴾ [غافر].

والسحر والجنون يدخل في الشك مما جاء به، ويدعوهم إليه من التوحيد.

والمقصود: أن كل الرّسل أُتُّهِمُوا بالسحر والجنون، ويدخل في ذلك يوسف عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وليس بمستحيل أن الذين اتهموه بذلك ربما من جهة كهنة الملك، فقد كانوا خاصته ومن المقربين إليه، فلا بد أن يقع في نفوسهم هذا الأمر الذي نكّد عليهم مكانتهم عند الملك، وأيضًا كيف بالملك تقبّل تفسير رؤياه من عبدٍ سجين ومن غير بلدته، ولعلهم قالوا: قد سَحَره؟!

وبالجنون أنه كيف نحكم مصير مملكة خمسة عشر سنة مقبلة على ظن تعبير رؤيا؟! بل لو حدث هذا الأمر في زماننا من قِبل عابر لم يكن له مكانة علمية من قبل لقلنا: إنّ هذا من الجنون.

وقد جرى لنبينا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ كذلك ففي الحديث: أَنَّ أَهْلَ مَكَّةَ سَأَلُوا رَسُولَ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ أَنْ يُرِيَهُمْ آيَةً «فَأَرَاهُمُ انْشِقَاقَ الْقَمَرِ». متفق عليه، وعن ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ قال: انْشَقَّ الْقَمَرُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ فِرْقَتَيْنِ، فِرْقَةً فَوْقَ الجَبَلِ، وَفِرْقَةً دُونَهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ: «**اشْهَدُوا**» متفق عليه.

وعن ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ، قال: لقد رأيت جبل حراء من بين فلقتي القمر.

وهذه المعجزة إحدى علامات الساعة التي حدثت، ففي الحديث الصحيح قال ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ: «**خَمْسٌ قَدْ مَضَيْنَ الدُّخَانُ، وَاللِّزَامُ، وَالرُّومُ، وَالْبَطْشَةُ، وَالْقَمَرُ**»، متفق عليه. واللزام: القحط، وقيل: التصاق القتلى بعضهم ببعض يوم بدر،

والبطشة: القتل الذي وقع يوم بدر.

وجاء ذكر هذه الحادثة في القرآن الكريم مقرونًا باقتراب الساعة، قال تعالى: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝١﴾ [القمر]، ولما كان من عادة قريش التعنت والتكذيب فقد أعرضوا عما جاءهم به، ووصفوا ما رأوه بأنه سحر ساحر، وقد حكى القرآن لسان حالهم ومقالهم، فقال تعالى: ﴿وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ۝٢﴾ [القمر].

ولعل لمن رأى الكواكب حُسد أو سُحر، فقد جرى ذلك لنبينا صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ من قِبل لبيد اليهودي عندما أخذ من أثره صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ.

والمقصود من السحر كان الخروج عن الاعتدال، وذلك من مادة الأثر ومادة السحر، وسحر الأثر من أشد وأخبث الأسحار، كونه يتفاعل حسب الطبيعة من قِبل الشياطين بعد أمر الله، وشغله الشاغل تخبّط اعتدال البدن والروح، وهنا ليس بسطه.

وهل يا تُرى جرى من صواحب يوسف سحر الجلب؛ أو جرى من قِبل كهنة الملك سحر التفرقة والنفور؟

قلت: هذا لا يعلمه إلّا الله عالم الغيب والشهادة.

وقد نهانا ديننا عن علم التنجيم، وهو عبر الكواكب، وأيضًا مما يُستدل به قوله تعالى: ﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ۝٤﴾ [الفلق]، والنفاثات هن السواحر اللاتي ينفثن في العقد عند السحر، وهنا ارتباط الوقت بالقمر والآيات التي قبلها تحكي عن الوقت كذلك، ومعلوم أن المسحور تجده يشتد وجعه في فصل دون فصل من فصول السنة، وفي أيام دون أيام لا سيما ليالي النصف من الشهر القمري، وغير ذلك التي يطول ذكرها في هذا الكتاب، فافهم ذلك.

وكم من ساحر بلسانه يُفتن الخلق عن الحق، وذلك بتلبيسه كما جرى من أهل الكتاب من تلبيس الحق بالباطل.

كما قال لي إنسان: رأيت أني أقرأ سورة الشعراء.

قلت: يعصمك الله من فاحشة، ولعلك مريض بالسحر، ويُبطل.

قال: نعم، ودليله اشتقاقًا من اسم السورة.

وقد أُتهم الربيع بالشعبذة، ولن يجدوا منَّا إلا الصمت والحسنى، نسأل الله العافية في الدنيا والآخرة.



المبحث السابع: كُن دليلا يكن لك التبجيل

ومن العلامات: دالة على الهداية، ومنها الهداية الشرعية، فيكون هاديًا مهديًّا على ضوء الكتاب والسنة، فيحصل على يديه الهداية، فقد كان يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ هداية للناس، كما جرى منه الدعوة إلى التوحيد في السجن مع السجينين مع الاستدلال في ذلك.

وهذا المعنى له دلالة من حال الكواكب من قوله تعالى: ﴿ وَعَلَٰمَٰتٖۚ وَبِٱلنَّجۡمِ هُمۡ يَهۡتَدُونَ ١٦ ﴾ [النحل]، فبها يستدل على عظمة الخالق وقدرته.

ومنها الهداية الكونية، وذلك معرفة الوقت والفصول والجهات والأماكن، وهذا ما حصل من يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، فقد كان هداية لأهل مصر في الهداية الشرعية، كما في السجن وفي ملكه، وقد ذكر بعض أهل التفسير أن ملك مصر أسلم على يديه.

وأما الهداية الكونية فهي ما جرى منه من تأويل رؤيا الملك، وقام بها على أكمل وجه بما جرى في سني الجدب التي حلّت عليهم، وأمر الحنطة وغير ذلك؛ لأنها تحتاج إلى إنسان له معرفة بالفصول وأوقاتها، ونحو ذلك.

ونبينا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ كان إمام المهتدين في قضاء حوائجهم في الدنيا والآخرة، وذلك كونه بدرًا فكان هاديًا مهديًّا للبشرية جمعاء، فجرى له التبجيل في الدنيا حتى من أعداء هذا الدين، وكذلك التبجيل في الآخرة، ويكفيه من ذلك الوسيلة والفضيلة والمقام المحمود، فصلوات ربي وسلامه عليه في الدنيا والآخرة.

فإذا كنت دليل هدى تستمد نورك من الكتاب والسنة حصل لك التبجيل، وهي المكانة الرفيعة في الدنيا والآخرة وإلّا فلا، واحذر دُعاة الظلام من الخوارج

ونحوهم، فخير الهدي هدي نبينا محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ، وهو خير دليل لأمته حتى قيام الساعة، ومن زاد في هديه صار عليلًا ذليلًا، فتنبّه لذلك.



المبحث الثامن: سوف تسمع بك الدنيا

دالة على الصيت الحسن، فيذاع اسمه أو بما يقوم به لنفع العباد، فيشتهر صيته في بقاع الأرض من غير طلب، فتكون سمعته لامعة مضيئة لا سيما في زمن الشدّة، وذلك لسواد الليل، وهذا حال الكواكب بضيائها ولمعانها على بقاع الأرض.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ﴾ [الملك:٥]، فقد انتشر صيت يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ في كل مكان وزمان، وفي زمانه حتى عند نسوة المدينة بعد سماعهن بما جرى، قال تعالى: ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي ٱلْمَدِينَةِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفْسِهِۦۖ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّاۖ إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾﴾ [يوسف].

وحتى في زماننا ما زالت ولا زالت قصته لها التأثير العجيب المليح الذي لا تمل الروح منها، سواءٌ من قِبل طالب العلم، أو من قِبل العوام، بل تعدّى ذلك في كثير من الديانات.

ومما يستدل به على هذا المعنى كما جاء في "صحيح البخاري"، برقم: (٦٥٩١)، ومسلم، برقم: (٢٢٩٨) من حديث حارثة بن وهب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قول النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ في صفة الحوض: «**حَوْضُهُ مَا بَيْنَ صَنْعَاءَ وَالمَدِينَةِ**». فَقَالَ لَهُ المُسْتَوْرِدُ: أَلَمْ تَسْمَعْهُ؟ قَالَ: الأَوَانِي؟ قَالَ: لاَ، قَالَ المُسْتَوْرِدُ: «**تُرَى فِيهِ الآنِيَةُ مِثْلَ الكَوَاكِبِ**». أي: كَثْرَة وضياء، وقد جاءت في القرآن بالمصابيح وذلك من قوله تعالى: ﴿وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًاۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿١٢﴾﴾ [فصلت].

فكما ذكرنا بأن الكواكب نجوم، وكما قال الشاعر في ضوء ولمعان النجم قوله:

كالكَوْكَبِ الدُّرِّيّ أخْلَصَ ضَوْءُهُ ... حَلَكَ الدّجَى، حتّى تألّقَ وانجَلى

فتزيد إنارةً وجمالًا وتألُّقًا عند زيادة سواد الليل، وهذا يتوافق مع نبي الله يوسف عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

ومنها بصورة عكسية، وهو دلالة على التشهير ويُسمّع به من قِبل حسّاده، فعن جندب بن عبدالله رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ، قال: قال رسول الله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ سَمَّعَ سَمَّعَ اللهُ بِهِ، وَمَنْ يُرَائِي يُرَائِي اللهُ بِهِ**»، متفق عليه.

وإلى يومنا هذا والناس تستصغر امرأة العزيز، وكذلك إخوة يوسف مما قاموا به من رميه للجب، ومع فعلهم هذا دلالة أيضًا على أنهم عبّاد موحدون، وليسوا بأنبياء ولا علماء، وذلك من حديث فضل العالم على العابد، فإن الشيطان يتمكن للعابد، وقد عبث بهم الشيطان بما قاموا به نحو يوسف عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وإن كان ذلك ثقيل حسب مكانته وسموه لكنه دلالة على شيء مليح يملكه، وكما سُئل أحد السلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **أين الحق**؟ فقال له: انظر إلى سهام العدو.

وأما من يقوم بتشهير نبينا صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ فإن عذابه عاجلًا يحل به؛ وذلك لأن الخليقة لا تستغني عن منافع الشمس والقمر، قال تعالى: ﴿إِنَّا كَفَيۡنَٰكَ ٱلۡمُسۡتَهۡزِءِينَ ٩٥﴾ [الحجر]، وكما عند مسلم، برقم: (١٩٢٠)، من حديث ثوبان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ، قال: قال النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ: «**لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ، حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ وَهُمْ كَذَلِكَ**»، ومن قام بالدفاع عنه ممن مضى من عهد السلف وفي عصرنا ذاع صيته بقدر إخلاصه، فافهم ذلك.

ونبينا صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ كان له الحظ الأكمل في الصيت الحسن ليس مخصوصًا في زمانه بل ذُكر عند الأنبياء الذين من قبله، وذلك من قوله تعالى: ﴿وَإِذۡ قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُم مُّصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَمُبَشِّرَۢا بِرَسُولٖ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِي ٱسۡمُهُۥٓ

أَحۡمَدُۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ قَالُواْ هَٰذَا سِحۡرٞ مُّبِينٞ ﴿٦﴾ [الصف].

وكذلك في سورة إبراهيم وغيرها من الأدلة من الكتاب والسنة، بل وفي الإسرائيليات وعند اليهود فذاع صيته قبل بعثته وفي عهده، وحتى قيام الساعة، وكذلك في الآخرة.

كما قالت لي امرأة: رأيت حوض الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ، وكان هناك أناس كثر، وكنت أنا من بينهم، فظهر رجل كان يلبس ثيابًا بيضاء، وكان الناس يصرخون رسول الله، وأنه سوف يسقيهم ماء من ذلك الحوض، وكان يحمل بيده وعاء على شكل كف اليد، وكان من كثرة الازدحام لا يستطيع أن يصلهم الماء، فكان يرمي بهم رميًا، وكان البعض يحط الماء في فمه، والآخر بين أيديهم، وأنا رمى به ووضع في ردائي، وكان ثقيلا جدًا حتى إن الثوب نزل إلى الأرض.

قلت: نذكر دلالة من دلالات، ونسأل الله الإخلاص، وأن يرزقنا من فضله وعلمه. فإن صدقت رؤياها: فالأخت انتظرت التعبير من الربيع كثيرًا حتى يرد على طلبها، وتشكو من مرض البيضاء، ويتم إرسال الدواء إليها، وهو مركب من الطب النبوي وذلك من عشبة، وسط زحمة الناس في طلبه، وأول أناس ينتفعون به هم أهل اليمن، ومن الناس من لا يقدر على تناوله، ومنهم من يتناوله ويجد تعبا بشدة مثل ما سيحصل للأخت، وتشفى بعده، فجرى ذلك، ويصل هذا الدواء لأغلب البلدان، ولمن عاداه سحقًا سحقًا، والله أعلم، ودليله من حديث الحوض وأيضا عدد آنية الحوض كعدد النجوم، وقولنا: عشبي لأن النبات تُسمى: كواكب، ومن قولها: رداء، أي دواء لداء. فافهم ذلك موفقًا إن شاء الله تعالى.



المبحث التاسع: مَلَك يقذف في روع مَلِك

ومن الدلالات: دلالة على نور الفراسة والإلهام، فقد كان يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ محبًّا لإخوته، وذلك لبراءته منذ طفولته ولصفاء سريرته فعندما ذهبوا به لعله كان يشعر بحدوث أمر من قِبلهم، وذلك من قوله تعالى: ﴿لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَٰذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ۝١٥﴾ [يوسف]، لتخبرنهم بصنيعهم هذا وهم لا يشعرون بك حال إخبارك لهم، ومعرفته لإخوانه عند مجيئهم إلى مصر وهم له منكرون، فإن التقي النقي الخفي ذات الروح الشفافة كالنور يدرك خفايا الأمور الباطنة من الظاهر، وقد تفطن يعقوب عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ بما صنعوا، فقال: ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ۝١٨﴾ [يوسف].

وقال ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: أفرس الناس ثلاثة:

العزيز في يوسف، حيث قال لامرأته: ﴿أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا ۚ﴾ [يوسف: ٢١]. وابنة شعيب حين قالت لأبيها في موسى: ﴿ٱسْتَـْٔجِرْهُ﴾ [القصص:٢٦]. وأبو بكر في عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، حيث استخلفه.

وفي رواية أخرى: وامرأة فرعون حين قالت: ﴿قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ ۖ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا﴾ [القصص: ٩]. [مدارج السالكين (٢/ ٤٥٥)].

وهكذا كان السلف رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ، ومنهم أبو سليمان الدَّاراني؛ فقد كان يُلقّب بـجاسوس القلوب، وذلك لقوة فراسته. [البداية والنهاية (١٠/ ٣١٨)]. وهكذا في حال الكواكب كونها لا تغشها شائبة فهي واضحة جلية صافية نقية، فمن أراد إخفاء الشيء في النهار فإن ضوء الشمس يُظهره، وكذلك في الدجى فنور القمر يطلع عليه،

وكلما كانت الروح صافية من محارم الله كلما كانت الفراسة والإلهام صائبة دامغة، قال الله تعالى في سورة النور: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾﴾ [النور]، من غير تكييف ولا تعطيل ولا تمثيل حتى قوله تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴿٤٠﴾﴾ [النور]، ومن لم يرزقه الله هدى من الضلالة وعلمًا بكتابه فما له هدى يهتدي به، ولا كتاب يستنير به، وقد يهيئ الله للمؤمن ملكًا يقذف في روعه ويُلهمه الحق والسداد، وهذا في مضمار السبق بالمكانة الأولى، وهم قليل، فإن الإلهام على مراتب ثلاثة:

الأول: ملهم عن طريق العلم، وهو أن يكون للرؤيا عدة احتمالات فيُلهم المعبر الاحتمال الصحيح عن طريق خبرته، وهذه المرتبة تجعل الإلهام فرع والعلم أصل، فلا يستغني الملهم عن العلم.

والثاني: ملهم عن طريق معرفة حال الرائي، وهذا يُلهم مقاصد الرؤيا من خلال معرفة حال الرائي بأن الصواب لن يكون إلا كذا وكذا، وهذه المرتبة تجعل الإلهام فرع والمعرفة أصل.

والثالث: الإلهام المجرد، وهذا لا ننكره، ولكنه نادر، وصاحبه ليس من مرجعيات التفسير كما تقدم ذكره، وقد يكون المفسر ممسوسًا ونظنه ملهمًا فيغلبنا الشيطان ويضحك علينا، فمن رزقه الله حُسن جمال العينين وحفظه رُزق السداد في التفسير.



المبحث العاشر: رُبّ حيلة أنفع من قبيلة ورُبّ فخ أنجد من أخ

ومنها دالة على الفطنة والذكاء والدهاء، ومنها الحيل المحمودة، وهذا جرى في أحداث قصة يوسف عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ عندما أمر فتيانه أن يجعلوا بضاعتهم في رحالهم، وكذلك أمر الصواع، وهذه الأمور أنجد لوقوع الأحداث على الصورة الحسنة.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في قوله تعالى ﴿وَقَالَ لِفِتۡيَٰنِهِ ٱجۡعَلُواْ بِضَٰعَتَهُمۡ فِي رِحَالِهِمۡ لَعَلَّهُمۡ يَعۡرِفُونَهَآ إِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِمۡ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ٦٢﴾ [يوسف]: قالَ شَيْخُنا: مِمّا قَدْ يُظَنُّ أَنَّهُ مِن جِنْسِ الحِيَلِ الَّتِي بَيَّنّا تَحْرِيمَها ولَيْسَ مِن جِنْسِها قِصَّةُ يُوسُفَ حِينَ كادَ اللَّهُ لَهُ في أخْذِ أخِيهِ كَما قَصَّ ذَلِكَ تَعالى في كِتابِهِ، فَإنَّ فِيهِ ضُرُوبًا مِن الحِيَلِ الحَسَنَةِ:

أحَدُها: قَوْلُهُ لِفِتْيانِهِ: ﴿ٱجۡعَلُواْ بِضَٰعَتَهُمۡ فِي رِحَالِهِمۡ لَعَلَّهُمۡ يَعۡرِفُونَهَآ إِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِمۡ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ٦٢﴾ [يوسف].

الحيلة في الاصطلاح: عرفها **ابن تيمية** رَحِمَهُ ٱللَّهُ **بقوله**: ومعناها: نوع مخصوص من التصرف والعمل الذي هو التحول من حال إلى حال هذا مقتضاه في اللغة، ثم غلبت بعرف الاستعمال على ما يكون من الطرق الخفية إلى حصول الغرض، وبحيث لا يتفطن له إلا بنوع من الذكاء والفطنة، فإن كان المقصود أمرًا حسنًا كانت حيلة حسنة، وإن كان قبيحًا كانت قبيحة، صارت في عرف الفقهاء إذا أطلقت قصد في الحيل التي يستحل بها المحارم، كحيل اليهود، وكل حيلة تضمنت إسقاط حق الله أو الآدمي فهي تندرج فيما يستحل بها المحارم.

وعرفها **ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: هي نوع مخصوص من التصرف والعمل الذي

يتحول به فاعله من حال إلى حال، ثم غلب عليها بالعرف استعمالها في سلوك الطرق الخفية التي يتوصل بها الرجل إلى حصول غرضه بحيث لا يتفطن له إلا بنوع من الذكاء والفطنة، فهذا أخص من موضوعها في أصل اللغة، وسواء كان المقصود أمرًا جائزًا أو محرمًا، وأخص من هذا استعمالها في التوصل إلى الغرض الممنوع منه شرعا أو عقلا أو عادة.

ومما يُستدل به على فطنته وذكائه سؤاله عن النسوة اللاتي قطعن أيديهن.

ومكانة الكواكب لهذه الدلالة كما جرى من نبي الله إبراهيم عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ مع قومه قال تعالى: ﴿ فَنَظَرَ نَظۡرَةً فِي ٱلنُّجُومِ ﴿٨٨﴾ ﴾ [الصافات].

فنظر إبراهيم نظرة في النجوم يدبر مكيدة للتخلص من الخروج من قومه، والحيل غالبًا تُصنع في الليل أو خفية، وفيها تستر، وهذا اشتقاقٌ من إحالة الليل نهارًا، والنهار ليلًا، وذلك لمنفعة العباد قال تعالى: ﴿ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّۖ يُكَوِّرُ ٱلَّيۡلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيۡلِۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ ﴾ [الزمر:٥].

يدخل الليل على النهار، ويدخل النهار على الليل، فإذا جاء أحدهما غاب الآخر، وذَلَّل الشمس، وذَلَّل القمر، وكذلك عند حادثة الكسوف تجدها: هو توسط الأرض بينه وبين الشمس لتغشى حقيقة القمر لكي يحصل الخوف للعباد للعودة إلى خالقها، وقس على ذلك في الخسوف، وكل ذلك بأمر الله تعالى، فافهم ذلك.

وقد صنّف ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ كتابًا اسمه: "الطرق الحكمية في السياسة الشرعية" وهو كتاب ماتع نفيس، وذكر وقفات عدّة عن القاضي إياس بن معاوية، **وقلت:** لو كان القاضي إياسًا عابرًا للرؤيا ربما ذاع صيته فيه، والله أعلم.

وهنا أضع فائدة ذكرها شيخنا يحيى الحجوري حفظه الله، قال: جائز القول بـ:

أنا. واستدل من قوله تعالى: ﴿ قَالُواْ نَفۡقِدُ صُوَاعَ ٱلۡمَلِكِ وَلِمَن جَآءَ بِهِۦ حِمۡلُ بَعِيرٖ وَأَنَا۠ بِهِۦ زَعِيمٞ ٧٢ ﴾ [يوسف].

وقد كان نبينا صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓآلِهِۦوَسَلَّمَ فيه من الفطنة والدهاء ما ليس عند غيره، وكذلك عند بعض أصحابه رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمۡ.



المبحث الحادي عشر: عذبة باطنها كذبة

ومنها: دالة على تُهمة السرقة، وهذا تحت مسمّى الفساد من قِبل من دل عليه الشمس أو الكواكب، وهو براء، وقد جرى ذلك ليوسف عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، قال تعالى: ﴿ قَالُوٓاْ إِن يَسۡرِقۡ فَقَدۡ سَرَقَ أَخٞ لَّهُۥ مِن قَبۡلُۚ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفۡسِهِۦ وَلَمۡ يُبۡدِهَا لَهُمۡۚ قَالَ أَنتُمۡ شَرّٞ مَّكَانٗاۖ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ٧٧ ﴾ [يوسف].

وقد أسرَّ يوسف عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أيضًا رؤياه عنهم، وكذلك ما جرى من امرأة العزيز؛ لأنه يُعد فسادًا في حق الصّرح الملكي.

وهذا المعنى من الليل والنهار فهو يختلس منه شيئًا فشيئًا، ولذلك سمي: غلسًا؛ كونه يختلط آخر ظلام الليل مع الفجر، وأيضًا تأمل قوله تعالى: ﴿ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ٣ ﴾ [الفلق].

قال شيخنا أبو بكر الحمادي حفظه الله: والغاسق إذا وقب يدخل في ذلك القمر دخولًا أوليًا، ويدخل في ذلك الليل، والقمر آية من آيات الله، والليل يحصل فيه من الشرور الخفية ما لا يحصل في النهار لما في ذلك من الظُّلمة، فكم من صاحب شر إذا أراد أن يتستر بشره إذا به يفعل شره في الظلام، ويدخل في ذلك من يسرق أموال الناس، ومن يسرق منازل الناس.

قلت: وهذا يُعد من الفساد، ولذلك ﴿ وَجَآءُوٓ أَبَاهُمۡ عِشَآءٗ يَبۡكُونَ ١٦ ﴾ [يوسف].

وقال تعالى: ﴿ سَوَآءٞ مِّنكُم مَّنۡ أَسَرَّ ٱلۡقَوۡلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنۡ هُوَ مُسۡتَخۡفِۭ بِٱلَّيۡلِ وَسَارِبُۢ بِٱلنَّهَارِ ١٠ ﴾ [الرعد].



فإن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يسمع هذا، ويسمع هذا، على حد سواء، ﴿ سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِٱلَّيْلِ وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ ﴿١٠﴾ ﴾ [الرعد]، فالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء.

وعند أهل اللغة: سَرَقٌ. سَرِقَ الشَّيْءُ: خَفِيَ، بَقِيَ مُسْتَتِرًا. ومن وجه آخر كما قيل: إن القمر يستمد نوره من الشمس، وهذا الأمر مخفي في إدراكه، وللمدّعي نقول له: أنّى للقمر أن يُفسد مصلحة العباد إلا بأمر الله وهو لا يُحب الفساد.

ومن سعى بدليل عذب وباطنه عليل اعتل بعلة حسية ومعنوية لا يهتدي إلى دواء له.

واعلم أن السرقة في المنام الأصل فيها دال على الفساد، وذلك من قوله: ﴿ قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَٰرِقِينَ ﴿٧٣﴾ ﴾ [يوسف].

ودالة أيضًا على فساد أخلاط البدن خرج عن الاعتدال إن كان مريضًا، فإن برز اللون الأحمر في شيء من السارق أو في أحداث المنام فهو في الدم، وإن كان اللون الأصفر فهو في الصفراء، وإن كان أبيض اللون فهو البلغم، وإن كان أسود اللون فهو السوداء، وإما إن كان دون البدن فالأحمر سفك الدماء، والأصفر أمراض وأسقام ونحو ذلك، والأبيض يعود للمياه، والأسود للدخان.

كما قال لي رجل: هناك امرأة رأت لصًّا دخل من نافذة المطبخ، وأخذ قطعتين من صدر الكنافة. **قلت:** ماذا كان لون لباس اللص، فسألها؟ **فقالت:** أسود. **قلت له:** عليها أن تتفقد أنابيب غاز المطبخ. **فقال:** قد جرى قبل قليل حيث انفجرت أنابيب الغاز، وسلّمها الله سبحانه تعالى.

وآخر يقول: رأيت سارقًا لا أعرفه سرق عليَّ الجنبية. **قلت:** تشكو من معدتك

ومهموم بسبب شِدَّة وحاجة في جاهك أو مالك. **فقال**: صحيح. **قلت**: عليك بالاستفراغ، وسيفرج الله همك. ودليله: أن موضع الجنبية في وسط الجسد.

وقالت امرأة: رأيت أن سارقا سرق ذهبي. **قلت**: حصل لك نكد مع زوجك، وذلك بسبب حسد، فكان كذلك.

وللسرقة أحكام أخرى ليس هنا بسطها.



المبحث الثاني عشر: حُجب القمر بالسّحب

ومن الإشارات: دالة على التستر أو الغطاء لأجل السِّتر، أو المصلحة، فتجري فوائد وأرزاق ومنافع من حيث لا يدركون ممن ذلك، فهو متستر عنهم، أو خُفي عنهم مصدر معيشتهم، والمسك كيف خبأته وقد ظهر عليك وبان.

فإن مغيب الشمس واختفاء القمر إنما لنفع الخليقة كلها، وهذا من تدبير الملك العزيز على عباده منهم الصالح والفاجر، وعند أهل اللغة: حين توارَتْ بالحِجابِ. الحِجابُ ههنا: الأُفُقُ؛ يريد: حين غابَتِ الشمسُ في الأُفُق واسْتَتَرَتْ به، ومنه قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ ﴿٣٢﴾﴾ [ص].

وقال الشاعر:

تَرَاءَتْ لنا كالشَّمْسِ تحْتَ غَمامةٍ ... بدَا حاجِبٌ منها وضَنَّتْ بِحاجِبِ

وحَواجِبُ الشمس: نَواحِيها.

وقال الأزهري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: حاجِبُ الشمس: قَرْنُها، وهو ناحِيةٌ من قُرْصِها حِينَ تَبْدَأُ في الطُّلُوع، يقال: بَدا حاجِبُ الشمسِ والقمرِ.

وقول الشاعر:

إذا مــا غَضِــبْنا غَضْــبةً مُضَــرِيَّةً ... هَتكْنا حِجابَ الشمسِ أَو مَطَرَتْ دَما

وهكذا جرى من يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ مع إخوته من أمر البضاعة المتقدم ذكرها، وقد مكروا به في الصغر، وما صدر منه من التستر إلا لأجل مصلحة لأمر حسن، وكما في الدعاء: «**وامكر لي ولا تمكر عليَّ**»، والمكر: احتيال في خفية، وهنا لأجل المصلحة وجلب منفعة، أو لدرء مفسدة، وقيل أيضًا: أن يوسف



عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ كان يتقنع لكيلا يَفتتن الناسُ بحسنه، وقد يُبتلى المرء ببدنه ويتغيّر خلقه بسبب نظرة، والحاكم قد يحكم الرعية وهو خفي عنهم، ويزعمون أنه مقتول، وهم لا يشعرون كما جرى في بلد من البلدان، والله أعلم.

فائدة مليحة:

ربما يجري من الرائي تستر اسمه، وكل من له صلة به على من دل عليه الشمس أو الكواكب، وقد جرى ذلك من يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ على إخوانه، وكذلك من نبينا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ تجاه قريش عندما سُئل: من أنتم؟ فقال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: «**نحن من ماء**» ثم انصرف.

وجعل الشيخ يقول: نحن من ماء!! من ماء العراق، أو ماء كذا، أو ماء كذا. [رواه ابن هشام في السيرة (١/ ٦١٦)].

وهنا كانت المصلحة للدين الإسلامي، وفرق مما قام به يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وذلك إنما لمصلحة خاصة بأقاربه.



المبحث الثالث عشر: معدن نفيس وإن اصفرّ أو ازمَهَرَّ

ومن العلامات: دالة على سلامة القلب من الفتن، وعلى رجاحة العقل، فيتجرد من الدنيا وزينتها مع إقبالها إليه، وذلك من قوله: ﴿رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠١﴾﴾ [يوسف].

ولا يقبل زينتها وبهجتها، وهذا دال على ثباته وأصالة معدنه، قال تعالى: ﴿وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحْسَنَ مَثْوَايَ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [يوسف].

فرفض ذلك وهو شابٌ يافعٌ جميلٌ، وبعيد عن أنس أهله، وهي ذات حسن وجمال ومنصب ومال، فلم تقدر الشمس على زمهرة واصفرار المعدن النفيس، وإن دُفن فلا تُغيّره أغبرة ما حوله، فالعفة رفعة، والمحنة بعدها منحة، وأيُّ منحة ورفعة وإجلال نالها يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وهذا أيضًا من زهده، وقد ذكر بعض أهل التفسير أنه كان عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ يجوع في سنين القحط لكي يشعر بالفقير، وهذا من كمال المروءة إذ تمتنع عن الشيء المباح لك مع القدرة عليه لكون جارك مضطرًّا إليه لعدم القدرة.

والمتأمل إلى الكواكب وعلوها ورفعتها فإنها صفة للسلامة من الآفات الرديئة، والصعود إليها سلامة وأمان، وهكذا في الاعتبار، وكما هي هداية للعباد فهي لسلامتك فيما سُخرت له على الخليقة وذلك لحفظ مصالحهم وهذا بأمر من الباري سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

وإذا تأملت في نبينا محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ لوجدته من أخير المعادن أبًا وجدًا حتى آدم عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وقد عُرضت عليه الدنيا ما لم يُعرض لنبي قط قبله، ولكنّه اختار الرفيق الأعلى، وهذا من كمال تواضعه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وفي زماننا تجدهم من صفوة الصفوة.

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال: «**النَّاسُ مَعَادِنُ كَمَعَادِنِ الْفِضَّةِ وَالذَّهَبِ، خِيَارُهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ خِيَارُهُمْ فِي الْإِسْلَامِ إِذَا فَقُهُوا، وَالْأَرْوَاحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ، فَمَا تَعَارَفَ مِنْهَا ائْتَلَفَ، وَمَا تَنَاكَرَ مِنْهَا اخْتَلَفَ**».[رواه مسلم، برقم: (٢٦٣٨)].





المبحث الرابع عشر: الناس على دين ملوكهم

عليك أن تدرك أحوال الناس، فهذا أصل ينبغي عليك أن تفهمه وتقوم به أثناء سيرك في طلب العلم، وقد تقدم ذكر ذلك في أول آيات السورة، فكما أن الله خلق هذه الكواكب وسخرها لنفع المخلوقات فجعل النهار له أعمالًا يقوم به الخلق حسب طبائعهم، وجعل الليل له أعمالًا دون ذلك، ومن خالف ذلك جرى له معضلات عدة، وبما أن الشمس والقمر كانتا دلالة على الملوك كان أثرهم ملموسًا على رعيتهم، ولما كان يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ طبيبًا ماهرًا، وكذلك بالحسابات (التواريخ) صار هذا مطبوعًا في أهل مصر إلى يومنا هذا، فمصر في الطب يتوافدون إليها المرضى من بلدان بعيدة في زماننا، وأما الحسابات فإنك تجد أصحاب رؤوس الأموال الكبيرة في أرض الحجاز أو اليمن وغيرها يستجلبون عمالة مصرية في إدارة أموالهم، فإنهم يظهرون الدرهم الخفي وإن كان في جحر ضب، وهنا دال على ما ذكرنا من حال الناس في كل بلد، فانظر إلى يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ كيف عبّر للسجينين على ما يليق به حالهم، وأيضًا إلى رؤيا الملك، وعندما كان حال أهل كنعان مختلف على حال أهل مصر عرفهم يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ولم يعرفوه؛ لتغير هيئته، وذلك من قوله: ﴿وَجَآءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُواْ عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ۝٥٨﴾ [يوسف].

وكما جرى من تعبير ابن سيرين للرجلين مع أنها رؤيا واحدة في رموزها، وقد كان من الحرص النبوي الشريف للصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ العمل بهذا الأمر؛ ودليل ذلك مما وصى به نبينا محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ معاذ بن جبل رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عندما وجَّهَهُ إلى

اليمن، فقال له: «**إِنَّكَ تَأْتِي قَوْمًا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ**...» الحديث. [رواه مسلم، برقم: (١٩)].

ولهذا كان من حكمة الله تعالى على نبينا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ قبل أن يبعثه أن يسلك طريق التجارة برفقة عمه، ثم التجارة لخديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وهذا فيه حِكَمٌ جليلة؛ فمنها معرفة معادن الناس وأحوالهم والخبرة لأمور شتى ونحو ذلك، وهذا أمر جهله كثيرٌ من طلبة العلم في زماننا، فتجده في العقيدة حسنًا، وهذا أمر لا ننتقده، ولكن تجده في الأخلاق سيئًا، وإذا نزلت عليه نازلة مما حوله أو فيما يتعلّق بالدعوة من جاهل ونحوه تجده يتخبَّط، بل ويزيد الطين بِلَّة، وهذا ملموس، وقد جرى لبعض الإخوة ذلك، وحينها يستنجد بشيخ قبلي، أو ممن له خبرة في حل هذه المعضلات.

ولما كان بعض الأكابر من طُرقهم استقطاب الناس بالسحر كما في زماننا فقد تفشى السحر في البلدة، وحلّت التفرقة بين الولد وأبيه وإخوانه وأخواته، وإلى الله المشتكى، والله المستعان.





المبحث الخامس عشر: التدبير نصف المعيشة

ومنها دالة على الحكمة، ومنها التدبّر، فينبغي لطالب العلم أن يفهم العلوم الشرعية لكي يحكم بعد تدبر وتأمل في الكتاب والسنة عن علم وبصيرة، وارتباط الكواكب بحسن الاستنباط، ورجاحة القلب من قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ١٩٠﴾ [آل عمران]، فمن عظمة خلق السماء ومنها الكواكب تدعو للتفكير في آيات الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فيحصل نماء للقلب وجمال الفكر، وهذا خير كثير لمن رزقه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ذلك، وكذلك كما جرى مع نبي الله إبراهيم عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

وقد كان يدعو ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: اللهم يا معّلم آدم وإبراهيم علمني، فإنَّ طلب إجابة المسألة من العالم يعتبر طلب فهم العلم، كما فعل يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ مع أبيه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، ولهذا تجد هاتين الصفتين ذُكرتا مرات عدة في سورة يوسف، فعند نُصح يعقوب عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ليوسف عقِب قوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ٦﴾ [يوسف]، وصفة المخلوق ليس كصفة الخالق، وقوله: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ [يوسف:٢٢] أعطيناه فهمًا وعلمًا، ولذا على طالب العلم أن يحكم بإتقان وتفصيل لا سيما العابر، ولا يمر مرور الكرام، وانظر إلى تعبير يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ لرؤيا الملك، فقد رسم لها أهدافها وأدارها بحكمة وتدبر وإتقان، وكما سيأتي بيانه أنه قيل: إن يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ كان أيضًا مهندسًا معماريًا، وانظر إلى من سلف كيوسف هذه الأمة: ابن سيرين، والشهاب العابر، وغيرهم، في عبورهم تجد فيه من التفصيل والتبيّين بُعْدَ نظر وتأمل وبصيرة، فهذا الأمر أصل في

غاية الأهمية؛ فإن الله قد يقذف في روع العابر ما لا يتفطن له من دروس مضت وهم نُدر، وكذلك إذا تأملت إلى تصرف يوسف عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ مع إخوانه عند مجيئهم فقد اتخذ تدابير مرسومة للغاية وجرى له مراده.

ولذا تجد في الآية الأخيرة من سورة يوسف وهي قوله تعالى: ﴿ لَقَدۡ كَانَ فِي قَصَصِهِمۡ عِبۡرَةٞ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِۗ مَا كَانَ حَدِيثٗا يُفۡتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصۡدِيقَ ٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَتَفۡصِيلَ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ١١١ ﴾ [يوسف].

وإن كانت الآية تحمل معنىً آخر، ومما زاد هذه القصة ملاحة كونها من القصص القرآنية المفصّلة، فأحيانًا تحكي أحداث يوم، وأحيانًا أحداث أيام، وأحيانًا أحداث أشهر، وكذلك سنين، وكأن روحك فيها، وهذا حُسن وجمال في كلام الله تعالى، ومن حكمة الباري سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ أنْ فصَّل قصة يوسف عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ لكي تكن عظة وعبرة لنبينا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ ولأمته خصوصًا عند بدء دعوتهم، والله أعلم.

وارتباط هذا المعنى من إشارة الكواكب هو تسخير الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ للشمس وللقمر بمنظومة متقنة من غير خلل، ولو جرى ذلك لفسدت مصالح ومعايش العباد والحيوان والطيور، قال سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ: ﴿ ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ بِحُسۡبَانٖ ٥ ﴾ [الرحمن]، الشمس والقمر قَدَّرهما يسيران بحساب متقن؛ وقوله: ﴿ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ كُلّٞ يَجۡرِي لِأَجَلٖ مُّسَمّٗىۚ يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَ يُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمۡ تُوقِنُونَ ٢ ﴾ [الرعد]، وانظر إذا جرى أمر الكسوف أو الخسوف ما المطلوب من العباد؟ فكيف إذا جرى شيء في سريانها؟ اللهم يا معلّم آدم وإبراهيم ويوسف علمني.

المبحث السادس عشر: كوكب دُرِّيٌّ في موكب كواكب

ومن العلامات: دالة على التزيّن في البهاء والجمال.

ولذا فمن رآه في المنام أو رأى نحو رؤياه وهو حسن العينين ربما رُزق الفراسة، وقوة البصيرة، وعلم الرؤيا.

ومن كان يملك حسن الشفتين رُزق ملاحة الكلام، وسحر البيان الحلال، وهذا تستشعر به من كلام يوسف في مواضع عدة لو أمعنت في ذلك كقوله: ﴿قَالَ هِىَ رَٰوَدَتْنِى عَن نَّفْسِى﴾ [يوسف:٢٦]، وقوله: ﴿وَقَالَ لِلَّذِى ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٍ مِّنْهُمَا ٱذْكُرْنِى عِندَ رَبِّكَ﴾ [يوسف:٤٢] وغيرها، فإنك تجدها ألفاظًا فيها من الصفاء والبراءة والرحمة، ونحو ذلك من عذب الكلام.

ومن يراه وهو حسن الكفين رُزق البركة فيما يصنعه أو يدهش ويتألق فيما يكتبه، وعلى هذا فقس من جمال يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ بذاته، أو مما جرى له، وهذا كما هو حال الكواكب من جمال لمعانها وتزين السماء بها كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ﴾ [الملك:٥].

قال قتادة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: خلق هذه النجوم لثلاث: جعلها زينة للسماء، ورجومًا للشياطين، وعلامات يهتدى بها، فمن تأول فيها بغير ذلك أخطأ، وأضاع نصيبه، وتكلف ما لا علم له به. [رواه البخاري].

قال الشاعر:

كالكوكب الدري أخلص ضوؤه ... حلك الدجى حتى تألق وانجلى

وقيل عن النجم: لَمَعَ، تَأَلَّقَ النَّجْمُ، لَيْلٌ غَابَ بَدْرُهُ وَتَأَلَّقَتْ نُجُومُهُ.

فرؤياه إشارة على الجمال؛ كيف لا وقد أُوتي شطر الجمال.

وقد ذكر الإمام السمعاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في "تفسيره": شبهه بالكواكب ولم يشبهه بالشمس والقمر؛ لأن الشمس والقمر يلحقهما الكسوف والخسوف والكواكب لا يلحق بهم.

وبما أن إخوة يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ كواكب فدلالة على جمالهم أيضًا، لكن يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أجمل منهم، ولا مقارنة، وهنا دلالة على أن الكواكب بينها أمور متشابهة مع بعضها البعض، ولذا تجد في كتابنا هذا دلائل متشابهة، ولكل دلالة لها مزيتها وخاصيتها، ومن الإشارات على إخوة يوسف دليل على أن بشرتهم بيضاء، وذلك من بياض الكواكب، فمن معاني الكوكب من كلام العرب: البياض في سواد العين، فيقال: بياض وبياضة، وكوكب وكوكبة، وسائر الكواكب تُذَكَّر إلا الزُّهرة تؤنث كما ذكر ذلك الأزهري، ويقال لبياض الكوكب في سواد العين إذا ذهب بصره كما جرى ليعقوب عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وما ذكرناه مزية في الجمال ويزداد جمالًا بالتقوى، ولا يغرنك بياض أعداء الإسلام أو صفرة بشرتهم، قال تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ﴾ [المنافقون:٤]. وإنما لطبائعهم وأمزجتهم الفاسدة الرديئة.

وهنا إشارة إلى أن أم يوسف وهي راحيل كانت ذات حسن وجمال؛ كيف لا والقمر يستمد نوره من الشمس.

وقد ذكر **ابن كثير** رَحِمَهُ ٱللَّهُ في "البداية والنهاية" **قال**: فخطب إليه راحيل، وكانت أحسنهما وأجملهما. [البداية والنهاية (١/ ٤٤٩)].

وكذلك كانت جدته سارة كذلك، فاكتسب جماله الباهر منها أيضًا، ولعله اكتسبه

أيضًا بسبب عِفَّته أو كون البلاء حلَّ به منذ الصغر، والله أعلم.

وقد جاء عند البيهقي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، قال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: «**ثم صعدنا إلى السماء الثانية فإذا أنا برجل أحسن ما خلق الله، قد فضل عن الناس بالحسن كالقمر ليلة البدر على سائر الكواكب. قلت: يا جبريل من هذا؟ قال: هذا أخوك يوسف، ومعه نفر من قومه، فسلمت عليه...**». وقد كان يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ كوكبًا يتلألأ في موكب كواكب إخوانه، وتجد في الحديث ذكر القمر، وتدل على مزية القمر على سائر الكواكب، ونحن في بحثنا هذا تارةً نتكلم عن القمر إشارة ليوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وتارةً لأبيه، وتارةً لمعانٍ أخرى، وكذلك في الشمس، فتنبّه لذلك.

ومما يَعضُد ما سبق ذكره من قوله تعالى: ﴿وَقَالَ يَٰبَنِيَّ لَا تَدۡخُلُواْ مِنۢ بَابٖ وَٰحِدٖ وَٱدۡخُلُواْ مِنۡ أَبۡوَٰبٖ مُّتَفَرِّقَةٖۖ وَمَآ أُغۡنِي عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٍۖ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۖ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُۖ وَعَلَيۡهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ ٦٧﴾ [يوسف]، فبعض المفسرين قال: إن يعقوب عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ خشي عليهم من العين، وذلك لجمالهم، وهنا يُنبّه أولاده من الحسد، وهذه المرّة الثانية، والأولى كانت عند نصحه ليوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وهذا إن دل فإنما يدل على عظم هذا الداء واستصعاب معالجته إلَّا أن يشاء الله، وأكثر ما ابتلي الناس به في زماننا هو من هذا الباب، نسأل الله السلامة والعافية، ولذلك فإن الرقية بهذه السورة نافعة للمحسود.

وقد زيَّن الله سُبۡحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ فوق جماله بالنبوة والعلم والملك، وبه انتفعت وتزينت مصر وأهلها.

ولقد اجتمع في نبينا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ الجمال كله، قال الله تعالى: ﴿وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا ٤٦﴾ [الأحزاب]، فجمع له الوصفين ليكتمل الجمال

والإجلال وليلتحم الضياء بالنور فيشرق للناس أجمع، وقد وصف الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ وجه نبينا صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ بقولهم: **بل كَانَ مِثْلَ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ، وَكَانَ مُسْتَدِيرًا**. [رواه مسلم، برقم: (٢٣٤٤) من حديث جابر بن سمرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ].

ومما يُستدل به أن القمر يدل على الجمال قوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ: «**أَوَّلُ زُمْرَةٍ تَلِجُ الجَنَّةَ صُورَتُهُمْ عَلَى صُورَةِ القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ**». [رواه البخاري، برقم: (٣٢٤٥)، مسلم، برقم: (٢٨٣٤)].

وهكذا كان أصحابه رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ كالنجوم، وقد كان أحدهم يعلن إسلامه بمجرد رؤيته صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ؛ فقد سُئل عبد الله بن سلام رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ عن سبب إسلامه فقال: تأملت وجه النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ فأيقنت أنه ليس بوجه كذاب. [رواه الترمذي، برقم: (٢٤٨٥)].

والبعض من عمله أو بسبب خُلقه، وقد جاء من حديث عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا، قالت: «**كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنَ**» [رواه أحمد، برقم: (٢٥٣٠٢)]، فلا شك ولا ريب أنه أبلغ إذ أن كلام الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ ليس بمخلوق، وأما الكواكب فهي من مخلوقاته سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، وكان من شدة حرص الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ نيل بركته من بدنه صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ، فكانوا يسارعون في أخذ شعره ووضوئه حتى النخامة، وهذا دليل على ما وجدوه من جماله وبركته، ولو من أثره صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ، وهذا أبلغ وأجمل وأطيب، فافهم ذلك.

المبحث السابع عشر: زينة كواكب

ومن العلامات: دالة على نيل علوم عدّة كالعقيدة، وعلم الطب، وعلم التعبير، والحديث ونحو ذلك، أو بما دلت عليه الكواكب؛ لأن النجوم كالعلماء، وهي هداية، وكلما توسع طالب العلم في العلوم زاد جماله، قال تعالى: ﴿إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ ۝٦﴾ [الصافات]، وهذا من تعدد الكواكب واختلافها، كاختلاف الشمس والقمر، قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ ۝٦﴾ [يونس]، فالتزيّن بالشيء الواحد لا يزيد من ملاحة الزينة الشيء الكثير، وإنما باختلاف متعدد كحال اختلاف النجوم في الليل في لمعانها وأحجامها، وكذلك اختلاف الشمس عن القمر، فيصحب ذلك من ظلمة وضياء وقصر ليله وطول نهاره ونحو ذلك، وقد جرى ليوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ علوم عدّة، منها التوحيد، وقد ذكرناه، وكذلك علم الرؤيا، وعلم الحساب، وكذلك الهندسة المعمارية، وهذا مستنبط من تخزين الحنطة، وغير ذلك من العلوم النافعة على العباد، فافهم ذلك.

ونبينا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ جاء بكل العلوم النافعة للعباد في دينهم ودنياهم.

ومن هذا المعنى فمن رؤيا يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ نستنبط أن الرؤيا الواحدة أحيانًا تشير إلى دلالات متعددة، وتتكرَّر بمعالم مختلفة، وعبورها لمعنى واحد ونحو ذلك.

وهذا إن دل فإنما يدل على أهمية الأمر والسعي إليه، وكذلك دالة على الزيادة التي جرت ليوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، سواء كانت زيادة في أنواع الشدة أو زيادة في

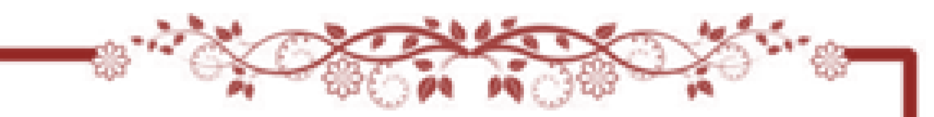
أمور عدّة من الخيرية، فافهم ذلك.

كما قال لي إنسان: رأيت أني أشرب ماء زمزم، ثم رأيت رؤيا أخرى: أن هناك من أعطاني عطرًا.

قلت: أنت سقيم، وتُشفى بدواء من عطَّار، فكان حاله كذلك.







الباب التاسع:
محجّة بيضاء

المبحث الأول: يُعطى سيفًا أزهريًا.

المبحث الثاني: سحر لا يتحمّله أحد.

المبحث الثالث: قد يخفق أو يفشل لكنه موعود.



المبحث الأول: يُعطى سيفًا أزهريًا

ومنها دالة على النصر، فيُعطى سيفًا له قوته في تأثيره الجلي على أهل الأهواء بالبرهان والدليل القاطع، فقد قطع تأويلهم الباطل، قال تعالى: ﴿قَالُوٓاْ أَضۡغَٰثُ أَحۡلَٰمٖۖ وَمَا نَحۡنُ بِتَأۡوِيلِ ٱلۡأَحۡلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ ٤٤﴾ [يوسف]، وهذا من جهلهم وكبريائهم، وقد ألجمهم يوسف عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ بالتأويل الصحيح، وأيضًا في السجن في إنكاره للشرك وأثبت لهم الحُجة الواضحة، وأيضًا من بعد ذلك كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ جَآءَكُمۡ يُوسُفُ مِن قَبۡلُ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَمَا زِلۡتُمۡ فِي شَكّٖ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦۖ﴾ [غافر: ٣٤]، والبيّنة ما كانت واضحة جليّة كالنجم.

وعلى الاستدلال المبهر، وذلك قوله: ﴿قَالَ ٱرۡجِعۡ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسۡـَٔلۡهُ مَا بَالُ ٱلنِّسۡوَةِ ٱلَّٰتِي قَطَّعۡنَ أَيۡدِيَهُنَّۚ إِنَّ رَبِّي بِكَيۡدِهِنَّ عَلِيمٞ ٥٠﴾ [يوسف].

وصلة الدلالة والاستدلال والإشارة من الكواكب من قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيۡهِ ٱلَّيۡلُ رَءَا كَوۡكَبٗاۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلۡأٓفِلِينَ ٧٦﴾ [الأنعام]، فهي مخلوقات تدل على عظمة خلقها.

وتجد في آخر سورة يوسف قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسۡتَيۡـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ قَدۡ كُذِبُواْ جَآءَهُمۡ نَصۡرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَآءُۖ وَلَا يُرَدُّ بَأۡسُنَا عَنِ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ١١٠﴾ [يوسف]، وهنا دلالة على النصر، وأتت الآية في أواخر السورة وكأنها إشارة إلى أن النصر يأتي بعد ترادف الشدائد والصعاب والمحن، فتفطن لذلك.

ومما يُستدل على هذا المعنى من الكواكب من قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ

ٱلدُّنۡيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلۡنَٰهَا رُجُومٗا لِّلشَّيَٰطِينِۖ وَأَعۡتَدۡنَا لَهُمۡ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ ٥﴾[الملك]، دلالة على صد ونبذ الأرواح الخبيثة، ومنها الشياطين، فالمصابيح هنا هي النجوم كما ذكر بعض أهل التفسير، فهي ترجم الشياطين عند استراقها للسمع لكي توسوس إلى أعوانها.

فإن قيل: كيف تكون النجوم زينة وهي رجوم لا تبقى؟

قلت: قيل: إن الرجم من أنفس الكواكب، ولا يسقط الكوكب نفسه إنما ينفصل منه شيء يرجم به من غير أن ينقص ضوؤه ولا صورته.

وقس على ذلك تشبيهًا النجوم بالصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ في ردع وطرد أهل البدع من قِبل نجوم هذه الأمة حتى قيام الساعة، ولله الحمد والمنة.

واللون الأزهر عند أهل اللغة: هو كل لون أبيض صافٍ مشرقٍ مضيء، وهذا شبيه بالكواكب وهي النجوم، وقد جاء في صفة نبينا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ نحو هذا.

والقمر: يُقال: قمر أزهر.

والقلم شبيه بالسيف من أوجه عدّة، وكما قيل: قلم القاضي يقتل. وقد قيل: القَلَمُ أَحَدُ اللِّسَانَيْنِ: مَا يَكْتُبُهُ القَلَمُ فَهُوَ لِسَانُ الْمَرْءِ.





المبحث الثاني: سحر لا يتحمّله أحد

ومن المعاني النفيسة وهي على أوجه عدَّة:

منها: دالة على حُسن البيان، والقلم وملاحة الكلم، فَيُلهم صنعة نفيسة من نُدر النُّدر يقوم بها مما دلت عليه الكواكب من مفاهيم شتى، وقد جاء في الحديث: «**إنَّ مِنَ البيَانِ لَسِحْرا**» [رواه البخاري، برقم: (٥١٤٦)، من حديث ابن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمَا]، وهذا الحديث قد يُفسَّر على معنيين: إما على سبيل المدح، وهذا الذي نتحدث عنه، ودليله أن من شدَّة جمال ما جاء به النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓالِهِۦوَسَلَّمَ قالوا: عنه ساحر، وأيضًا يأتي ببيان بليغ يُسحِر الناظر أو القارئ أو المستمع، وهذا شبيه بجمال نور الكواكب، فإنها تستجلب الروح للفكر عند التأمل فيها، فمن رزقه الله شطر الجمال رُزق عذب ذلك من لسانه وقلمه ونحوهما، ومما جرى ليوسف قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَيۡنَهُۥٓ أَكۡبَرۡنَهُۥ وَقَطَّعۡنَ أَيۡدِيَهُنَّ وَقُلۡنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٞ كَرِيمٞ ۝٣١﴾ [يوسف]، وقد ميّز الله بدء قصته بقوله: ﴿أَحۡسَنَ ٱلۡقَصَصِ﴾ [يوسف:٣]، وإما على سبيل الذم فهو ميل القلوب وخروجها عن الاعتدال فيُفسد الروح والبدن.

ولما كان نبينا صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓالِهِۦوَسَلَّمَ كالشمس والقمر نال من الله جوامع الكلم، وفي طيّات حديثه أسرار ولطائف نفيسة حتى قيام الساعة.

ومنها: دالة على فتن يُبتلى بها، فإن كانت نعمة وبذلها في نفع العباد من عمل يقوم به بيديه أو بكلامه؛ لأنهما العضوان لعمل العُقد، فإنه يقع في النفوس ويدهشها، وذلك من قوله تعالى: ﴿نَبِّئۡنَا بِتَأۡوِيلِهِۦٓۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ۝٣٦﴾ [يوسف]، فعليه بالإحسان، وهو الشكر، وبه يُسحر الطالب منه بسبب خدمته، فيحصل منه

الدعاء بصرف الفتنة عنه، أو يُغتر ويُفتتن ولا يثبت إلَّا من ثبته الله تعالى، ويصدر عليه ثناء حسن من صاحب معدن جيد، أو غِيرة وحسد من صاحب معدن رديء؛ لأن النفوس لا تستوعب مما وهبه الله إلا القليل من أهل العلم، وإن كان بلاء ولعله يُبتلى بمرض مزدوج ظاهره حار وباطنه بارد أو عكس ذلك، فلا يقدر أحد على تحملّه، فإما يموت بعد أمر الله تعالى، أو يجزع ويسخط ويخرجه عن الاستقامة، أو يلهمه الله الصبر، ومن ثم يبرأ ويستخلص من بلائه دررًا نافعة للعباد، وقد يبدأ عليه البلاء ومن ثم ما ذكرته آنفًا، وعلى هذا فقس بما بقي من أوجه أخرى، حسب هذا الفصل.

ومن الذي يتحّمل ويصد فتنة الدنيا، أو كامرأة العزيز مع جمالها ومكانتها ومالها مع إحسانها ولطفها، وأنت في حال ضعف، وقد جعلتك نافعًا لها وولدًا لها حتى بلغت أشدك وملاحتك وهُيئ لك خلو المكان وقولها: ﴿ هَيْتَ لَكَۚ ﴾ [يوسف:٢٣] ؟!

وهكذا حال الشمس إن زادت في حرارتها فلن يتحمّلها أحد، بل حتى الرؤية إليها لبضع ثوان فإنها تؤذي البصر، وإذا نقص حرّها فحالنا للمرض والتلف، وقس على ذلك في القمر إن اختفى أو استمر بدرًا، فإنه يحصل نكد على الخليقة كلها، ولهذا كان من نعيم الجنة أن لا شمس ولا قمر فيها، ولما كان الليل والنهار مرجعهما إلى الشمس والقمر كان ديمومة أحدهما نكد، قال الله تعالى: ﴿قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمُ ٱلَّيۡلَ سَرۡمَدًا إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ ﴾ [القصص:٧١]، فمن يأتي بضياء النهار إلا الله، وقال تعالى: ﴿قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرۡمَدًا إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ ﴾ [القصص:٧٢]، ومن يأتيكم بليل تسكنون إليه بعد عناء النهار إلا الله تعالى، وتزيّن

الدنيا يعود إلى جمال الكواكب، بتسخير من الباري سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

ومن الأمور العجيبة مما جاء في الإصابة لابن حجر أن الصحابية سنا السلمية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا لما بلغها أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ يريد أن يتزوجها فَسُرَّت بذلك، حتى ماتت من الفرح.



المبحث الثالث: قد يخفق أو يفشل لكنه موعود

ومن الدلالات المليحة: دالة على الاضطراب عند السير لبلوغ المرام، ولعل ذلك بسبب من دل عليه الكواكب من المعاني والإشارات المذكورة في هذا الكتاب، ودالة على ظهور العداء لا سيما في أول الأمر مع خفة تأخذ القلب، واضطراب بعض أموره، أو يغيب أو يضعف عند الشدائد لكنه موعود بالوصول إلى القمة والظهور عند دجى الليل، فإن لم نُخفق لن نصل، ولعل تعبير يعقوب ليوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ كان من أجل أن لا يحدث ذلك في ولده يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، ونحو هذه الفائدة فلعل يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ جرى له شيء من ذلك، إما عند رميه في الجب، أو في السجن، أو عند مواجهة سنوات القحط، والله أعلم.

ولما كانت الرؤيا جزءًا من أجزاء النبوة كان تأويل الأنبياء في الرؤىٰ حقًا بلا شك، وما دونهم يخطئ ويصيب، والناس فيه على درجات متفاوتة، وقد جرى ذلك لأفضل صحابي بعد الأنبياء؛ وهو أبو بكر الصديق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عند تعبير رؤيا النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ، فقال له: «**أَصَبْتَ بَعْضًا وَأَخْطَأْتَ بَعْضًا**» [رواه البخاري، برقم: (٧٠٤٦)، ومسلم، برقم: (٢٢٦٩)، من حديث ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا]، واختلف أهل العلم في تفسير هذا الجواب.

وصلة الكوكب بهذا المعنى فعند أهل اللغة يقال: سير الليل الخَفْقتان، وهما أَوّله وآخره، وخفَق الشيءُ: غاب، وخفق النجم: مال إلى المغيب، وأَنشد الأَزهري:

وأطعن بالقوم شطر الملوك   حتى إذا خَفَقَ المِجْدَحُ

وخَفقَ النجمُ والقمر، وكذلك الشمس؛ يقال: ورَدْتُ خُفوقَ النجم، أَي: وقت



خُفوق الثُّريا، تجعله ظرفًا وهو مصدر، والخَافِقانِ: أُفُق المشرق والمغرب.

قال ابن السكيت: لأن الليل والنهار يَخفِقان فيهما.

وفي التهذيب: يخفقان بينهما.

قال أَبو الهيثم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الخافقان المشرق والمغرب، وذلك أن المغرب يقال له: الخافِقُ، وهو الغائب، فغَلَّبُوا المغرب على المشرق، فقالوا: الخافقان، كما قالوا: الأَبوان.

قال أبو عبيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الإِخْفاقُ أن يغزُو فَلا يغنم شيئًا؛ ومنه قول عنترة يصف فرسًا له:

فيُخْفِــقُ مــرَّةً ويَصِــيدُ أُخْــرَى ... ويفجــع ذا الضَّــغائن بالأرنــب

ولكن ليعلم وليدرك طالب العلم أنه موعود بخيرية على قدر إخلاصه وهمته وعزيمته، وما يجري من هذا القبيل فأحيانًا يكون من الشيطان، وأحيانًا يكون بسبب رهف الروح. فتفطن لذلك.

وقد جرى لنبينا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ عند بدء الوحي أن جاءه الملك فرجع يرجف فؤاده، فدخل على خديجة بنت خويلد -رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا-، فَقَالَ: «**زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي**» فَزَمَّلُوهُ حَتَّى ذَهَبَ عَنْهُ الرَّوْعُ، فَقَالَ لِخَدِيجَةَ رضي الله عنها وَأَخْبَرَهَا الخَبَرَ: «**لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي**». [رواه البخاري، برقم: (٣)، ومسلم، برقم: (١٦٠)].





الباب العاشر:
الزّمن



المبحث الأول: وقت الربيع.

المبحث الثاني: الساعة الحادية عشر.

المبحث الثالث: تحفة زمنية.

المبحث الرابع: شمس أم قمر.

المبحث الخامس: وهل يبدأ الحساب من وقت الرؤيا أو من وقت عبورها؟

المبحث السادس: عالم بالحساب.

المبحث السابع: يتقارب له الزمان تطبيقها....

المبحث الأول: وقت الربيع

نتعلم أن الوقت للرؤيا وللعبور كذلك له تأثير بليغ؛ فالشمس والقمر دلالة لمرجعية الزمان، قال تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [فصلت] فهما دلالة على الزمان، وارتباط الزمان مع علم الرؤيا، فإنه جاء في "صحيح البخاري" برقم: (٧٠١٧)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**إِذَا اقْتَرَبَ الزَّمَانُ لَمْ تَكَدْ تَكْذِبُ رُؤْيَا الْمُؤْمِنِ**»، فهنا اقتراب الزمان وآخر الزمان، واختلف أهل العلم في معنى اقتراب الزمان على ثلاثة أقوال:

منهم: من ذهب أنه قرب القيامة.

ومنهم: من ذهب أنه زمن التكهل كونه سكن عنده نوازع الشهوة، وصارت تخايل الظنون الفاسدة بعيدة عنه، ولذلك جاء في الحديث: «**وَأَصْدَقُكُمْ حَدِيثًا أَصْدَقُكُمْ رُؤْيَا**». [رواه الطبراني في الأوسط، برقم: (٣٩٣)].

ومنهم: من ذهب أنه تقارب زمان الليل والنهار، وهما الشمس والقمر وقت استوائهما، وهو أن يكون وقت ساعات الليل والنهار متساويين.

وهذا القول أقوى؛ لأن فصل الربيع تعتدل فيه الأمزجة، وغالب الرؤىٰ فيه سليمة من الاختلاط، وذلك لتساوي ساعات الليل والنهار، وساعات الزمان تقاس من الشمس والقمر.

وكما أن وقت الربيع فيه تساوي لساعات الليل والنهار كانت أحداث قصة يوسف عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مائة آية، وذلك حتى قوله تعالى: ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ



وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدٗاۖ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأۡوِيلُ رُءۡيَٰيَ مِن قَبۡلُ قَدۡ جَعَلَهَا رَبِّي حَقّٗاۖ وَقَدۡ أَحۡسَنَ بِيٓ إِذۡ أَخۡرَجَنِي مِنَ ٱلسِّجۡنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلۡبَدۡوِ مِنۢ بَعۡدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بَيۡنِي وَبَيۡنَ إِخۡوَتِيٓۚ إِنَّ رَبِّي لَطِيفٞ لِّمَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾ [يوسف].

وإذا رأيت الآية الواحدة والخمسين كانت أول الفرج له، وما قبلها كانت عناء وشدائد، فصارت خمسين عامًا ما يرمز للشمس والنهار من شدائد، وبعدها خمسون راحة وسكون لما يرمز للقمر مع سكون الليل.

والرؤيا تعتبر إذا كانت سليمة من حديث النفس ومن عبث الشيطان، وليس الحكم في زمن مخصوص فحسب، فنحكم عليها بفسادها أو صلاحها، وهذا من حال النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ في رؤاه لو تأملت ذلك.

وأما وقت تعبير الرؤيا فالذي ينبغي أن يعبر فيه الرؤيا هو عند الانصراف من صلاة الغداة، كما في حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، "في مسند الإمام أحمد"، وهذا الزمان فيه حِكم عدة:

منها: بعد إثر عبادة جليلة، وهذه العبادة هي الصلاة من ركائزها الأساسية الوقت وبدونه غير مقبولة، ومعلوم أن الوقت يُعلم من الشمس والقمر، وهو النهار والليل، وصفاء ذهن العابر أقوى قبل كد ونصب النهار، وكونها مهيأة بعد راحة الروح والبدن بعد أخذه قسطًا من النوم والقيام بتلك الفريضة.

ومنها: أن الرائي يستدرك الرؤيا من قبل أن يحصل النسيان خصوصًا أصحاب الأمزجة الصفراوية والسوداوية.

ومنها: أن النفس جبلت على حب شروق الشمس بعد ذهاب ظلمة الليل، فيحصل انشراح وراحة عند العابر وغير ذلك من الحكم، فافهم ذلك.

المبحث الثاني: الساعة الحادية عشر

اعلم أن الحكم على الوقت ليس محصورًا في رؤيا الكواكب على ما تقدم ذكره؛ بل الحكم جارٍ على كل إشارة لها صلة بها، وَوُجِدَت لأجل ذلك الشيء، فكل صِنعة تُعتبر لما صُنعت له، فالساعة دالة على الوقت مما جاء عنها في القرآن الكريم والسنة النبوية، سواء بما يتعلق في يوم القيامة أو بما يتعلق بأمور أخرى، كما جاء من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، في "الصحيحين"، قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**مَنِ اغْتَسَلَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ غُسْلَ الْجَنَابَةِ، ثُمَّ رَاحَ، فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ بَدَنَةً، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الثَّانِيَةِ، فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ بَقَرَةً، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الثَّالِثَةِ، فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ كَبْشًا أَقْرَنَ، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الرَّابِعَةِ، فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ دَجَاجَةً، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الْخَامِسَةِ، فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ بَيْضَةً**». الحديث، وحديثنا هنا عن ساعة الوقت العددية في المنام، وقد بحثت وبحثت عن هذه الإشارة في كتب التعبير فيمن سبق ومن العلماء المعاصرين فلم أجد إلا عبورًا على وجه العموم، ولم أر منهم من وضع لها تأويلًا زمنيًا يتعلق بحال الرؤيا، ففتح الله عليَّ بهذه القاعدة، وكان ينقصني الدليل، فمضى عام وأنا أبحث عن استنباط من دليل والحمد لله أن تيسر لي ذلك، فكما أن الليل والنهار لهما بداية ونهاية وقس على ذلك في الوقت لهما، ومعلوم أن النهار اثنا عشرة ساعة، وكذلك الليل، وقد يزيد وينقص باختلاف الفصول، فالحُكم على الساعة العددية في المنام له بداية ونهاية، ونُدرك ذلك من حال الرؤيا، وحال الرائي، ووقت الرؤيا، وإلا لن تصل للتأويل الدقيق، ومن ثم احكم على أصول التأويل، وهنا نستنبط من رؤيا يوسف عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أن الحدث إذا صاحبه قرينة زمنية أو ساعة عددية في المنام دل على ما ذكرنا، وهو الحدث منذ نشأته وحتى منتهاه، وأحيانًا يكن منه ما مضى،

وما بقي منه، أو يكون منذ بداية الحدث ونحوه لوقت ماضي أو لحاضر، أو لوقت آت، وهذا مستنبط من رؤيا يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ من حال الشمس والقمر، وزمن الحال حتى زمن المآل، ومما يَعضُد هذه القاعدة بمفهوم مغاير يوافق تأويل الساعة العددية في المنام مما جاء عند الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وصححه الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: «**لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَتَقَارَبَ الزَّمَانُ، فَتَكُونُ السَّنَةُ كَالشَّهْرِ، وَيَكُونُ الشَّهْرُ كَالْجُمُعَةِ، وَتَكُونُ الْجُمُعَةُ كَالْيَوْمِ، وَيَكُونُ الْيَوْمُ كَالسَّاعَةِ، وَتَكُونُ السَّاعَةُ كَاحْتِرَاقِ السَّعَفَةِ أَوِ الْخُوصَةِ**»، وقد اختلف العلماء في معنى تقارب الزمان على أقوال عدة وأقواها: أن المراد به التقارب الحسي أو التقارب المعنوي.

أما التقارب المعنوي: فمعناه ذهاب البركة من الوقت، وهذا قد وقع منذ عصر بعيد، وغير ذلك من المفاهيم على ما ذكره أهل العلم للتقارب المعنوي.

وأما التقارب الحسي: فمعناه أن يقصر اليوم قصرًا حسيًا، فتمر ساعات الليل والنهار مرورًا سريعًا، ونحو ذلك مما ذكره أهل العلم.

والشاهد من هذا الحديث وهو الذي نريد أن نصل إليه هو استنباط دلالة لتأويل الساعة العددية في المنام، من معنى الحديث، فدل على أن الساعة أحيانًا تدل على السَّنَة، وذلك بأن السَّنَة تبدأ وتنتهي باثنا عشر شهرًا، قال تعالى: ﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا﴾ [التوبة:٣٦]، ومعلوم أن النهار اثنا عشر ساعة، ومثلها الليل فهنا توافق العدد فكان دلالة على ما سبق، وربما نصفها دالة على ستة أشهر، والرُبْع منها دالة على ثلاثة أشهر، وقس ذلك على الدقيقة فاعتبرها أحيانًا بالشهر، والثانية ربما دلت على اليوم، أو الشهر، ونحو ذلك، وهذا قياسٌ على مفهوم الساعة في

زماننا وكما قيل:

دَقَّـاتُ قلـبِ المـرءِ قائلـةٌ لـه إن الحيـاة دقـائق وثـواني

وتدل الساعة أيضًا على الشهر، وهذا مستنبط من الحديث كذلك، وربما دل العدد المركب للدقيقة على السنة، ولكي تعرف لأجل ماذا أتى هذا التحديد من الوقت في الرؤيا فانظر إلى حال الرؤيا وحال الرائي ووقت الرؤيا وستدرك حينها الأمر منذ بدأ، أو كم بقي له، و زد من الدلالات الأخرى للمعدود.

ومدلول آخر من الحديث أيضًا يُفهم أن الشهر دال على السنة، وليس على الإطلاق، وربما اليوم دال على الشهر، وربما دل على سبعة أيام، أو دال على ذلك اليوم المحدود في المنام، وربما دلت الساعة على أجل من دلت عليه، وغير ذلك من الأحكام، وهذه دلالات زمنية مستنبطة من الأحاديث خارجة عن موضوع الساعة العددية.

فاعتبر العدد من حال الرائي وحال الرؤيا ووقتها.

كما قال لي إنسان: رأيت فلانًا يقول لي: ﴿أَلَيْسَ ٱلصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ۝٨١﴾ [هود]، وكانت الساعة السابعة والنصف.

قلت له: بينك وبين فلان أمر قد ضقتما منه، وهذا الأمر إن مضى له سبع سنين، يبدأ الفرج بعد ستة أشهر، ويكن في شهر رجب.

وقالت امرأة: رأيت فلانا اتصل عليَّ وكانت الساعة الثامنة.

قلت: سيصل فلان إليك عند تمام السنة الثامنة منذ سمعتم عنه، ودالة على الزواج، فكان كذلك، فافهم ذلك موفقًا إن شاء الله تعالى.

وعلى هذا فقس واستنبط أحكام وطُرق مختلفة لم نذكرها هنا خشية الإطالة،

وتدل الساعة إن لم يصاحبها عدد بالزواج، أو خبر، أو إنجاز وعد، وتدل على نكد وذلك من القرائن الدالة على ذلك، وكلما كانت الساعة أقرب إلى الفجر أو من ساعات الضُّحى أو أول النهار أو ساعات القيلولة؛ كانت حسنة، وقس على ذلك في مجيء الرؤيا في ساعات اليقظة لهذه الأزمنة، والله أعلم.

كما قال لي أحد الإخوة: رأيت أن الشيخ أبي عمرو الحجوري اتصل عليَّ، وسألني عن أخبار الدعوة، وكان مدة الاتصال عشر دقائق، وسبع وعشرين ثانية.

قلت: سيزوركم الشيخ أبو عمرو الحجوري بعد عشرة أشهر وسبع وعشرين يومًا، ومجيئه في أول النهار، فاحفظ عندك الرؤيا وتعبيري حتى ذلك الحين، فجرى ذلك كما ذكرنا.

واعتبر القَرْنَ بالسنة، أو عشر سنين من حيث الزمن، وذلك اشتقاقًا، أو من محو الأصفار حسب الهيئة المعاصرة لمثل هذا العدد المُركب، وهذا جائز.

كما قال لي مسجون في غير بلده: رأيت ذا القرنين أنه من اليمن.

قلت: لعل خروجك يكون بعد عامين، ويكون ذلك في شهر يبدأ بـذو، وتعود إلى موطنك وهو اليمن، فجرى ذلك، ودليله أن القرن دلالة لمدة من الزمن توافقت مع دلالة زمنية أخرى، ودالة على أن ذو القرنين من اليمن وهو أول التابعة، وكان كذلك كما ذكره ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في "البداية والنهاية" عن السهيلي، والله أعلم.

وهذا الباب فيه سعة لا ينقطع من استنباط فوائد وغرائب وعجائب، ويتطلب منك إلى تدقيق وإمعان، وسيأتي البسط على ما تقدم ذكره من دروس العدد في رؤيا الملك إن شاء الله تعالى، أو نجعلها في كتاب يتعلق بالعدد والحساب إن شاء الله تعالى.

فائدة: لعل السبب عند أئمة التعبير القدامى في عدم شرح هذا الحديث على مفهوم علم التأويل أنه لم تكن تأتي رؤى في عصرهم وفيها ساعة عددية، وذلك للبركة الحاصلة في زمنهم، وكانت العرب تقدر الأوقات بالأعمال؛ كقولهم: قدر حلب شاة، وقدر نحر جزور؛ قيل لزيد بن ثابت رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: كم كان بين الأذان والسحور؟ قال: قدر خمسين آية. ولعل سبب كثرة مثل هذه الرؤىٰ في زماننا إشارة لاقتراب الساعة، وأيضًا مما نشعر به من عدم البركة مما ذكره أهل العلم في تعليقهم على الحديث، والله أعلم.





المبحث الثالث: تحفة زمنية

وكما ذكرنا آنفًا أن الساعة دالة على السَّنة فاعتبر لمن رأى باقي الكواكب على زمن مروره على كوكب الأرض فاعتبر الساعة بالسَّنة، فكما قيل: إن اليوم لكوكب المشتري تسع ساعات، فدال لمن رآه على تسع سنين لما دلت عليه الرؤيا، ولمن رأى كوكب زحل دال على عشر سنين؛ لأن اليوم فيه عشر ساعات، وقس على ذلك باقي الكواكب، وربما من رأى القمر دال على شهر أو اثني عشر سنة، وذلك من الاثني عشر ساعة كونها عدد ساعات الليل، وهذا يوافق للمدة الزمنية لنبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ منذ هاجر من مكة حتى قُبض أجله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وذلك لكونه قمر، والله أعلم.



المبحث الرابع: شمس أم قمر

إذا دلّت قرائن الرؤيا على توقيت للحدث فاحسب على السنة القمرية، ولما كان بنو إسرائيل هم الأولون اعتمدوا توقيت الأحداث على السنة الشمسية، وذلك من ميلاد عيسى عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وكذلك من قبل ولادته، وفي رؤيا يوسف عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ بدأ ذكر الشمس وختم بالقمر، وهنا الأفضلية والمنقبة لنبينا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ ولأمته، ويعتمد في الحساب على هلال الشهر، وهي السنة القمرية، وبدأ تقييد العدد السنوي من هجرته صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ.

وقال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كما في "الصحيح" عن ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمَا، عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «**إِنَّا أُمَّةٌ أُمِّيَّةٌ، لاَ نَكْتُبُ وَلاَ نَحْسُبُ، الشَّهْرُ هَكَذَا وَهَكَذَا**». فلم يقل إنا لا نقرأ كتابًا ولا نحفظ، بل قال: لا نكتب ولا نحسب فديننا لا يحتاج أن يكتب ويحسب كما عليه أهل الكتاب من أنهم يعلمون مواقيت صومهم وفطرهم بكتاب وحساب، ودينهم ... اهـ

وفي تأويل الرؤيا إلّا إذا كان شهود الرؤيا واضحة وخصصت بتوقيت شمسي، أو حسب حال الناس اليوم فقد صار في الغالب على أشهر السنة الشمسية فهذا قد يجري حسب الحال، وقد تأتي على هذه الصورة وتحتاج إلى تأمل لتجد فيها ما يشير إلى التوقيت على السنة القمرية، كما في رؤيا الملك، فالسنة هي حسب السنة القمرية، ودليله أن نبينا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ عندما دعا على قريش بسبع كسبع يوسف فإنها باعتبارها على القمرية في زمن نبينا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ، ولعل في زمن يوسف عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ كان كذلك لتوافق الدعاء، وأيضًا أن منها أربعة حُرُم منذ خلق

السماوات والأرض، والله أعلم.

تحفة ربيعية:

جاء في الحديث من قول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ.**» [رواه البخاري، برقم: (٣٣٥)].

فإن سأل سائل: ما هو المغزى من تحديده لشهر؟

قلت: قد علّق بعض الفقهاء على الحكمة من ذلك، وإضافةً إلى أقوالهم وننفرد بهذه الدلالة: كون النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ شُبِّه بالقمر ومعلوم أن عُمر القمر منذ هلاله حتى انقضائه هو شهر، وهذا يوافق تحديد ذلك، والله أعلم، ونسأل الله الإخلاص والسداد.

فائدة: إذا نظرنا من باب القياس باعتبار الشمس للأم، والقمر للأب، فإن الرجل يرجع اسمه لأبيه وهو القمر، فيقال: يوسف بن يعقوب، ولم يُطلق يوسف بن راحيل، فكما أن المرجعية في ذكر النسب فالأصل قياس الوقت حسب السنة القمرية إلَّا إذا وُجد شرطٌ في الرؤيا فلا بأس، والله أعلم.



المبحث الخامس: وهل يبدأ الحساب من وقت الرؤيا أو من وقت عبورها؟

تحدثنا في دروس ماضية أن المدار لتأويل الرؤيا على أصول ثلاثة، والإجابة على هذه المسألة نضعها على ذلك المدار، وتأملت في بعض الرؤى فإنه يبدأ من زمن الرؤيا، وهذا في الغالب، وذلك مما جرى من تأويل يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ لرؤيا السجينين، وكذلك لرؤيا الملك، ومنها يبدأ من زمن التأويل لا سيما إن أخطأ العابر الأول، أو بسبب آخر لحكمة من الباري سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ومنها يكن بعض الوقت قد مضى منه قبل أن تأتي الرؤيا، وأما الرؤى المرتبط وقوعها بشرط فإنها تقع بعد القيام بما يتوجب عليه كما فعل النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ عندما سُحِر، فأتته الرؤيا وقام وسارع في العمل بما دلت عليه رؤياه، وسيأتي البسط أكثر في رؤيا الملك. والله أعلم.

وأمّا الرؤيا الدالة على مصيبة ففي الغالب تقع عُبِّرت أو لم تُعبَّر، وقال بعض أهل العلم: إنها تقع خلال يوم أو يومين، كما ذكر ذلك الإمام ابن الوردي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

فإن قلت: وأين تذهبون من حديث الرؤيا على رِجْل طائر؟

قلت: سيأتي الجواب في موضع آخر، وأمّا إن كانت كذلك ومع هذا الحديث إن صحَّ فإنه لا إشكال، فقد يقع سقوط الشيء من قدم الطائر بما بقي من زمن لها عند العبور إن كان بحكم تأخر تأويلها، أو قد يسقط الشيء من قدم الطائر بسبب حمله، ولا بد للطائر أن يضع قدمه يومًا ما، فتكون تلك المدة منذ حملها حتى وقوعه هي مدة الوقت، وعلينا أن نفهم أن مقادير الله ليست مرتهنة بالعابر، وإنما جعله الله مفسرًا لما تحمل في طياتها، أو بما عليه ونحو ذلك، والله أعلم.

وأحيانًا يُستنبط التوقيت من بعض الرؤىٰ الغير محددة بعدد؛ وذلك من قرائن يفهمها العابر، فافهم ذلك.

كما قالت لي امرأة: رأيت سَلْسًا على صدري.

قلت: بشارة تسمعيها وتثلج صدرك، وهي عودة ولدها بعد غيابه وبعد ثلاث جرى ذلك.

ودليله: **س**: يوم، **ل**: يوم، **س**: يوم. والسلس في اللَّهجة الدّارجة هي القلادة.

وأخرى تقول: رأيت أني أقرأ قوله تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَـٰدُ ﴿٥١﴾﴾ [غافر]؟

قلت: بشارة تُبشرون بها، وفرج بعد واحد وخمسين يومًا، فجرى ذلك.

ودليله من عدد الآية، ومعنى الآية، فافهم ذلك.



المبحث السادس: عالم بالحساب

ومنها دالة على إتقان وحذاقة في الحساب، ودليله طلبه لولاية خزائن مصر، وهذا يحتاج إلى معرفة ودقة في الحساب، ويَعضُد هذا قوله: ﴿إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴿٥٥﴾﴾ [يوسف]، أي ذو علم وبصيرة.

قال الشيخ عبد الرحمن حبنّكة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: عليم: أي كثير العلم المؤهل للقيام بهذا المنصب الخطير.

ومما يَعضُد ذلك أن نبيًا من الأنبياء لن يطلب هذه المهمة إلا وهو جدير بها، وأيضًا ثقة الملك به مع أنه كان عبدًا وسجينًا ومن غير بلدته إلَّا أنه تفرَّس به، ولعل يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أثبت له خطة العمل حتى أدهش الملك، والله أعلم.

والأمور الدنيوية تعتبر اجتهادًا منهم، وتكون صائبة كما في حديث موسى بن طلحة، عن أبيه: قَالَ: مَرَرْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰٓاٰلِهِوَسَلَّمَ بِقَوْمٍ عَلَى رُءُوسِ النَّخْلِ، فَقَالَ: «**مَا يَصْنَعُ هَؤُلَاءِ؟**» فَقَالُوا: يُلَقِّحُونَهُ، يَجْعَلُونَ الذَّكَرَ فِي الْأُنْثَى فَيَلْقَحُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰٓاٰلِهِوَسَلَّمَ: «**مَا أَظُنُّ يُغْنِي ذَلِكَ شَيْئًا**» قَالَ: فَأُخْبِرُوا بِذَلِكَ فَتَرَكُوهُ، فَأُخْبِرَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰٓاٰلِهِوَسَلَّمَ بِذَلِكَ فَقَالَ: «**إِنْ كَانَ يَنْفَعُهُمْ ذَلِكَ فَلْيَصْنَعُوهُ، فَإِنِّي إِنَّمَا ظَنَنْتُ ظَنًّا، فَلَا تُؤَاخِذُونِي بِالظَّنِّ، وَلَكِنْ إِذَا حَدَّثْتُكُمْ عَنِ اللهِ شَيْئًا، فَخُذُوا بِهِ، فَإِنِّي لَنْ أَكْذِبَ عَلَى اللهِ سبحانه وتعالى**». [رواه مسلم، برقم: (٢٣٦١)]، ولعل من هذا الحديث يُفهم منه أن بعض الأمور الدنيوية هي وحي خصوصًا إذا كانت فيها مصلحة، ولعل ذم النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰٓاٰلِهِوَسَلَّمَ في بادئ الأمر إشارة أن هناك طريقة أخرى للتلقيح كالرياح، أو أمور أخرى لم يدركوها كالذي كان

يشكو من الواهنة فكانت لها أدوية أخرى، ولم يتكلم بها النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ لذلك المريض في ذلك الموضع، وإنما كان علاجه التوحيد، والله أعلم.

ودلالة الكواكب على هذا الباب من قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ ٱلشَّمۡسَ ضِيَآءٗ وَٱلۡقَمَرَ نُورٗا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعۡلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلۡحِسَابَۚ﴾ [يونس:٥]، وقوله: ﴿ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ بِحُسۡبَانٖ ۝٥﴾ [الرحمن]، يسيران بحساب متقن؛ ليعلم الناس عدد السنين والحساب، فهنا دالة على الحسبة والحساب ونحوه، كما عند أهل اللغة.

ومما حُكي عن العرب: على الله حُسْبان فلان وحِسبته، أي: حسابه.

والمتأمل في أحاديث النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ تجدها تُحَدِّث عن كل الأحداث التي جرت من بعده، وحتى يومنا، وحتى قيام الساعة، فافهم ذلك.

كما قال لي إنسان: رأيت في الفلك أخطبوطا أخضر اللون قادم إلى الأرض.

قلت: يحصل تخبُّط وفساد في الأجواء، وأحداث في الكواكب والبلدان والأكابر، ومنذر بجوائح قادمة على الزراعات وفيضانات، وكذلك أوبئة، وسرعة في الزمن، وذلك بسبب ذنوب العباد.

ودليله: أن حيوان الأخطبوط يعيش في المياه، وليس في الأجواء، واللون الأخضر يعود للزراعات ونحوها، واشتقاقًا منه تخبط وطب ومطبوب، فجرى شيء مما ذكرت، وجرى قدوم ما أطلق عليه بالمذنب الأخضر، وزعم اليهود أنه جرى مثله قبل خمسين ألف سنة، وقولهم هذا كذب، والمراد منه أنهم أعلم أهل الأرض، ودالة على سقوط جزئيات من النجوم وهي ما يسمى بالنيازك، والله أعلم بما هو آت.

المبحث السابع: يتقارب له الزمان تطبيقها...

ومنها: دالة على الوفاق والتسديد، كما في التواريخ، ويدخل في الحساب، ومنه التميّز في تأويل الرؤىٰ العددية، فالحساب هنا أعمّ من ذلك، كما **قال الزمخشري:** وفي ذلك منافع للناس عظيمة، منها علم السنين والحساب ﴿وَٱلنَّجْمُ﴾ النبات الذي ينجم من الأرض لا ساق له كالبقول ﴿وَٱلشَّجَرُ﴾ الذي له ساق. [التفسير (٦/ ٤٦١)].

والتواريخ في معرفة الأحوال وتحديد وقوعها خصوصًا الأحداث المرتبطة بدلالة واضحة إن وُجد ذلك بعد توفيق الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ له، وليس كل الأحاديث، ولا أعني هنا التنجيم، وينفرد صاحبها بقواعد وفوائد للأعداد، وهذا من تقارب الزمان له بعلم، فإنك تجد رؤيا يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ فيها عدد، وفي رؤيا الملك كذلك، وأيضًا استنبط خروج السجينين من رؤاهم الوقوع بعد ثلاث كما ذكر ذلك بعض أهل العلم، فتحديد الوقت في بعض الرؤىٰ له دلالة من رؤياه للشمس والقمر، قال تعالى: ﴿وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [الرعد:٢]. فجري الشمس مختص بآخر السنة، وجري القمر مختص بآخر الشهر، قال تعالى: ﴿لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [يس]، والآية المتقدم ذكرها، وقال تعالى: ﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة:٣٦]، وتحديد الأيام والشهور عبر الشمس والقمر فتجده غالبًا يتوافق في تحديد الوقت للأحاديث، ويكشف عن المُبهم بتأييد من الله، ويوفقه لعلمٍ يتناقله جيلًا بعد جيل، كما هو الحاصل من رؤيا يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وتأويله، وقد كان موفقًا ومسددًا فيما اختص به من تحديد الوقت للرؤى التي في



السورة.

وعند أهل اللغة يقال: مَضى طَبَقٌ من النهار، وطَبَقٌ من الليل، أي: ساعة، وقيل: أي: مُعْظَم منه؛ ومثله: مضى طائفة من الليل. وطَبِقَت النجومُ إذا ظهرت كلها، وفلانَ يَرْعى طَبَقَ النُّجوم، وقول العباس في النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ: إذا مَضى عالَمٌ بَدا طَبَقٌ؛ فإِنه أَراد إِذا مضى قَرْن ظَهَر قَرْن آخر، وإِنما قيل للقَرْن طَبَقٌ؛ لأَنهم طَبَق للأَرض، ثم يَنْقرِضون، ويأْتي طَبَق للأَرض آخر، وكذلك طَبَقات الناس كل طَبَقة طَبَقت زمانها. والطَّبَقة: الحال، يقال: كان فلان من الدنيا على طَبَقات شَتَّى، أي حالات. قال ابن الأَعرابي: الطَّبَقُ الحال على اختلافها. والطَّبَقُ والطَّبَقة: الحال.

وهنا وقفة مليحة لابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ؛ بعد أن ذكر مراتب الأقلام قال:

القلم العاشر: قلم تواريخ العالم ووقائعه، وهو القلم الذي تضبط به الحوادث، وتنقل من أمة إلى أمة، ومن قرن إلى قرن، فيحصر ما مضى من العالم وحوادثه في الخيال وينقشه في النفس حتى كأن السامع يرى ذلك ويشهده، فهو قلم المعاد الروحاني، وهذا القلم قلم العجائب، فإنه يعيد لك العالم في صورة الخيال، فتراه بقلبك وتشاهده ببصيرتك. [التبيان في أقسام القرآن(١/ ٣٠٩)].

قلت: كلامه يؤيد لمن ذهب بتفسير الآية: ﴿وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ﴾ [يوسف:٦] دالة على أحاديث الأنبياء والأمم والكتاب.

وإذا أَلهَم الله طالب العلم ذلك فإنه يؤيد بهذا القلم، وهذا مما جرى ليوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وما ذكره ابن القيم يحتاج إلى تأمل عميق من صاحب روح شفافة تقية نقية، فإنه من رُزق نحو رؤيا يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أو الكواكب فهي جليلة نفيسة.

الباب الحادي عشر:
تُحف



المبحث الأول: ...وتطبيعها.

المبحث الثاني: قميص الدواء وقديسية يوسف.

المبحث الثالث: البَراء والبَرأة والبراءة.

المبحث الرابع: ربيعية نفيسة.

المبحث الخامس: مليحة.

المبحث السادس: صواحب يوسف.

المبحث السابع: انشقاق القمر.

المبحث الثامن: الإعراب والعبور.

المبحث التاسع: تُحفة فريدة.

المبحث العاشر: التأويل بالمعتقد.

المبحث الحادي عشر: السجود في المنام لهذه الأمة.

المبحث الثاني عشر: البدر.

المبحث الثالث عشر: لا تقسُ في رؤياي.

المبحث الرابع عشر: احذر غِيرة مفسّر وحسد عالم.

المبحث الخامس عشر: نصيحة في الصبيحة.

المبحث السادس عشر: لا يُغني حذر من قدر.

المبحث السابع عشر: هل رؤيا يوسف عُبرت أم لم تُعبَّر؟

الجزء الأول: الصفوة والعلم.

الجزء الثاني: التعبير والتحقيق.

الجزء الثالث: اختلاف الليل والنهار.

الجزء الرابع: التبيّين.

الجزء الخامس: الأسباب.

المبحث الثامن عشر: تُحفة نفيسة.

المبحث التاسع عشر: الرؤيا مرآة صاحبها.

المبحث العشرون: الثّريا.

المبحث الحادي والعشرين: هداية من رب الكواكب.

المبحث الأول: .. وتطبيعها

ومنها دالة على علم الطبائع، فيدرك ماهيتها وزمنها وغير ذلك، وعلم الطبائع أو الأمزجة قد جاء به القرآن الكريم والسنة النبوية، وذلك لأهميته، فإن المخلوقات ومنها الجبال والأودية والنباتات والسموات والكواكب لكلٍّ له طبيعته الخاصة، ومرجعية ذلك:

الحرارة، وهذا مستنبط من الشمس، والبرودة وهذا مستنبط من القمر.

ويشتق منهما اليبوسة والرطوبة.

ويشتركان في اليبوسة، وكذلك في الرطوبة، فهي مفردة، ومنها مركبة، والحديث عنها يطول، وليس هنا بسطه، وانظر إلى بلاغة كلام الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في قوله: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾﴾ [الأنعام].

فذكر الرطب واليابس، وهما جامعان لكل المخلوقات العلوية والسفلية، وهذا من عِظَم بلاغة كلام الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فتفطن لذلك.

وأزمنة الفصول تدخل في ذلك، وكل فصل له خاصيته بما يلائمه وما يضاده، وما قام به يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ من التعامل مع طبيعة الحنطة وطبيعة تخزينها، وما إلى ذلك؛ دليل على أنه كان خبيرًا في ذلك، وعنده علم به، ودليل ذلك من تعبير رؤيا الملك وما أرشدهم إليه، وذلك من قوله: ﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِى سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ ﴿٤٧﴾﴾ [يوسف]، فإن الحنطة وطبائعها المختلفة حسب أجناسها وتخزينها أربعة عشر عامًا يتطلب لمن يقدم على هذا العمل العظيم

خبرة تفوق المعرفة، وذلك من طبائع المكان الذي يُدَّخر فيه لسنوات وغير ذلك من الأمور.

ومعلوم أن الطبائع بما فيها ماهية المادة هو الأصل، والعجيب كون طريقة التخزين لم يسبق لأحد أن سلكها في زمانه، وكذلك كونه في زمن قادم يتطلب إلى مخاطرة كون العباد مرهونون بهذا الأمر الجديد عليهم، ولا زالت الطريقة اليوسفية متوارثة إلى يومنا هذا، وإذا تأملت إلى رؤيا يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ففيها كواكب، فهذا يدل على أن الخبرة في هذا الفن له مكانته لكونها كواكب عِدَّة، والله أعلم.

ومما يُستدل به على ارتباط الكواكب بالشجر من قوله تعالى: ﴿وَٱلنَّجۡمُ وَٱلشَّجَرُ يَسۡجُدَانِ ۝٦﴾ [الرحمن]، هنا إشارة للصلة والانتفاع الحاصل بين النجم والشجر، والكواكب وما على الأرض وذلك بتسخير من الباري سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ.

وكذلك من معاني الكواكب أنه يدل على النبات، كما ذكر ذلك شهاب الدين، وكذلك قول أبي حنيفة: إنما الكوكب نبات معروف، وهذا كله جرى ليوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

والحديث عن هذه الفائدة يطول بنا المقام هنا، وباختصار فعلم الطبائع هو أصل في غاية الأهمية، وهي الطبيعة للشيء، أو الأمزجة، أو علم الأخلاط وصلاحها وفسادها، فكانت دلالتها على الخبرة الزراعية، قال تعالى: ﴿وَعَلَٰمَٰتٖۚ وَبِٱلنَّجۡمِ هُمۡ يَهۡتَدُونَ ۝١٦﴾ [النحل].

فالزراعة تحتاج إلى خبرة لمعرفة كل ثمرة متى تُزرع، ومتى يتم حصادها، وغير ذلك مما يتعلق في معرفة طبيعتها وزمنها المتوافق لما ذكرت، وهذا من طبيعتها وتطبعها حسب الليل والنهار.



قال ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وعلم النجوم ينقسم إلى قسمين:

الأول: علم التأثير، وهو ما يستدل بالأحوال الفلكية على الحوادث الأرضية، فهذا محرم باطل؛ لقول النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ اقْتَبَسَ عِلْمًا مِنَ النُّجُومِ، اقْتَبَسَ شُعْبَةً مِنَ السِّحْرِ زَادَ مَا زَادَ**» [رواه أبو داود، برقم: (٣٩٠٥)، وقال الألباني: صحيح]، وقوله في حديث زيد بن خالد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «**مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِنَوْءِ كَذَا وَكَذَا فَذَلِكَ كَافِرٌ بِي مُؤْمِنٌ بِالْكَوْكَبِ**» [رواه مسلم، برقم: (٧١)]، فالأحوال الفلكية لا علاقة لها بالحوادث الأرضية.

والآخر: علم التسيير، وهو ما يستدل به على الجهات والأوقات، فهذا جائز، وقد يكون واجبًا أحيانًا، كما قال الفقهاء: إذا دخل وقت الصلاة يجب على الإنسان أن يتعلم علامات القبلة من النجوم والشمس والقمر...اهـ[القول المفيد (٢/ ٥)].

وذكر بعض أرباب الطب: أن الفاكهة إذا تعرضت لضوء القمر فإنها في النهار يكن ظاهرها حسنًا، وكذلك في مذاقها وغير ذلك مما في كتبهم.

وقد كان نبينا محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ أعلم الناس بهذا العلم، ومن هذه الأحاديث في "سنن أبي داود" من حديث عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا قالت: يَأْكُلُ الْبِطِّيخَ بِالرُّطَبِ فَيَقُولُ: «**نَكْسِرُ حَرَّ هَذَا بِبَرْدِ هَذَا، وَبَرْدَ هَذَا بِحَرِّ هَذَا**»[رواه أبو داود، برقم: (٣٨٣٦)، وقال الألباني: حسن]، وكذلك إرشاده لإحدى النساء بتناول عشبة الصَبِر في الليل، وهذا إن دل فإنما يدل على حِذقه وإمامته في هذا العلم، فإنه لا يتوافق حر المدينة وحر النهار والحرارة الغريزية مع حر الصّبِر في آن واحد، فقد تهلكه، فتفطن لذلك.

وقد ذلّل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ له الكواكب والشجر، وأضف إلى ذلك الحجر

والحيوان، ومن ذلك انشقاق القمر له، وتكلّم الحجر من قبل أن يُبعث عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

ومما يُستدل به أن اليهود عندهم خبرة في هذا العلم، أنهم رأوا نجمه حين وُلد النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ، وكذلك مما قام به الساحر لبيد اليهودي بعد معرفة طبائعه، وفي زماننا ما يقومون به من بث الأطعمة المغلَّفة المضرة على الأبدان وذلك من اختلاف في تركيب طبائعها تناقض طبائع البدن، فتخرجه عن الاعتدال، وهذا نحو ما قامت به المرأة اليهودية من دس السم في الشاة لنبينا صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ، ولا يزال هذا دأبهم ومكرهم، ومن ذلك بث الأوبئة الفتاكة، فتنبّه لذلك.



المبحث الثاني: قميص الدواء وقديسية يوسف

ومن المعاني النفيسة: الدالة على إمامته في الطب، ولا نظير للطب النبوي، وعليك أن تتعلَّمه، ومن يمدح ويثني على الطب اليوناني فقد أبعد النجعة، ومثل هذا لعله لم يطلع أن اليونان أخذوا الطب من بلاد مصر، وإنما صارت مصر إلى ما صارت إليه من الطب في تلك القرون إلَّا مما خَلَّفه الدين الحنيف عن طريق رسله، ومنهم يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وقد وجدت نحو قولي هذا في كتاب الطب للإمام الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فأصل كل خير منذ أبينا آدم عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ حتى قيام الساعة هو من خيرات الدين الحنيف، وهو التوحيد الذي دعت إليه الرسل عليهم الصلاة والسلام.

ومما يُستدل به أعني به في الطب ومرجعيته ليوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ؛ أن هذه الفائدة منحوتة في أحجار آثارهم الفرعونية، وأراد اليهود تغيير الحقيقة كما هو دأبهم، وأحالوها لرجل يسمى بـ: امحوتيب أو يويا أو يوني، وقد ذكروا من سيرة هذا الرجل أن المرضى كانوا يتوافدون ويزدحمون إليه، ومما زاد الطين بلة فقد ذكروا أنه كان عزيزًا عند الملك، وكان مهندسًا حيث بنى الأهرام أو إحداها، وكان حسابيًا، وما ذكروه إنما يتوافق مع حال يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وأيضًا تجد توافق بين اسمه يويا أو يوتي في الحرفين الأول مع الحرفين الأول ليوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ .

وزد إلى ذلك أن نبتة الريحان المعروفة في كل بلد وهو كل نبات طيب الرائحة كما ذُكر في كتبهم أنّها يُطلق عليها بـ (قديسية يوسف)، وإذا تأملت إلى اللفظة: ريحان، مع تسميتهم تجد توافق من ريح يوسف عندما قالها يعقوب عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وهو قوله: ﴿إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ﴾ [يوسف:٩٤]، فليس من

المستحيل أن هذا الاسم له صلة منذ ذلك الوقت، واستدلال آخر على صلته بالطب هو عودة النظر لأبيه وذلك من قميصه، ومعلوم أن الثياب في زمانهم كانت تُصنع من الجلود، أو من الشجر، وهذان لهما طبائع، ولهما تأثيرهما، ودالة على براعته، والله أعلم.

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في "تأريخه" (١/ ٤٩٥)-: وهذا من خوارق العادات. اهـ

وقد ذكر ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن الناس كانوا يقولون: إنَّ أصل الطب من المنامات. اهـ

وكأنّه يقصد حال الناس قبل الإسلام، وهذا يَعضُد لطب يوسف عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وما اشتهر به في تأويله للرؤيا.

والعجيب عندما كنت أكتب هذا البحث أتتنا رؤيا وهي: كأن قيّم مدرسة سهيل يقول: إن يوسف عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ هو "يوني" أو "يوتي". انتهت الرؤيا، ولم أكن من قبل قد اطلعت على هذا الاسم، ولم أسمع به، وعندما قمت بالبحث عن هذا الاسم وجدت ما ذكرته آنفًا، ومثل هذه الأمور التي لا تدخل في الأحكام الشرعية كهذه المسألة فإن حصل تعارض بين ما نقلوه وبين رؤيا صادقة مع وجود أدلة من القرآن والسنة تعضدها وتوضح الإبهام، فإنه يستفاد مما ورد في الرؤيا، والله أعلم.

وأمّا حجتهم أن الجسد المحنط في التابوت لا يملك جمالًا كما وصف جمال يوسف عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ!؟ فهذا من حماقتهم، وتلك ليست جثته، فَجُثَثُ الأنبياء لا تأكلها الأرض، ولا السباع فكيف تم تحنيطها؟!

وأما إشارة الكواكب بهذا الفصل فالآية من قوله تعالى: ﴿وَٱلنَّجۡمُ وَٱلشَّجَرُ يَسۡجُدَانِ ۝٦﴾ [الرحمن]، وأيضًا أمر السجود في هذه الآية وفي رؤياه سجدت له الشمس

والقمر والكواكب وأيضا قول أبي حنيفة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إنما الكواكب نبات معروف. فالدواء غالبًا من النبات، وهذا يُعزز من هذه التُحفة لمن تفطن إليها، والله أعلم.

وقد كان نبينا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ إمام الأطباء في تطبيب القلوب والأبدان، ويكفي من ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾ [الأنبياء]، وهذه الآية في سورة الأنبياء مما جعلها ميزة تميّز بها عن سائر الأنبياء، ولا يتسع هنا المقام للحديث عن تطبيبه للقلوب والأبدان، بل حتى كان طبيبًا للجذع فصلوات ربي وسلامه عليه إلى يوم الدين.

كما قال لي شيخنا أبو بكر الحمادي حفظه الله: رأيت أني طبيب، وكان عليَّ سمّاعة الطبيب، وأعالج الناس.

قلت: يرتفع ذكرك في تداوي قلوب السائلين في مسائل العلم، وأيضًا تذب عن السنة من مرضى القلوب من أهل الأهواء والبدع.



المبحث الثالث: البَراء والبَرأة والبراءة

ومنها: دالة على صُنعة دواء مفرد أو مركب أو علم نفيس ويُذاع صيته لما فيه من النفع على القلوب والأبدان وذلك على يديه، وهو في حال لا يُعبأ له، ويُعادى من موطنه، ويُثنى ويُشكر عليه من غير بلدته، فيرزقه الله صنعة دواء لأغلب الأدواء المستعصية يتوافق لكل زمان ومكان، فأصل الدواء بالضد كما هو حال الضدية بين الشمس والقمر، وبين الليل والنهار، وما يصنعه مستنبط من الكتاب العزيز والسنة المطهرة.

والأحاديث الدالة على الأدوية المفردة أو المركبة كثيرة، سواء كانت للقلوب أو للأبدان، فمنها أصول ومنها فصول، علمها من علمها وجهلها من جهلها، وهذه الدلالة من طبائع الشمس والقمر، أو من الليل والنهار، وإذا تأملت إلى الطب النبوي لوجدت أن أدويته للأمراض الحارة أو الباردة أو لليابسة أو الرطبة، سواء في طب الأديان أو الأبدان.

فيوفقه الله على أمر بديع من صنعة نافعة للعباد، وذلك بسبب إخلاصه فيُثنى عليه خيرٌ، ويكون سلامةً على القلوب والأبدان، وقد يظنه الجاهل والحاقد من الشعبذة.

ودلالة هذه الفائدة مستنبط من حال الشمس وحال القمر، فإن الأمراض بمسمياتها ناتجة عن مرضين، فهي إما حرارة (الشمس)، وإما برودة (القمر)، وهذا ما يُسمى بالمادة وإما يبوسة ناتجة عن الحرارة أو رطوبة ناتجة عن البرودة، وهذا ما يُسمى بالكيفية كما هو عند أرباب الطب، ولمن رأى الكواكب أو القمر كان لمرض البلغم أو السوداء أقرب، وبقدر بياضه بقدر العلة تجري عليه، هذا إن كان مريضاً.



وعند أهل اللغة: لَيْلَةُ البَراءِ: أَوَّلُ يَوْمٍ مِنَ الشَّهْرِ، آخِرُ لَيَالِي الشَّهْرِ، آخِرُ يَوْمٍ مِنَ الشَّهْرِ، لَوْ كَانَ البَراءُ لَهُمْ نَحْسًا لَفَرَّقَهُمْ.

والمقصود: يُرزق الرائي شيئين أو أكثر لنفع العباد، وما يتعلق بيوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ والطب فقد تقدم ذكره. **قال لي إنسان**: رأيت فلانًا في يديه قطعة فيها تراكيب يركّبها، وكأن اسمه شكري عبدالسلام. **قلت**: بما أن الاسم الأول مفرد وهو شاكر، والآخر علم مركب، فقد يُرزق صنعة دواء مفرد، ويُذاع صيته به، أو مركب من الطب النبوي، أو كتاب في الجرح والتعديل، وذلك فيه السلامة للبدن والروح من الآفات والأذى، وأيضا علوم نافعة، ومعنى شكر: عِرْفانُ الإِحسان ونَشْرُه، وهو الشُّكُورُ أَيضًا. **قال ثعلب**: الشُّكْرُ لا يكون إلَّا عن يَدٍ، وذلك من عبد متقن، ولئن فتشت فيمن رئيت له نحو هذه الرؤيا عن رؤيا الكواكب لعله أتته من قبل، ودليله قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ۝٦٢ ﴾ [الفرقان]، والله أعلم.

كان أحد إخواننا الأفاضل له بضع سنين منذ تزوج ولم يرزق بأولاد، فأرشدته إلى دواء السنا والسنوت والذي أطلقنا عليه باسم "البيت الجديد"، وهذا الاسم له دلالة على ما يوافق الجسد والعافية وذلك من كلام رب العباد، فقال لي: إن زوجته رأت رؤيا وفيها: رأيت القمر، وقلت: إن دوائي له صلة بالقمر.

قلت له: ذلك المركب من الطب النبوي وعليها أن تتناوله على ثلاثة أجزاء، جزء في يوم السابع عشر، وجزء في يوم التاسع عشر، وجزء في يوم الحادي والعشرين، وذلك من الشهر القمري. ففعلت ذلك وحبلت بعد بضعة أيام، ولئن بحثت عن اسم الزوج لوجدته محمدًا، فكان كذلك، فافهم ذلك موفقًا إن شاء الله تعالى.

المبحث الرابع: ربيعية نفيسة

وهنا نكتب فائدة في الطب، وهو معرفة الدواء من الظاهر، وكما أن البياض في العين يسمى كوكب فإنك إذا تأملت إلى عُشبة الصَّبِر من ظاهرها فهي شبيهة بالشمس وأشعتها، ومزاجها حار يابس، فكانت دواء لمن يشكو من برودة ورطوبة القمر، فتفطن لهذه الفائدة المليحة، وسيلهمك الله بفوائد عجيبة إن شاء الله تعالى.



المبحث الخامس: مليحة

وهي أنه من أحداث الرؤيا قد ندرك شيئًا من حال الرائي، أو نستنبط من اسمه وسِنّه وغير ذلك، فمن رؤيا يوسف عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ نعلم أن معرفة الأيام والشهور والسنين عبر الشمس والقمر، كما في سورة يونس وغيرها، فنفهم من ذلك أنه كان من حِرَف نبي الله يوسف عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ الحساب والطب على ما ذكرنا، وكذلك تجد صفة حُسنه من جمال الشمس والقمر، وهذا من عجائب وغرائب التعبير إن أمعنت في الرؤيا من غير الاطلاع على حال الرائي.

كما قال لي إنسان: أراني تحت قدمي لغمًا فإذا رفعت قدمي سينفجر، فجاء أخي صلاح وأزاح ذلك اللُّغم.

قلت له: تعمل في الجيش، وتشكو من بطنك، وعليك أن تصلح المفسد بالاستفراغ ومنه العَرَق، وهو المشي، فإنك كثير الجلوس، فكان كذلك.

وآخر -وكنا مع أناس- يقول: رأيت أني بين الملوك والأمراء.

قلت: مهنتك في الأمن السرّي أو ما يُسمّى بالاستخبارات.

فقال: أجْهَرت بمهنتي بينهم، سامحك الله.

ولمّا شبّه الله تعالى نبينا محمدا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ بالقمر المنير فإنه يُعلم من ذلك أنه كان أزهر اللون، وقد تكلمنا في معنى: أزهر، وكما في "الصحيحين" عن ربيعة بن أبي عبد الرحمن قال: سمعت أنس بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ يصف النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ، قال: «**كَانَ رَبْعَةً مِنَ القَوْمِ لَيْسَ بِالطَّوِيلِ وَلاَ بِالقَصِيرِ، أَزْهَرَ اللَّوْنِ لَيْسَ بِأَبْيَضَ....**» الحديث.

ومعنى أزهر اللون: هو الأبيض المستنير، وهو أحسن الألوان.

والزُّهرة: البياض النَّيِّر، ويُفهم من القمر أيضًا أن وجهه كان مستديرًا كالشمس والقمر، وهذا يوافق ما جاء في صفة وجهه صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ.

كما قالت لي امرأة: رأيت ابنتي على ربوة خضراء.

قلت: تُبتلى وتصبر واسمها مريم أليس كذلك.

قالت: بلى.

ولذا فهذا الفصل ينبثق منه فصول عدّة، بل ومختلفة للحكم بعجائب وفرائد وغرائب، فافهمه.



المبحث السادس: صواحب يوسف

فالعرب من عادتها إطلاق الأسماء الكثيرة على من كان ذا شأن عظيم ومنزلة رفيعة، وهذا شبيه بحال الكواكب من منزلتها الرفيعة، فلكل كوكب من اسمه نصيب، ومنذ قرون وأسماء الكواكب لم تتغيّر، وذلك لمكانتها ورفعتها، ومن أمثال العرب: الاسم دال على المسمَّى، ولكل شيء من اسمه نصيب، ولما كانت الكواكب دالة على الملك والأبوين والإخوة والأقارب ونحو ما تقدم ذكره كان اسم كل كوكب دال على معناه في التأويل، وقد تحدثنا عن الشمس والقمر خصوصًا والكواكب عمومًا، وبقي الحديث عن الكواكب بسرد خاص لكل كوكب وباختصار.

لو قيل: هَب للبدر اسمًا آخرًا ما اخترت إلَّا أن يكون محمدًا!

فاحكم على من رأى الكوكب بدلالات عدّة من الأسماء أو المعنى، وبما أُتصف به، وغير ذلك من أصول التأويل، فقد جاءت بها السنة، كما في "الصحيحين" من حديث أنس بن مالك رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قال: قال رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰٓآلِهِوَسَلَّمَ: «**رَأَيْتُ ذَاتَ لَيْلَةٍ، فِيمَا يَرَى النَّائِمُ، كَأَنَّا فِي دَارِ عُقْبَةَ بْنِ رَافِعٍ، فَأُتِينَا بِرُطَبٍ مِنْ رُطَبِ ابْنِ طَابٍ، فَأَوَّلْتُ الرِّفْعَةَ لَنَا فِي الدُّنْيَا، وَالْعَاقِبَةَ فِي الْآخِرَةِ، وَأَنَّ دِينَنَا قَدْ طَابَ**». [رواه مسلم، برقم: (٢٢٧٠)] فاعتبر الرفعة من رافع، والعاقبة من عقبة، وقد طاب من ابن طاب، ومن صفة الرطب كذلك وهو من ظاهره وباطنه، وهو نضوجه كونه قد طاب، وهذا الحديث فيه أيضًا فوائد جمة في علم التعبير، والطب وغيرها من العلوم ليس هنا بسطها، ومن الحديث تجد الزمن الموافق على تفسير الثمار حسب فصولها.

وقد وردت مسميات لبعض الكواكب في كتاب الله؛ قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿**وَأَنَّهُۥ هُوَ رَبُّ ٱلشِّعۡرَىٰ** ﴿٤٩﴾﴾ [النجم]، وقد تحدثنا من قبل بأمر الشمس والقمر، وقد ذكر ابن إسحاق في "السيرة" وحسنه الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ، عن حسان بن ثابت رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: **والله إني لغلام يفعة، ابن سبع سنين أو ثمان، أعقل كل ما سمعت، إذ سمعت يهوديًا يصرخ بأعلى صوته على أطمة بيثرب: يا معشر يهود، حتى إذا اجتمعوا إليه، قالوا له: ويلك ما لك؟ قال: طلع الليلة نجم أحمد الذي ولد فيه**، وهنا دلالة على التأويل من حيث الصفة.

مليحة: ومن التأويلات الحسنة في الكواكب:

اعتبر الكوكب الوارد في المنام بما قبله وبما بعده.

مثال: المشتري قبله المريخ، وبعده زحل، فالمريخ يدل على الصلاح؛ لأنه أصلح الكواكب للعيش بعد الأرض، وكذلك يدل على رفعة، وهو أوسطها، فدلالة على الوسطية، ومن اسمه يُشترى أي يصير صاحبه محبوبًا عند الناس كونه يُشترى، ويكون صاحبها له جولة على من حوله، وأيضًا يقوم بتغطية نجومهم.

وأما ما بعده فإنه زحل وهو كوكب النار فيدل على حرب ضروس، فاعتبر النجم وافقه فيه حسب ما نُقل عنه مع أصول التأويل، ومن هذه النجوم:

- **الثُّريا:** تدل على الإخوة، أو سبعة منهم، أو ممن دل عليه النجوم، أو الخدمة، أو الأموال، كسبعمائة أو سبعة آلاف درهم، أو السُّبع منها، أو الجواهر، وكذلك دال على الشُّعَب للشيء المضيء، وعلى العالِم والرجل الحازم ومنارة المسجد، وقد جرى ليوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ من ذلك، وسقوطها أو أحد منها موت أو نكد ممن دل عليه، كما حكي عن ابن سيرين رَحِمَهُ ٱللَّهُ من رؤيا المرأة التي قصّت رؤياها عليه،



فكانت الرؤيا تشير إليه فعبّرها بموته بعد سبع، فجرى ذلك، وتدل أيضًا على موت في الأنعام، وقلة الثمار ونحو ذلك.

بنات نعش: دلالة على البنات والنبات، وقد جرى ليوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ من ذلك، أو الانتعاش بعد الشدة، فيقال: نَعَشَ شجرةً: أنهضها وأقامها، نعش الربيعُ الحدائِقَ والبساتين، نَعَشَه اللهُ: جبَره بعد فقره، وقد نعش الله به مصر وأهلها، ودالة على مغسلة الموتى، أو قريبة من الأكابر، أو الطاحون، أو دلت على الرقص، أو اقتراب الأجل إما سبعة أيام أو أربعة أيام أو إرث، وغير ذلك.

الزُّهرة: تدل على امرأة أو دنيا، أو لذة وعلى الجمال والسرور، أو زواج، أو حمل، وهي امرأة جميلة ليس بينه وبينها قرابة، وقد يدل على امرأة ملك، وما ذكرناه لا يشترط رؤية النجم، بل اعتبر من الاسم، وإن كانت مجهولة.

كما قال لي إنسان: رأيت امرأة اسمها زهرة، ولي أكثر من عشر سنين لا أعرف عنها شيء.

قلت له: هل تشكوا من مرض منذ عشر سنين؟

قال: نعم.

وتدل على نجاة أهل التوحيد في زمن الهرج والمرج، وإن نقصت أعمالهم من النوافل، ويقال: زهر الوجه أو القمر: أشرق وتلألأ، زهَر وجهه للنَّبأ السَّار، وقد جرى ليوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ من الجمال والسرور وكونه رسولًا وعزيز مصر فإنه لا محالة من الزواج ببنت أكابر، كما جرى ذلك لنبينا محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ مع أمهات المؤمنين رضي الله عنهن جميعًا.

كما قال لي إنسان: رأيت كوكب الزُّهرة يقترب سريعًا من القمر وارتطم به جزئيًا.

قلت: ربما تحصل خصومة مع أحد أقاربك، وربما يحدث كما في الرؤيا من كوكب الزُّهرة تجاه القمر، أو حدث حيث يصدر صوتًا مزعجًا ثم يكشف الله ذلك، وهذا بسبب ذنوب العباد، والله أعلم.

الشعرى: دال على أمر باطل، أو امرأة لا خير في دينها، ولا في أحوالها، وتدل على مرض، وعلى علم النجوم، وغير ذلك، وقد جرى ذلك ليوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ مع امرأة العزيز وكهنة الملك.

عطارد: دال على الرجل المعطاء لمن رآه، أو العطارة، أو الكتابة، أو علم، أو منفعة، أو ثناء حسن، ونحو ذلك، وجرى ليوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ من ذلك، وربما من المقربين لمن دلت الشمس عليه، أو كان الحدث بعد ثمانية وثمانين يومًا.

المريخ: دال على الأمراء والأكابر، وعلى الحروب، أو سفك دماء، أو شرور، أو طلاق، أو هدم منازل ونحو ذلك، وهذا يدخل في الجوائح عندما تحل سنوات عجاف، وربما كان الحدث في الشهر الثالث من السنة الشمسية.

كما قالت فتاة: رأيت كوكب المريخ في يدي وأكلت منه.

قلت: مقربة لأبيك عند الأكابر من العلماء ونحوهم، وزواج لك برجل رفيع.

المشتري: دال على بيع وشراء، وعلى المخازن والأملاك، أو تدل على عابرٍ للرؤيا، وأيضًا على صاحب بيت مال كبير من الأكابر، أو علو شأن، ويدل على العبادة، فأعط كل نجم ما هو خاص به بقدر ما يليق به الرائي، وقد جرى ذلك ليوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ الشيء الكثير.

زحل: دال على الشدائد والخسارة والفقر ونحو ذلك، وهكذا قس كل نجم على حسب حاله واشتقاقه إذا وجدت لذلك عبورًا متوافقًا مع القرائن، وقد جرى

ذلك في السبع العجاف للبلدان المجاورة لمصر، ودليله مجيء إخوة يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ من أرض كنعان.

السهيل اليماني: هو عالم، أو طالب علم بجوار فقيه يسلك طريقته، وربما كان من اليمن، ودال على أمر يسير، ومن اليُمن والإيمان، وتسهيل الأمور، وعلى الهداية والرفعة والفائدة والرزق، وتبدل في الأحكام والحُكَّام والأحوال ونحو ذلك، واعتبر الجهة التي كان فيها النجم.

كما قال لي طالب علم: رأيت فلانًا (وهو طالب علم) في مدرسة سهيل وكان "بروفيسور"؟

قلت: بدأ يطلب العلم في اليقظة وانظر إلى مآل الرؤيا حتى صار بروفيسور وهذه اللفظة وإن كانت من اللغة الغربية لكنها صارت مشتهرة بين المسلمين وتطلق على أعلى مرتبة علمية، واعتبارها معنىً بعد تغيير اللفظة من لغتهم إلى العربية، وكذلك اشتقاقًا فيرتفع ذكره ويكن مرجعية لطلبة العلم، وذلك لعلوم شرعية ومنها التفسير لبعض السور والأحاديث، ولعل بلدان الغرب تنتفع بما سيقوم به، ولك نصيب تنال منه أعني الرائي، ودليله من المدرسة واسمها، وتلك الصفة: من الرتبة الرفيعة، وعلى هذا فقس في النجوم وأعط بقدر ما يليق به، فالأكابر من النجوم أشراف الناس، والصغار أدنى، والمذكر ذكور، والمؤنث إناث، فافهم ذلك.



المبحث السابع: انشقاق القمر

لا تعتبر قاعدة الانشطار في الشيء الصَّلب؛ أعني فيما لا يشتق منه معنىً واضحًا كالقمر، ولفظ الليل والنهار، ولفظ البقرة والجسد والبدن، أعني شطر اللفظة إلَّا في النادر إذا تمكَّنت من ذلك، وذلك لندرة حدوثه، ونحوه فيما لا يُشتق من هيئته وصفته، وهذه فائدة لمبتدئي تعلم هذا العلم، وكما هو معلوم من انشقاق القمر في عهد نبينا صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰٓآلِهِوَسَلَّمَ لكنه عاد إلى حاله السابق، وهكذا قس في تشطير لفظ: الأرض أو الشمس؛ فإنه مخالفٌ طبعًا ولفظًا إلا أن يشاء الله سبحانه تعالى.

وإن حدث ذلك للعبور كان ذلك نكد ممن دل عليه وذلك لعدم توافق شطره، فإن اعتبرنا كذلك في الشمس أو القمر من رؤيا يوسف عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ كان دليلًا على موت أحد أبويه، ولم يجرِ ذلك منذ رؤياه وحتى مآلها، وهنا إشارة أن أمه راحيل كانت على قيد الحياة حتى دخولها مصر مع القمر يعقوب عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ، والله أعلم.

وقد يُشتق من اللفظ: كوكب: كي بك، ومن النواة: نوى، وذلك إذا توافق الخروج لعبور صحيح مع توافق الحال، والله أعلم.

تحفة ربيعية: ولما كان الانشقاق والتصدع في القمر دال على وجع الرأس، ودل القمر على نبينا محمد صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰٓآلِهِوَسَلَّمَ، وانشق له في أول دعوته، كان من أول علامات مرض موته وجع رأسه، كما في حديث عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا عندما اشتكت من رأسها، فقال لها: «**بل أنا والله وارأساه**». وهذا من التوافق العجيب، فافهمه.

المبحث الثامن: الإعراب والعبور

اعلم أن كل كلام الله تعالى له معنى، وما من حرف إلَّا وله دلالة، فلا تهمل أحرف الكلم في الرؤيا، فالحكم عليها في التعبير شبيه بالحكم عليها في الإعراب، وهذا يهمله الكثير من المعبرين، ومن رؤيا يوسف عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ (واو) العطف من قوله: ﴿وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ رَأَيۡتُهُمۡ لِي سَٰجِدِينَ ٤﴾ [يوسف] فصار أبواه تحت حكم إخوته من المآل، وهو السجود، ومن المعنى عطف يعقوب عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ على ولده، فكان يشفق ويخشى عليه، وتأتي عطف بالتوجه إليه، وهو ما جرى من توجه يعقوب عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ من كنعان إلى مصر، وعلى هذا فقس، ولأهمية ذلك فلولا الواو في قوله تعالى: ﴿وَٱلشَّمۡسِ وَضُحَىٰهَا ١ وَٱلۡقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا ٢﴾ [الشمس]، لما كان قسمًا، وقد أقسم الله بأشياء عظام في هذه السورة.

وإذا فتشت بين التعبير وعلم النحو لوجدت فوائد ملاح نحو ما تقدم ذكره، فإن اللفظة: إعراب مشتق من التعبير أو العبور، فذاك للفصاحة والوضوح للكلام، وذاك لوضوح معالم الاختلاف حتى تكن جملة مفيدة، فإن كانت الرؤيا ناقصة بحيث كونها ليست مُرَكَّبة مفيدة فهي ناقصة من قبل الرائي عمدًا أو سهوًا.

واعتبر الاسم والفعل والحرف وعلامات ذلك، فالماضي مضى والأمر قادم والمضارع ما زال قائمًا عليه، فلا تهمل الحرف، فله اعتبار ودلالة مفيدة.

واعتبر المفعول المطلق بشيء حسي أو معنوي وابحث فيه ولا تهمله، وعلى هذا فقس بين الإعراب والعبارة.

المبحث التاسع: تحفة فريدة

فعلامة النصب دل على: منصب، وعلامة الخفض عزل، ولما كانت ألفاظ رؤياه كل أحرفها منصوبة وهي شبيهة بصفة الكِبر ﴿أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا﴾ [يوسف:٤] جرى لهم في الأخير الكسر من اللفظة ﴿سَٰجِدِينَ ۝٤﴾ [يوسف].

وكذلك من هيئة السجود الخفض كان المآل وهو التوقير والتذلل له، وعلامة الرفع علو أو موت أو فراغ عمل، وعلامة الوصل صلة، وعلامة الجزم حزم في الأمور، وعلامة التشديد ضيق وعسر، فما دل على الكلام أو غيره في المنام من هذه العلامات شيء إلى دين الرائي أو دنياه، وكذلك إن نقص، فاحكم بذلك.

واعلم أنه قديمًا وُضِعَت قاعدة مختصرة لتعبير الرؤىٰ حيث تُفسَّر الرؤيا من أول حرف لها كما قالوا: الباء منها بركةٌ أو بكاءٌ أو بؤسٌ أو نعيٌ أو بلاءٌ، والسين: سؤددٌ أو سُكرٌ أو سلامةٌ، أو سفرٌ أو سبيٌ، أو سجنٌ أو سيئةٌ، والميم: مُلكٌ أو مَلكٌ أو مسألةٌ أو موتٌ، والألف: أخذٌ أو أملٌ، ونحو ذلك على بقية الأحرف، وهذه القاعدة فيها نظر وتُحكِّر من الاتساع والإدراك والبحث عن أسرار هذا العلم التي لا تتوقف، والله أعلم.

قال لي إنسان: رأيتك يا أبا الربيع أني أرسلت لك رؤيا وطلبتُ تأويلها، وقلت لي: إن الجيم (ج) دلالة على النجاة من النار. **قلت**: يحصل لكم خلاص من شدة أو فتنة ونجاة من تعب، أو من امرأة رديئة وذلك بإرشادات من قِبل أبي الربيع، فجرى ذلك.



المبحث العاشر: التأويل بالمعتقد

نَتَعلَّمُ أن من أصول تأويل الرؤيا حسب الزمان والمكان والمعتقد، ولما كانت الشمس والقمر مرجعية لمعرفة الزمان وعلى المكان كان لابد من العبور وفق كل زمان ومكان بما يتوافق مع حالهم ومعتقدهم وتقاليدهم وإلا فلا، وهذا شبيه بِصِلَة الشمس والقمر بمن حولهم باعتبارهم كالملوك أو العلماء ونحوهم على من هو دونهم، ويسلكون حسب معتقدهم، ومن ذلك: (السجود) **ومعناه لغةً:** الخضوع، والتذلل، سَجَدَ يَسْجُدُ سجودًا؛ وضع جبهته بالأَرض.

واصطلاحًا: وضع الجبهة على الأرض، أو ما اتصل بها من ثابت مستقر على هيئة مخصوصة في الصلاة.

وقد جاء السجود في رؤيا يوسف عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وكذلك عند مآل الرؤيا، وهو تحقيقها في الآية مائة من السورة، وقد سجدوا له كما سجدت له الكواكب والشمس والقمر.

والسجود هنا ليس لعبادته، وإنما سجود تحية وتوقير، فإن إخوة يوسف عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ خضعوا له، وكذلك على رضى والديه، وهذا من معنى السجود، وأيضًا لشأنه العظيم وهذا من العَظَمة؛ لأنه في زمنهم كانوا لا يسجدون إلا لعظيم كالملوك ونحوهم؛ لتعظيمهم، وليس لعبادتهم وإشراكهم مع الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ.

فقد كان السجود بمعنى التوقير مباحًا في عقيدتهم، وقد كان سائغًا في شرائعهم إذا سلموا على الكبير، ولم يزل هذا جائزًا من لدن آدم إلى شريعة عيسى عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وهذا مضمون قول قتادة وغيره، وهذا يعلمنا درسًا في العقيدة أن

الخروج على الوالي يؤدي إلى مفاسد عدة، وهذا ما جرى من حزن يعقوب عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وتردي حال إخوة يوسف، ويعلمنا أيضًا أن بعض الرؤى تقع كما كانت في المنام.

يسأل سائل: تشيرون أحيانًا بالشمس لامرأة العزيز، فأين السجود منها تزامنًا مع رؤيا يوسف؟

قلت: نعم، قد جرى، وذلك من قولها: ﴿قَالَتِ ٱمۡرَأَتُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡـَٔـٰنَ حَصۡحَصَ ٱلۡحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفۡسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ۝٥١﴾ [يوسف]، وهذا توقير وإجلال منها.

وأيضًا فإن يوسف عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ صار من بعدها مُعظمًا، فليس بمستحيل أنها كانت تسجد له إعظامًا بعد أن أقرت بمكانته وعفته، وإذا اعتبرنا الشمس بالمعيشة فقد ذُلِّلت له من قِبل الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ بما ألهمه الله في تأويل رؤيا الملك، والله أعلم.

وأما السجود لغير الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ في ديننا الحنيف فهو مُحرَّم، قال تعالى: ﴿وَمِنۡ ءَايَـٰتِهِ ٱلَّيۡلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُۚ لَا تَسۡجُدُواْ لِلشَّمۡسِ وَلَا لِلۡقَمَرِ وَٱسۡجُدُواْ لِلَّهِ ٱلَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ۝٣٧﴾ [فصلت].

وهنا لا يكن السجود إلا لله تعالى، وقد سرد ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في "تفسيره" قصة سجود معاذ للنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ مما جاء في "سنن ابن ماجه"، بسند صحيح، وكان قبل أن يعلم النهي عن ذلك، والله أعلم.



المبحث الحادي عشر: السجود في المنام لهذه الأمة

وأما السجود في المنام دل على الخدمة والتذلل والخضوع والحاجة إلى من دل عليه، واعتبر حسب معتقد الساجد ولمن سجد، فإن سجد لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ دل على براءة له من الكبر، ويخضع له أعداؤه وينال ما يتمناه في الدين والدنيا سريعًا ويقيم حدود الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وفرائضه.

أو دل على خدمة من دل عليه الباري سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ ومن سجد للأشجار أو القبور أو الأصنام دل على خدمة ميت أو جاهل لا ينفع معه الخير، أو قريب لعله أخرس، أو مريض، وقد أتعب الساجد في خدمته، وربما دل السجود للشمس على معتقد فاسد لدى الساجد، أو دل على نبأ لم يتفطن له، وعلى هذا فقس.

واحكم بما اقتضت الأحكام حسب معتقده، فإن سجد المسلم إلى غير جهة العبادة أو جالسًا أو نائمًا وهو قادر على القيام فدليل على فساد دينه، وبدعته، فإذا سجد من غير عذر دل على التقصير منه، أو دل على سفرٍ أو مرضٍ، ومثل هذه وجب عليه ذلك، وهذا مأخوذ من الأحكام الشرعية، وعلى هذا فقس على سائر العبادات.

وأما إن كان الساجد مجوسيًا وسجد للنار دل على خدمته لمن دل عليه وقضاء حاجته ونحوه، وإن سجد إلى جهة قبلة المسلمين دل على إسلامه أو خدمة من دل عليه.

وأما إن كان الساجد حيوانًا أو شجرةً أو صنمًا أو نحو ذلك للمسلم دل على الخدمة، أو طلب العفو، أو أخبار عجيبة، أو التقرب ممن دل عليه، أو كان الساجد جاهلًا، وربما جرى لمن سُجِد له ذل وأمر رديء وعاقبة سيئة، أو دل على الرخصة

للساجد وخلاص من شدة، وعلى هذا فقس.

واعتبر موضع السجود فإن كان في أماكن العبادة دل على أمر في عبادته، أو أمر حسن، وإن كان في دكانه متجهًا نحو القبلة دل على أمر يسعى للوصول إليه على حق، وإن كان مخالفًا جهة العبادة فهو على خطأ، وعلى هذا فقس.

كما قال لي إنسان: رأيت أعمامي يُصَلُّون إلى غير القبلة، وكانت عماتي ينظرن إليهم وينكرن عليهم ذلك.

قلت: عماتك لديهن ورث من بعد هلاك الوالد وما زال عند أعمامك، وحصل منهم مطل ويدَّعون أنهم على صواب.

فقال: صحيح.

قلت: يُنصح هؤلاء ففيهم خير على أن يُغيِّروا على ما هم عليه، فجرى ذلك.

وآخر يقول: رأيت الشيخ ابن حزام الفضلي يصلي ويُشعر أثناء ذلك.

قلت: يُفتَن، ويُضل من يقوم معه، ويتكلم بأباطيل، ومنها يثني على أهل أهواء والبدع، فجرى ذلك.

ولمن رأى أن الله يصلِّي له فهو ثناء وذكر حسن ونحوه ممن دل عليه الباري سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، أو دل على خلاف ذلك، وعلى هذا فقس.



المبحث الثاني عشر: البدر

تأمل في الشيء المُفضَّل أو الأكثر وضوحًا في المنام فهو أمر في غاية الأهمية، وأعطِ كل إنسان بقدر ما يليق به، وهذا مستنبط من ضوء النجم، وبروزه وتألقه؛ لأنه من الأشياء العلوية، فإنه ذكر الكواكب بصفة الجمع، وانفرد بذكر الشمس والقمر على وجه الخصوص، وذلك لمزيتهما، ثم عَقَّب الأمر وهو المآل لهذه الكواكب ألا وهو السجود؛ فتجد رموز رؤياه كلها أجرام سماوية، وتدل على ترابطها إلَّا السجود، ولو تأملت مجريات قصة يوسف عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ لوجدتها أنها تصب نحو هذا الأمر، وكان في الختام تفضيل يوسف عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ على إخوته.

ولذا إذا كانت الرؤيا غير مترابطة مع بعضها فهي في الغالب حديث نفس أو من الشيطان.

وفائدة تَعضُد قرينة التَّمَيُّز في الإشارة كما ذكر ابن قيم الجوزية رَحِمَهُ ٱللَّهُ فيما تقدم ذكره، وقد جعل الله لنبينا محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ الأفضلية والرفعة على باقي الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام؛ فقد شبَّهه من حيث الإضاءة بأعظم الكواكب إنارةً ونورًا، وهما الشمس والقمر كما تقدم ذكره من تشبيهه بالشمس والقمر.

وقد علَّق ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ على هذا التشبيه، **فقال**: تشبيه بالشمس عند الإشراق.

قال أبو الربيع الطاهري: وعند حرِّها نكد على المخالفين عن هديه، والله أعلم.

وقال تعالى: ﴿ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا ﴿٤٦﴾ ﴾ [الأحزاب]، وبعثناك داعيًا إلى توحيد الله وطاعته بأمره، وبعثناك مصباحًا منيرًا يستنير به كل من يريد الهداية،

ونحو ذلك من الآيات، ولم يجعل هذه الصفة أو خصّها ليوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وهذه من لطائف وأسرار القرآن الكريم، وكان كالبدر فما أجمله.

فإن قلت: أليست الشمس من محتوى رؤيا يوسف؟

قلت: بلى، ولكن ذُكرت في رؤيا يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ على العموم، ثم السجود، وأما نبينا صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ في مثل هذه الآيات على وجه الخصوصية والتَّمَيُّز والتفضيل، وهو الإنارة، وقد وصف بأعظم وصف وهو إنارة الشمس عند الإشراق للمؤمنين، وعند حرِّها شديدة على المخالفين، كما أسلفنا، وقس في البدر عند ليلة كماله، ولم يجمع لنبي من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قط في مثل هذا التشبيه.

والمقصود أنه ينبغي على طالب العلم أن يفكّر ويحوم أكثر حول الإشارة الفريدة البارزة، ولهذا عندما كانت رؤيا يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ متفردة وأكثر ميزة وعظيمة أحداثها جعل الله قصة يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وإخوته لها شأن عظيم، وجعلها من القصص الحسنة لما فيها من العبر، وقصة نبينا صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ أفضل وأعذب وأنفع وأمتع وأطيب قصة.





المبحث الثالث عشر: لا تقسُ في رؤياي

ومن الحِكَم: أن يحكم القاضي على المحمل الحسن كما فعل يعقوب عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وكذلك يوسف عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ مع رؤيا الملك، وسيأتي البيان أكثر من حديث عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهَا في رؤيا الملك -إن شاء الله تعالى-، وكما جاء في الحديث من قول النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ: «**وَبَشِّرُوا، وَلاَ تُنَفِّرُوا**»، وكونها بشرى فهي من باب أولى.

وعلى العابر أن يتزود من العلوم الشرعية، ودليله من نصح يعقوب ليوسف عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وكذلك من دعوة التوحيد للسجينين من قِبل يوسف عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وكذلك مما قام به لمواجهة سنين القحط، وأيضًا ما يتعلق بعلم الطب خصوصًا في زماننا، وقد كثرت الأسقام وتكررت الرؤىٰ للمريض فلم يدرك جوهرها عابر فطن ولا لمن رأى أنه في ضرر، والله المستعان.

وكما أن النهار يبدأ بإشراق يوم فيه فأل حسن ونفع؛ فكن كذلك في تفسيرك، ولا تكن قاسيًا كشدتها وحرِّها، وكذلك كن كسكون الليل مع ملاحة بدره، وأيضًا عندما كانت سبعًا شدادًا لم تكن السنة التي بعدها سنة سمينة، وإنما عام فيه يُغاث الناس، فكانت الخيرية والفوائد أكثر، وعلى هذا فإنه ليس هناك ما يستدل به أن الرؤىٰ تعبر على الظن السيء.

وأما تأويل نبينا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ لرؤياه للسيف والبقر هو محض خير لأصحابه رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ، ولابد من ذلك، فإن هذا الدين لم يصل إلينا بسهولة، بل بُذلت أرواح ودماء لنصرته، وكانت لهم عزة ورفعة في الدارين، وعلى هذا فقس في الرؤيا التي

تشير إلى نكد فهو خير للمؤمن إما تكفير ذنب، وإما لرفعة وكلاهما خير.

وكما أن الرؤيا جزء من النبوة، فهي محض خير ورحمة، وتأتي الرؤيا بشارة، وفيها تحذير كما في رؤياه، وكلما كانت معالمها أرفع كالأجرام السماوية كانت أنفع، وهذا مستنبط من رؤياه، وقد تأتي الرؤيا بشارة وفيها حديث نفس ومن الشيطان، وعلى العابر أن يغربلها ويعبر المُصفَّى منها.

وارتباط الكواكب بهذا المعنى هو أن من نعم الله على العباد أن جعل في النهار حرارة الشمس معتدلة غير محرقة لكيلا تُتْلِفَ الحرث والنسل، وكذلك قس في ضوء القمر، وهذا من رحمة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ على عباده وقد سخرهما لمنافع خلقه وليس لإلحاق الضرر، قال تعالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٧١﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٧٢﴾﴾ [القصص].

ولهذا فإن هذا العلم لا يناله من كان لا يَرحم ولا يعطف على الآخرين، وبقدر قسوتك بقدر حرمانك للخير، واجعل نصب عينيك قبل أن تحكم أن القضية قضيتك أنت فاحكم بما تُحب أن يُفتى لك، وقد لا تريد أمرًا والله يريده وما عليك إلا عبوره، فافهم ذلك.



المبحث الرابع عشر: احذر غِيرة مفسّر و حسد عالم

ومن الحِكَم: فإن يعقوب عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ لم يبدأ بتفسيره على وجه المباشرة، وإنما بدأ بالنصح، وحذَّر للحفاظ على يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ لما فيها من خيرية قادمة رفيعة، وهذا من باب قضاء الحوائج بالكتمان خصوصًا إن كان من تخشاه عابرًا للرؤيا؛ لأن الرؤيا سيجري حكمها.

وقفة:

والمتأمل في القصة ففيها تحذير للعابر أن لا تلتهب نيران الغيرة في نفسه إن نال العابر الآخر حظوة عند النساء.

وهنا إشارة لعابر الرؤيا أن يبدأ بالنصح والتحذير والإرشاد، وذلك من قوله: ﴿قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقۡصُصۡ رُءۡيَاكَ عَلَىٰٓ إِخۡوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيۡدًاۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ۝٥﴾ [يوسف]، وذلك لأهميته؛ لأن الرؤيا النفيسة الحسنة بقدر حسنها وخيرها وجمالها يُحسد عليها المرء ممن حوله؛ إما من الأقارب، أو ممن هو مشترك معه في ذلك الأمر، وإن كان الأمر مذمومًا فبقدره يحصل السرور عند أعدائه، وطالب العلم التقي الملهم الماهر يتنكد من بعض إخوانه حسدًا على ما أنعم الله عليه من العلوم، ولعله كان أصغرهم أو أتى متأخّرًا في طلب العلم، أو على رؤيا قصَّها لهم فيبدأ فيهم داء الحسد، ولهذا جاء عند الترمذي من حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قال: قال صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ: «**لَا تُقَصُّ الرُّؤْيَا إِلَّا عَلَى عَالِمٍ أَوْ نَاصِحٍ**»، وهنا ليس محصورًا أن يكون عالمًا بتعبير الرؤيا إذ لو كان كذلك لحصل له النكد، كونه يعرف العبور فيحسده عليها، أو أنه يشير إلى الفقيه العالم للعبور؛ لأن العبور من العلوم الشرعية،

فقد يعبرها له حسب فهمه، أو يرشده لعابر حبيب ونحوه؛ لأن العالم إذا أظهر حسده على عالم آخر نقص إلى طالب رديء، وربما فُتن وانسلخ، وما أكثرهم في زماننا، أو العالم بعبورها، وهو حبيب ولبيب وناصح لك، وهذا أرجح.

ونار الحسد والغِيرة مفتعلة كما في حر ولذع الشمس كما جرى ليوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ من قِبل إخوانه، وكذلك من امرأة العزيز كونهم استمدوا شيئًا من طبائعها.

والحسد في ديننا مُحرَّم كما قال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: «**وَلَا تَحَاسَدُوا..**» [رواه البخاري، برقم: (٦٠٧٦)، مسلم، برقم: (٢٥٥٨)، من حديث أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ]، وكذلك في الأمم السابقة، ودليله من جواب يعقوب عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ خشية الكيد، وهذا دليل على أنه مذموم كذلك، **وكما قال أحد السلف**: ما خلا جسد من حسد، لكنّ اللّئيم يبديه، والكريم يخفيه.

وترك الحسد وتطهير القلب منه يحتاج صاحبه إلى التوحيد، وهو الرضا بما أراد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وهذا هو الدواء كونه بالضد، ويحتاج أيضًا أن يحب للآخرين كما يحب لنفسه؛ لأن ترك الحسد ثقيل على الروح، والموفق من وفقه الله، ولذا تجد من قصة يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أن إخوانه بعد مرور نيف وثلاثين سنة، وما زال في نفوسهم شيء تجاه يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، ولم يصغر كبرياؤهم مما جرى لأبيهم، وبما وصل بهم الحال، وذلك من قولهم: ﴿قَالُوٓاْ إِن يَسۡرِقۡ فَقَدۡ سَرَقَ أَخٞ لَّهُۥ مِن قَبۡلُۚ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفۡسِهِۦ وَلَمۡ يُبۡدِهَا لَهُمۡۚ قَالَ أَنتُمۡ شَرّٞ مَّكَانٗاۖ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ٧٧﴾ [يوسف]. ولكن كانت عادة الكريم منه الحلم، فكتم ذلك في نفسه، فافهم ذلك.



المبحث الخامس عشر: نصيحة في الصبيحة

وكما اشتهر طالب العلم الفلاني، وهو كالنجم بشيء انفرد وتميَّز به، فلا نلتفت لغيره، فعلى العابر كذلك أن يقص رؤياه لعابر عالم حبيب لبيب مشهور بصلاحه وأعلم منه، وهذا يدركه الكثير من المعبرين، وهذا مستنبط من رؤيا يوسف عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ مع إخوانه، وكانوا أعرف الناس بتفسير الرؤيا، وكذلك طلب يوسف عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ التفسير من أبيه عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، ولم يقصها عليهم، فإن رؤيا العابر يعجز في الغالب عن تأويلها بنفسه، وذلك كونه يراها حسب منظوره، وهذا خطأ فالمؤمن مرآة أخيه.

ولهذا فإن أمر الرؤيا تؤخذ بعين البصيرة، وعليك أن تحفظها في جعبتك بعد أن تقصها لعابر فيه ما ذكرت فتنبّه لذلك.

ومن الأحاديث التحذيرية أيضًا في لفظ آخر: «**وَلَا يُحَدِّثُ بِهَا إِلَّا لَبِيبًا أَوْ حَبِيبًا**». [رواه الترمذي، برقم: (٢٢٧٨)]، وعند أبي داود رَحِمَهُ ٱللَّهُ، من حديث أبي رزين رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ، قال: قال: صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ: «**وَلَا تَقُصَّهَا إِلَّا عَلَى وَادٍّ، أَوْ ذِي رَأْيٍ**»، والعالم إن لم يكن ناصحًا حبيبًا لبيبًا فحاله إلى وبال، بل ونخشى عليه من القسوة، فقد جرت الغيرة في إخوانه وهم مفسرون للرؤيا، وجرى الحسد فيهم، ولأن التفسير من العلم الشرعي، وكما أن الرفعة درجات متفاوتة، وكذلك قدر الرؤيا فأعط بقدر ما يليق به.

واعلم أنه قد يُحرم العبد بعض خيرية الرؤيا لعدم السؤال عن عبورها، أو صُرفت عنك بسبب ذنب أصبته، أو بسبب جزعك، والله أعلم.

تنبيه: الغالب في أمر الحسد عند بعض أهل العلم إنما هو حسدٌ من عند أنفسهم مأخوذٌ من الكبر لا سيما إن كان المحسود أصغرهم سنًا وعلمًا، كحال يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، خصوصًا إذا حصل له التبجيل والثناء من الآخرين، فأيُّ حسد وصل بهم وهو أصغرهم بحيث قال أحدهم: ﴿ ٱقْتُلُوا۟ يُوسُفَ ﴾ [يوسف:٩] على وجه المباشرة! فالواحد منا تمنعه روحه من قتل حيوان صغير ضعيف فكيف بأصغرهم وهو أخوهم؟!، وذلك قد كان تلألأ بدره منذ هلاله.

فالحاسد إذا أظهر حسده تطبعت نفسه بالحرارة واليبوسة، وذلك من الشمس، فكان حاله ومآله صفراء، وذلك لخلو برودة أو رطوبة النفس من البيضاء، وأيضًا إذا وُفق المحسود بفهمٍ وعلمٍ وهذه الصورة هي السائرة منذ القرون الماضية حتى يومنا هذا وتعرفون كم عانى الإمام البخاري والإمام أحمد وكذلك ابن تيمية ونحوهم رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ، وكم عانى شيخنا يحيى الحجوري حفظه الله من حسّاده من البرامكة ونحوهم من الداخل، ومن أعداء الدين من الخارج، وليس من دولة واحدة، وإنما دُول فأبى الله إلَّا أن يرفع قدره، ويذاع صيته في أرجاء المعمورة، وستعلم وتتعلَّم الأجيال عن كوكب الحجوري كيف أضاء في دجى الليل منذ هلاله؛ وكيف صار بدرًا، وقد جرى ليوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ من الرفعة والعلو ما هو معلوم، فمثل هذه الرؤىٰ هدية من الباري سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ولا تُقدّس الرؤيا بذاتها، وليحمد الله عليها، وهذا مستنبط من جواب يعقوب عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ في أول الأمر.

وعليك أن تعلم هذا المفهوم لدى الرائي، وقد جاء عند البخاري، برقم: (٦٩٨٥)، من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال: قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: «**إِذَا رَأَى أَحَدُكُمْ رُؤْيَا يُحِبُّهَا، فَإِنَّمَا هِيَ مِنَ اللهِ**»، ولهذا عليه ألا يقصها إلا لحبيب



أمين يحب له كما يحب لنفسه، ومثل هذا من نُدُر النُّدُر. وافقه في إشارات الحسد في المنام المعنوية والحسية، وهي شبيهة بإشارات الظُّلم؛ لأن الحاسد معتدي ومعترض على مقادير الله.



المبحث السادس عشر: لا يُغني حذر من قدر

ولقد قدَّر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ الخيرية ليوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ مع ما قام به إخوانه من الغدر بحجة تفضيل أبيه له ولأخيه، ومع قيام يعقوب بتحذير ابنه يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ إلا أن الله شاء أن يجري له ما أراد، وعلينا أن نفهم أن قيام إخوة يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ من نَبْذِه ونحوه إنما بسبب المحبة، وليس بسبب الرؤيا، ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿ إِذْ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا ﴾ [يوسف:٨]، إذ لو كان بسبب الرؤيا لما ذكروا أخاه الأصغر، فحسدوه، فكيف لو علموا بِمَكْنُون هذه الرؤيا المليحة، ولكن كما أسلفت كان بغضهم له بسبب محبة أبيهم، وتفضيله بذلك عليهم، ولو أمعنت في سن يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وأعمارهم، وكان أصغرهم سنًا لأدركت أن الحقد إذا غشى على القلب أخرج صاحبه إلى شاكلة الأنعام، نسأل الله السلامة والعافية، ولن يمنع الحاسد شيئًا أراده الله لك، ولكن عليك بدرع التحصين تجاه ما يصدر من الحاسد؛ لأن الشيطان يجول ويصول لغليان الحسد حتى يطغى على الاعتدال، ولهذا قال يعقوب عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ عند أول الأمر: ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ۝٥﴾ [يوسف]، وعند آخر المطاف قال تعالى عن يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ قوله: ﴿ مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِيٓ ﴾ [يوسف:١٠٠]، وكلما كان الحاسد من الأقارب أو المعارف أو من شركاء في ذلك الشيء كان تأثيره أشد بعد أمر الله تعالى.

ومن الحِكَم أيضًا: اعلم أن الشيطان لطالب العلم إن لم يقدر عليه صال وجال على من حوله لكي يُنكِّد عليه، وكم من عالم أو عابر ابتلي ببدنه، أو بزوجته، أو

بإخوته، أو بولده، أو بصديقه، أو من المعارف، فإن طالب العلم يكن الشيطان له بالمرصاد خصوصًا إن كان مُلهمًا حاذقًا في فك رؤى المرضى، أو التي فيها مصالح للمسلمين كرؤى الحُكَّام والعلماء ونحوهم، فإن لم يقدر عليه أتى إليه من قِبل أقاربه وممن حوله، ودليل ذلك كما جرى ليوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ عندما أخبر ساقي الملك عند خروجه أن يذكره عند ربه قال تعالى: ﴿وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٖ مِّنْهُمَا ٱذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيْطَٰنُ ذِكْرَ رَبِّهِۦ فَلَبِثَ فِي ٱلسِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ ٤٢﴾ [يوسف]، ومعلوم سعي الشياطين من استراق السمع وتريد العلو والوصول إلى النجوم، وأنّى لها ذلك.

ومن قصة يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ تجد أن القمر كان عليه أن يتحمَّل من شدة الشمس وحرِّها لكي يصل لذلك النور في دجى الليل، وليس له غنى عن الشمس؛ لأن القمر يستمد نوره من الشمس، وبقدر نوره يكن الحمل عليه بنحوه، فافهم ذلك.

ومن الحِكَم: أن الحسد في الغالب يصدر ممن ليس بالحسبان، فلم يكن يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ يظن أن هذا الغل يصدر منهم، وهذا مستنبط من تقارب الكواكب من رؤياه، ومن كان يظن أن أبا لهب عم النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ سيظهر كل ذلك الحقد والغدر، فإذا كان الحذر لا يغني من القدر ممن هو بعيد؛ فمن باب أولى يأتي من الصديق المحبوب لديك ونحوه، وإن أتتك رؤى تنذرك منه فإن سجية صاحب القلب الطيب يظنها من الشيطان، أو حديث نفس، أو يفسرها تفسيرًا على محمل الخير، وقد أطلنا في أمر الحسد، وهذا بقصد منا؛ وذلك لعظم خطورته، خصوصًا عند طلبة العلم.

المبحث السابع عشر: هل رؤيا يوسف عُبرت أم لم تُعبر؟

تجد رؤيا يوسف عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ تختلف عن باقي الرؤىٰ المذكورة في السورة من حيث معالمها، وكذلك عبورها إن كانت عُبرت كما هو مآلها، فإنك تجد إشاراتها رفيعة علوية، وجواب يعقوب عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ مخالفًا على طريقة عبور الرؤىٰ المذكورة في السورة.

وهل جواب يعقوب عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ يُعتبر تعبيرًا لرؤياه؟

أم أخفى بعضًا وعبر بعضًا منها؟

أو عبرها على العموم وليس بالخصوص؟

أم اكتفى بما أوحى الله إليه، وتكلم بما ذُكر في السورة، وإذا كان عبرها بقوله: ﴿ وَكَذَٰلِكَ يَجۡتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِ ﴾ [يوسف:٦]؟

فما معنى قول يوسف عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: ﴿ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأۡوِيلُ رُءۡيَٰيَ مِن قَبۡلُ قَدۡ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّاۖ ﴾ [يوسف:١٠٠]؟

فإن بعض المفسرين قالوا: إن هذه الآية تعبير رؤيا يوسف عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ مرافقًا لتفسير يعقوب عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، والمتأمل في تفسير يعقوب عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ليس فيه أن إخوته سيسجدون له!!

والجواب سيكون على أجزاء عدّة مسلسلة، وهي:



الجزء الأول: الصفوة والعلم

علينا أن نفهم جزءًا من جواب يعقوب عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، ونتحدث هنا عن أقوال أهل التفسير في معنى ﴿ وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ ﴾.

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: يختارك ويصطفيك لنبوته. [التفسير (٤/ ٣١٨)].

وقال الإمام الطبري: يصطفيك. [التفسير (١٥/ ٥٥٩)].

وبعضهم قالوا: ومثل ما رأيت من الرفعة والحال الجليلة يختارك ربك ويصطفيك من بين إخوتك، وقال ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: يصطفيك بالنبوة.

وقوله: ﴿ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ﴾ [يوسف:٦] قال مجاهد وغير واحد: يعني تعبير الرؤيا.

وقال الإمام الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وعلّمه من عبر الأحاديث، وهو تأويل الأحاديث، وهو قول عن قتادة، وقال ابن زيد: العلم والحكمة، والبعض قال: تأويل أحاديث الأنبياء والأمم والكتاب.

وقال ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ في "تفسيره": لعله اختلاف تنوع لا اختلاف تضاد. [شرح مقدمة التفسير (/ ٢٨)].

وقد جرى ليوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ذلك.

واللفظة: "أحاديث" لا ينزوي لمعنى الرؤيا المنامية؛ لأن هناك حديث النفس والشيطان فلا تأويل لهما، بل لعل المعنى أعم من ذلك، وإن كان في الرؤيا فلعلها تشير إلى أحداثها، ولها تأويل، وإن كانت حديث نفس أو من الشيطان فتأويلها يكن الحكم عليها بالفساد، والله أعلم.

وقال ابن عاشور رَحِمَهُ ٱللَّهُ في "التحرير والتنوير": والأحاديث يصح أن تكون جمع حديث، بمعنى الشيء الحادث، فتأويل الأحاديث: إرجاع الحوادث إلى عللها وأسبابها بإدراك حقائقها على التمام، وهو المعني بالحكمة، وذلك بالاستدلال بأصناف الموجودات على قدرة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وحكمته، ويصح أن يكون الأحاديث جمع حديث بمعنى الخبر المتحدث به.

فالتأويل: تعبير الرؤيا سميت أحاديث؛ لأن المرائي يتحدث بها الراؤون، وعلى هذا المعنى حملها بعض المفسرين، واستدلوا بقوله في آخر القصة: ﴿وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأۡوِيلُ رُءۡيَٰيَ﴾ [يوسف:١٠٠].

قلت: والظاهر أن المعنى أعم من تخصيصه للرؤيا، فيدخل فيه تعبير الرؤيا، وكذلك مما في اليقظة من أحاديث، وذلك من قوله: ﴿قَالَ لَا يَأۡتِيكُمَا طَعَامٞ تُرۡزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأۡتُكُمَا بِتَأۡوِيلِهِۦ قَبۡلَ أَن يَأۡتِيَكُمَاۚ ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّيٓۚ﴾ [يوسف:٣٧].

فهنا دلالة للتأويل لغير تعبير الرؤيا، وهو من علم الله علَّمه إياه، ولعل ذلك يندرج من تأويل الأحاديث، وأيضًا مما جرى في عهد نبينا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ وهي حادثة الكسوف، فكان تفسير هذا الحدث ليس كما ظنَّه الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أنه بسبب موت إبراهيم، فجاء التفسير الصحيح لهذه الحادثة من نبينا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ أنها آية من آيات الله يخوف بها عباده.

وسُئل أَبو العباس أَحمد بن يحيى رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن التأْويل، فقال: التأْويل والمعنى والتفسير واحد. والله أعلم.

الجزء الثاني: التعبير والتحقيق

ثم ننتقل إلى الآية مائة وذلك كونها مرتبطة برؤيا يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وأيضًا لأجل تدرك ما هو المراد إيصاله إليك، قال الله تعالى: ﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدًا ۖ وَقَالَ يَـٰٓأَبَتِ هَـٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَـٰىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا ۖ ﴾ [يوسف:١٠٠].

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في "تفسيره": أي: هذا ما آل إليه الأمر، فإن التأويل يطلق على ما يصير إليه الأمر، كما قال تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ ۚ يَوْمَ يَأْتِى تَأْوِيلُهُۥ ﴾ [الأعراف:٥٣]، أي: يوم القيامة يأتيهم ما وعدوا به من خير وشر، وقوله: ﴿قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا ۖ ﴾ [يوسف:١٠٠] أي: صحيحة صِدقًا يذكر نعم الله عليه.

ونقل **الطبري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن ابن زيد في قوله: ﴿يَوْمَ يَأْتِى تَأْوِيلُهُۥ ﴾ [الأعراف:٥٣] يأتي تحقيقه، وقرأ قول الله تعالى: ﴿تَأْوِيلُ رُءْيَـٰىَ مِن قَبْلُ ﴾ [يوسف:١٠٠]، قال: هذا تحقيقها، وقرأ قول الله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ ﴾ [آل عمران:٧].

قال: ما يعلم حقيقته ومتى يأتي إلا الله تعالى.

إذًا: نتعلم ثلاثة أمور، وهي:

١- **الحال**: وهو حال أحداث الرؤيا في المنام.

٢- **المآل أو تحقق الرؤيا**: وهو ما آلت إليه الرؤيا في اليقظة، وصار واقعيًا بعد أن كان في العالم الغيبي.

٣- **التعبير**: هو اجتهاد يبذله القاضي؛ لأن العابر كالقاضي لكي يصل إلى ذلك المآل بقدر ما عنده من مكنة سبق ذكرها.

الجزء الثالث: اختلاف الليل والنهار

إذا تأملت إلى رؤيا يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ تجدها تختلف عن باقي الرؤىٰ في السورة، ودليل ذلك فإن كل معالمها علوية إلا إشارة السجود، وذلك كونه المآل، وباقي الرؤىٰ تجد إشاراتها سفلية، وقس أيضًا في تعبير يعقوب عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ هذا إن صح القول أنه عبَّرها، وتعبير يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ للسجينين وللملك فإن التفسير يختلف، وهذا واضح.

وهنا فائدة منفردة: لعل حب يعقوب ليوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ بدأ من بعد قص رؤياه له وتفرس فيها ظاهرًا من غير أن يعلم عن مكنونها من محن وابتلاءات، ودليله أن عتاب إخوة يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ جاء بعد قص الرؤيا، وكأنَّ هناك فارق زمني بين الرؤيا وبين ما أقدموا عليه، وهذا الوقت بدأ به زيادة محبته له، والله أعلم.



الجزء الرابع: التبيّين

فبعد أن عرفنا معنى الاجتباء ومعنى الأحاديث، وكذلك الحال والمآل والتعبير؛ فعليك أن تمعن في تعبير يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ لرؤيا السجينين، فإنك تجد عبور يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ لهما كان تفسيرًا دقيقًا، وجرى بحذافيره بعد أن قام بالنصح والإرشاد، وهذا الذي ينبغي على العابر، وتجده في رؤيا الملك فسَّرها مباشرةً، وقام بتفسيرها بحذافيرها، وهذا كما هو معلوم من تفسير الأنبياء أنه حق ويقع بما فسَّره، فإذا ذهبنا بقول من قال: إن يعقوب عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ عبرها وتأملنا إلى تعبير يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ لرؤيا السجينين ورؤيا الملك فإنك تجد عبور يعقوب عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ كان مختلفًا عن تفسيرات باقي الرؤىٰ، ولهذا فإن رؤيا يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ كانت مختلفة عن باقي الرؤىٰ، فهي كلها علوية، وباقي الرؤىٰ كلها سفلية، وعبور يعقوب عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ إن كان عبرها فهو عبورٌ مختلفٌ على عبور باقي الرؤىٰ الواردة في السورة، وجرى تحققها، والله أعلم.

وأما إن ذهبنا للقول بأنه لم يعبرها فإنك تجد ذلك في مواضع عدَّة، وهي:

من قوله: ﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدًا ۖ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا ۖ وَقَدْ أَحْسَنَ بِىٓ إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾ ﴾ [يوسف]. وقد بيَّنا تفسير بعض الألفاظ من الآيتين.

قال الإمام السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسير الآية: فهذا وقوعها الذي آلت إليه ووصلت.

[التفسير (٤٠٥)].

وقال ابن عاشور رَحِمَهُ ٱللَّهُ في "التحرير والتنوير" (٢٣/ ٢١٨): ولم يعلم يوسف تأويلها إلا يوم أن قال: ﴿وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأۡوِيلُ رُءۡيَٰيَ مِن قَبۡلُ قَدۡ جَعَلَهَا رَبِّي حَقّٗاۖ﴾. اهـ

وإذا تأملت فإنك تجد عندما عبَّر للسجينين وللملك لم يقل: ﴿هَٰذَا تَأۡوِيلُ رُءۡيَٰيَ مِن قَبۡلُ﴾؛ لأن والده عندما عَبّر له أطلعه بأنه سيكون عابرًا للرؤيا، فلم يتلفظ يوسف عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ بذلك عند وقوع تفسيره لرؤيا السجينين ورؤيا الملك، وهذا دليل على أن مآل رؤياه كان مختلفًا عما عبره أبوه يعقوب عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

والظاهر -والله أعلم- أن من سياق الآية تجدها أنه لم يطلع من قبل على تعبيرها إذ لو كان اطلع عليه لعطف خطابه إلى ما عبرها له أبوه في نهاية المطاف، ولكن قال: ﴿جَعَلَهَا رَبِّي حَقّٗاۖ﴾ [يوسف:١٠٠]، أي: صار مآلها في اليقظة، فهو يعني الرؤيا، وليس تعبيره.

وأيضًا لو كان عبَّرها يعقوب عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وعرف مكنونها لَمَّا حزن على يوسف عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، ولما توجع على فراقه، وذلك كونه يعلم أن من معاني الكواكب غيابها ثم عودتها، وهذا استنباط قوي، ولهذا فإن تعبير رؤيا يوسف عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ كان مختلفًا أو فيه عدم وضوح للتعبير، والله أعلم.





الجزء الخامس: الأسباب

وهنا نسأل ما هو سبب اختلاف تعبير يعقوب عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ؟

والظاهر –والله أعلم– لعل جواب يعقوب ليوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ إنما كان جزء من التعبير، وأدلى بمفهوم عام، وليس مفصّلًا؛ لأن الرؤىٰ في القرآن تأتي واضحة أو تأتي الرؤيا ويعقبها التعبير.

ولعل السبب أنه اكتفى بما أوحى الله إليه، ولعله كان يدرك إشارات رؤياه بأنها تحمل دلالات كثيرة فاختصر بما علمه، ولعل عبوره لها بتلك الصورة خشية على يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ من إخوته، فقد ألقوا به إلى الجب بسبب محبته له، فكيف لو علموا بالرؤيا، وهم عابرون للرؤيا ربما قتلوه، وقد كانوا عازمين على قتله.

ولعل الحكمة من ذلك عدم اطلاع يعقوب عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ على تفاصيل الرؤيا من الباري سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لكي يصل إلى أعلى درجة في البلاء، وكذلك يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، فالأنبياء أشد الناس بلاءً، ثم الأمثل فالأمثل.

ولعل السبب كان هو عدم زرع الخوف في نفس يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وحذّره وهو الأهم، وتكلم على العموم بما ألهمه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فيها من الخيرية.

ولعل السبب في ذلك هو أن التعبير كان ظنًا؛ والظن يخطئ ويصيب فحذّر وبالخيرية عمّ.

أو لعل الحكمة من عدم تفصيل التعبير ومعرفة يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ بما يُضمرون له لعدم معرفتهم بذلك إذ لو عرفوا بما يُدبرون له لقاموا بتغيير مكرهم بما هو أشد، فإن الحاسد إذا عرف المحسود عن حيلته فإن الحاسد سيقوم بصورة

أخرى وأشد من الأولى، وغير ذلك من الأسباب، والله أعلم.

وأيضًا لو أمعنت في الابتلاءات والمحن التي مر بها يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ فإنها تنطوي لأجل الارتقاء للاصطفاء، فإن المرء لا يُمكَّن حتى يُبتلى، ولكن لم تكن مفصَّلة، ولذا فرَّق بين تعبير الرؤيا وتحقيق الرؤيا.

وهنا نخرج بفائدة وهي: أن الرؤيا يقع تحقيقها وهو مآلها ولكن علينا بالأسباب؛ لأن ترك العمل بالأسباب قدح في الشريعة، كما قال شيخنا مقبل الوادعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وسيأتي الإيضاح أكثر في الأجزاء القادمة إن شاء الله تعالى.

وفائدة أخرى: على هيئة صيغة مختصرة لأسباب النوم ومراحل تعبيرها، وهي: النوم مبكرًا، ثم استغراق في النوم، ثم رؤيا أو حلم، ثم استيقاظ، ثم قص الرؤيا على العابر، ثم تعبيرها، فتكون الحصيلة تتحقق أو لا تتحقق.





المبحث الثامن عشر: تُحفة نفيسة

ليس وجوبًا أن العابر لا يتمكن من التعبير إلا إذا كان والده عابرًا للرؤيا أو أحد أقربائه، ولعل من ذهب إلى هذا القول أخذها من حال يعقوب ويوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ؛ وهذا القول خطأ.

بل لو أمعنت في رؤيا يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ تجد نقيض هذا القول، وهناك من ذاع صيته في التعبير ولم يكن أحد أقربائه عابرًا للرؤيا كأبي بكر الصديق، وعمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، وابن سيرين رَحِمَهُ ٱللَّهُ يوسف هذه الأمة، بل نبينا محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ لم يكن أبواه مفسرين للرؤيا، بل الآية دليل على نقيض قولهم، وهو قوله: ﴿وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ﴾ [يوسف:٦] أي: علم من العلوم، وكما أن يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ لم يكن شبيهًا لأحد الكواكب في رؤياه كان ذلك دليلًا على خلاف ما ذهب إليه البعض من قولهم: لابد أن يكون هذا العلم متوارثًا، والله أعلم.



المبحث التاسع عشر: الرؤيا مرآة صاحبها

ولها مفاهيم عدّة:

فمنها: إذا كان من رؤيا يوسف عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أن الكواكب أناس، وكما شُبِّه النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓ آلِهِوَسَلَّمَ بالقمر تشبيهًا، وكذلك أصحابه بالنجوم فإن الرؤيا على قدرها تبيّن معدن وسيرة صاحبها.

ومنها: جاء في الحديث: «**الْمُؤْمِنُ مرآة أخيه**». [رواه البخاري في الأدب المفرد، برقم: (٢٣٨)، من حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ]، وعلى هذا قس في الرؤيا تُظهر لك حاله من حسن فيزيد منه، ومن قبيح فتنهاه لكي يعتدل، فهي تُبيِّنُ لصاحبها الجيد والرديء.

وكما أن القمر شبيه بالمرآة فينبغي لطالب العلم أن يتحلى بصفات حسنة باطنًا وظاهرًا، كما اتصف بها يوسف عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وهذه الصفات بعضها هبة من الله لعبده وبعضها مكتسبة، ونذكر بعض صفات يوسف عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ من سياق السورة، وهي: الإخلاص، الحكمة، العلم، التقوى، الصبر، الصدق، الأمانة، العدل، الرحمة، التواضع، الإحسان، الفراسة، الإلهام، حدة في الذكاء، قوة في الحفظ، الإيثار، النصيحة، حسن الظن، الزهد، عدم نكران الجميل، الكرم، العفة، علو الهمة، العفو والصفح، الورع، الفطنة، كتم السر، الحلم، وغير ذلك من الصفات الحسنة.

ونبينا صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓ آلِهِوَسَلَّمَ كان أكملهم حُسنًا، فقد كان خُلقه القرآن، فإذا كان يوسف عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ لقب بالصديق في قوله تعالى: ﴿يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ﴾ [يوسف:٤٦]، فنبينا صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓ آلِهِوَسَلَّمَ لُقّب (بالصادق)، وهذا أبلغ، وكذلك



(بالأمين) من قبل بعثته، ويوسف عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أخبر الملك بأنه حفيظ أمين، وفرق بين الأمرين، ويكفي نبينا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ بأن الباري سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ قال: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ ۝٤﴾ [القلم]، فقد كان خلقه القرآن، فافهم ذلك.

وقد جاء في الحديث «**وَأَصْدَقُكُمْ رُؤْيَا أَصْدَقُكُمْ حَدِيثًا**». [رواه البخاري، برقم: (٧٠١٧)، ومسلم، برقم: (٢٢٦٣)، واللفظ له]، فمن صدق مع الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ ومع الناس في السر والعلن قولًا وعملًا؛ فرؤياه حق، وأحق أن تتشبث بفوائدها، وصلة هذا المعنى بالكواكب من الشمس والقمر وذلك من إنارتها ونوره، ولصفائهما، والناس في هذا على درجات متفاوتة، ونظير ذلك في صدق العابر، فكلما كان أصدق كان تأويله أصوب وأدق، وذلك من قوله: ﴿يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ﴾ [يوسف:٤٦]، فصلاح العبد وتقواه له تأثير كبير في الرؤيا، وبقي هناك مفاهيم أخرى فتفطن لها.



المبحث العشرين: الـثّـريـا

دلالة أن الإشارات المختلفة دالة على مخرج واحد، فكما أن الكواكب ومنها الشمس والقمر إن اختلفت أو افترقت لكنها تتقابل وصُيِّرت إلى مصير واحد وهو السجود من رؤيا يوسف عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وهو معنىً مجملًا وإن كان فيه تخصيص لكن مآله كان إلى حدث عام، ونظيره ما جرى بين يوسف عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وإخوته من الفرقة، وكان في الأخير الاجتماع، فاعتبر الجزء إلى سياقه العام، خصوصًا إن أتت الجزئية على حسب ما سيق في القرآن أو في السنة النبوية.

ففي القرآن الكريم قد يكون المعنى لعدَّة كلمات أو من الكلمات تدل على معنى واحد مثال: رأى أنه يقرأ أو يسمع قوله تعالى: ﴿إِنِّي رَأَيۡتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوۡكَبٗا﴾ [يوسف:٤]، أو قوله: ﴿وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِ﴾ [يوسف:٦] ونحو ذلك من السياق للحدث، فإنه يقع له بعض مما تقدم ذكره، ونظير ذلك إذا أتت كـ: حدث، حادث، أحاديث، نبأ، فدال على شيء مما سبق بيانه، ونحوه إذا أتت كـ: تأويل، وإذا أتت كـ: قصة، قصص فاحكم بأصول التعبير نحو ما ذكرنا إن كان يليق به.

كما قال لي إنسان: أراني أقرأ قوله: ﴿هَٰذَا تَأۡوِيلُ رُءۡيَٰيَ﴾ [يوسف:١٠٠].

قلت له: لك رؤيا قديمة وستقع وتُحسد من قبل إخوتك.

وقالت امرأة: رأيت تابوت موسى الرضيع على النهر.

قلت: فطمت رضيعك وتشعرين بحزن عليه.

فقالت: صحيح.

قلت: وسيكون لهذا الغلام شأن.



وأخرى تقول: رأيت قليلًا من الناس، وكان هناك رجل متكئ، وأرى جنبه وظهره ولا أرى وجهه، وفجأة قام وكنت أقول: إنه موسى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

قلت: في الغالب لا ترين من زوجك إلَّا ظهره أو جنبه، وذلك لأنه مريض.

فقالت: صدقت.

قلت: ورُزقتِ بغلام ومرض بمرض الحرارة، وكاد أن يهلك، وأُدخل في الحضانة التي تشبه التابوت، ومكث أيامًا، وهو لا يرضع منك، وحزنتِ عليه، ثم عاد إليك.

فقالت: صحيح.

قلت: ويحصل رفعة لأبيه، ولعل في وجهه عيب، وهو خامس إخوانه وأوسطهم، وأنت تعاني من النسيان.

فقالت: صحيح.

قلت: ويهلك جبابرة طغوا في البلد عما قريب.

وعلى هذا فقس في الحدث حسب السياق، والله أعلم.



المبحث الحادي والعشرين: هداية من رب الكواكب

ومن الدلالات المليحة والغريبة والفريدة هو تأويل كلام الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وأحاديث نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ إن أتى في المنام على الاشتقاق والمعنى والأسماء وغير ذلك من الأصول، وهذا قد يبدو غريبًا لطالب العلم، ولكن هذه القاعدة دلالتها من رؤيا يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ لو أمعنت فيها، فإن المتأمل في رؤيا يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ذُكرت في القرآن الكريم وصار عليها أصول التعبير بنحو ما ذكرنا من معاني الكواكب والشمس والقمر، وكذلك حتى مآلها من أحداثها التي جرت في السورة، وكما جرى في رؤيا الملك، وهذا كله إشارة لنا أننا نحكم على كلام الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وكذلك على أحاديث نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ؛ لأن الرؤيا جزء من أجزاء النبوة.

كما قال لي إنسان: رأيت أحد الإخوة يقرأ قوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ﴾ [البقرة:٢٨١]، وكنت أنظر إليه، ثم اتجه إليَّ وقال لي: بقي مائة وعشرون يوما، فمكث الأخ خائفًا، ويعد المائة والعشرين يوما ولم يجرِ شيء.

قلت له: هل كان والده في سفر، وكان ينتظر عودته وعاد بعد مائة وعشرين يوما من الرؤيا.

فقال: نعم.

قلت له: هذا هو التفسير، وذلك بأن الله يُفسَّر بالوالد والملك والعالم ونحو ذلك.

وآخر يقول: رأيت أني أقرأ قوله تعالى: ﴿وَٱصۡبِرۡ وَمَا صَبۡرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ﴾ [النحل:١٢٧] أو نحو ما يحث على الصَّبْر.



قلت له: تشكو من مرض، وقد ضاق بك الحال، أليس كذلك؟

فقال: بلى.

قلت له: عليك بعشبة الصَّبِر، فبرأ.

وعلى هذا فقس في الأحاديث، وهذا مسلك لم يسلكه أحد من قبل ومن بعد حسب علمي، وذلك من فضل الله عليَّ فاعمل به.



الباب الثاني عشر:
الرفعة والإجلال





المبحث الأول: عبد العزيز ابن عزيز.

المبحث الثاني: فخار ملؤها صفراء وبيضاء.

المبحث الثالث: إذا جادت الكواكب عليك فجُد بها.

المبحث الرابع: اختلاف الشمس والقمر.

المبحث الخامس: ما أسعد أهل السنة به.

المبحث السادس: تُحف من يوسف.

المبحث السابع: ما من مسألة إلّا وهدايتها من الكتاب والسنة.

المبحث الثامن: اجتماع بعد غياب.

المبحث التاسع: تاج مُكلَّل.

المبحث العاشر: هذا ليوسف ولابنه.

المبحث الحادي عشر: القمر يتسع.

المبحث الثاني عشر: رؤياك يا قمر قمر.

المبحث الثالث عشر: دواء ربيعي.

المبحث الأول: عبد العزيز ابن عزيز

ومن المعاني الحسنة: الدالة على العزِّ والتحدي، فقد كان يوسف عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ عبدًا لعزيز مصر، ولم ينزع ماء الحياء من وجهه، فأعزَّه الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ، وصار يُنادى بالعزيز، ورفضه لامرأة العزيز بعد تهديده بالسجن دلالة على الشموخ مع أنه عبد لهم، وهي زوجة العزيز ونظيره رفضه لإجابة الملك حتى تظهر براءته، وهذا يدل على الإفحام والعزِّ والثقة بالله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ، وذلك من خُلُقِه الشريف، وهذا من نُدُر النَّدر في زماننا عندما تسمع أن هناك من النفوس إذا ظُلِمت تجردت من عروض الدنيا مع إتيانها هرولة، والمتأمل للكواكب فحالها ذات قدر ومنزلة رفيعة، قال تعالى: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ٧٥﴾ [الواقعة:٧٥]، فقد أقسم الله بمواقعها، وهذا يدخل في إحدى معاني العز، وكما جاء في "صحيح البخاري"، برقم: (٣٣٧٢)، و"مسلم"، برقم: (١٥١)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ، قال نبينا محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ: «**وَلَوْ لَبِثْتُ فِي السِّجْنِ طُولَ مَا لَبِثَ يُوسُفُ، لَأَجَبْتُ الدَّاعِيَ**»، وفي "مسند الإمام أحمد"، برقم: (٨٥٥٤)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ: «**لَوْ كُنْتُ أَنَا لَأَسْرَعْتُ الْإِجَابَةَ، وَمَا ابْتَغَيْتُ الْعُذْرَ**»، وقد عاش في عز في قصر العزيز، وكان يُنادى بـالعزيز.. كما في السورة.

ومما يُستدل به على التحدي من إشارة الكواكب قوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ: «**يا عماه، والله لوْ وضعوا الشمس في يميني، والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر حتى يُظهره الله أو أهلك فيه ما تركتُه**»، وإن كان الحديث ضعيفًا، فللحديث طريقٌ آخر ما جاء عن عقيل بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ، قال: جاءت قريش إلى أبي

طالب فقالوا: أرأيتَ أحمد يؤذينا في نادينا وفي مسجدنا فانهَهُ عن أذانا، فقال: يا عقيل ائتني بمحمد، فذهبتُ فأتيته به، فقال: يا ابن أخي إن بني عمِّك زعموا أنك تؤذيهم في ناديهم، وفي مسجدهم فانتَهِ عن ذلك، قال: فلحَظ رسولُ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ ببصره -وفي رواية فَحَلَّقَ رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ بَصَرَه- إلى السّماء، فقال: أَتَرون هذهِ الشَّمس؟ قالوا: نعم، قال: ما أنا بَأَقدرَ على أن أَدَعَ لكُم ذلك مِنْ أن تُشْعِلوا لي منها شُعْلة - [يعني: الشمس] -، قال: فقال أبو طالب: ما كَذَبنَا ابنُ أخي قط - [أبدا] -، فَارْجِعوا. رواه الطبراني وأبو يعلى، وحسَّنه ابن حجر، وحسَّنه كذلك الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في "السلسلة الصحيحة" برقم: (٩٢).

ومما جرى بين إبراهيم عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ والنمرود، وذلك من قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِي بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِي كَفَرَۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٢٥٨﴾ [البقرة].

وإذا تأملت نداء إخوانه له لوجدته بذلك حتى: ﴿قَالُوٓاْ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُۖ قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِيۖ﴾ [يوسف:٩٠].

وإذا تأملت من بعد ذلك في السورة فلم يُذكر في السورة أن نادوه بالعزيز من بعدها، ولعل ذلك من تواضعه لهم، والله أعلم.

وتأتي العزيز بمعنى: الغلبة، وقد جرى له ذلك، وأيده الله بذلك من قبل، وذلك من قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ٢١﴾ [يوسف].

وتأتي بمعانٍ أخرى، ولما كانت العزة بغير الله مذمومة كان جزاء ذلك إلى ذل وهوان، قال تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ١٩﴾ [النجم]، ونحوها من الآيات.

وربما كان اسم الرائي أو اسم أبيه عبد العزيز، أو عبد الكريم، وإن كانت أنثى فيؤنث كعزيزة أو كريمة، أو نحو هذه الصفة، فافهم ذلك موفقًا إن شاء الله تعالى.





المبحث الثاني: فخار ملؤها صفراء وبيضاء

ومن المعاني المليحة: الدالة على الغنى، وذلك من الذهب والفضة ونحوها، ومنه غنى النفس، وارتباط هذا المعنى بالشمس والقمر، فإن الأموال قديمًا كانت من الذهب والفضة، ومنها الدينار والدرهم، وهي شبيهة بالشمس والقمر، فتلك صفراء ذهبية كالشمس، والأخرى بيضاء فضية كالقمر، فدلالة أيضًا على البيع والشراء، وهي التجارة كما جرى ليوسف عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ مع إخوانه، وكما أشرنا سابقًا بدلالة المعيشة، قال تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتُۢ بِأَمۡرِهِۦٓۚ﴾ [النحل:١٢].

وسخر الله لكم الليل لتسكنوا فيه وتستريحوا، والنهار لتكسبوا فيه ما تعيشون به، وسخر لكم الشمس، وجعلها ضياء، والقمر وجعله نورًا، والنجوم مذللات لكم بأمره القدري.

وقد جرى على يوسف عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ في بدء أمره فكان حاله لا يُعبأ له، قال تعالى: ﴿وَشَرَوۡهُ بِثَمَنِۢ بَخۡسٖ دَرَٰهِمَ مَعۡدُودَةٖ وَكَانُواْ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ ٢٠﴾ [يوسف]، ثم ملكه الله وأعزّه وأغناه، حيث قال الله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَتَبَوَّأُ مِنۡهَا حَيۡثُ يَشَآءُۚ نُصِيبُ بِرَحۡمَتِنَا مَن نَّشَآءُۖ وَلَا نُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٥٦﴾ [يوسف].

ومن قوله: ﴿رَبِّ قَدۡ ءَاتَيۡتَنِي مِنَ ٱلۡمُلۡكِ وَعَلَّمۡتَنِي مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ تَوَفَّنِي مُسۡلِمٗا وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ١٠١﴾ [يوسف].

فهنا مُلك وعلم وغنى النفس؛ لأن الهمَّة عالية وسامية، ومع ذلك كان يجوع ليشعر بجوع الفقير في سنوات القحط.

ونبينا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ كان غني النفس مع ما كان يمر به من شدة، ومع ذلك لم يلتفت إلى زهرة الدنيا، وعُرِضت له في بادئ الأمر من قِبَل كفار قريش فأعرض عنها، وفي آخر عمره صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ عُرِض له الملك والدنيا فلم يقبل إلَّا الرفيق الأعلى، وهو رب الشمس والقمر، ورب كل شيء سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

والأموال في المنام: دالة على مكتوب أو عودة غائب، أو منفعة من الأقارب، أو على الأموال، ونحو ذلك، وهذه جرت ليوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وعلى هذا فقس فيما يشبه النجوم كالبيض وشبيهه، فافهم ذلك.



المبحث الثالث: إذا جادت الكواكب عليك فجُد بها

ومنها: دالة على الكرم والجود، وذلك من طبائع معدنه أو تخلّق به من آبائه، وليس الكرم والجود محصورًا بالمال، بل هو أوسع من ذلك لكيلا يُحرم منه الفقير، والغني إن صدقت النيّة من قبل ومن بعد، وأفردنا هذه الدلالة كونها صارت مفقودة في زماننا إلا ما رحم ربي، والله المستعان.

ومعنى الكريم: الشَّريف الطَّاهر الرَّفيع المنزلة، وهذا شبيه بالكواكب ورفعتها ومنقبتها وتَشرُّف قدر الشمس والقمر من بين الكواكب في مواضع عدَّة من القرآن، ومنه في رؤيا يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، فصاحب الكرم لا يمنُّ إذا أعطى، وتكثر منافعه وفوائده.

وقد سخر الله الكواكب والشمس والقمر لنفع العباد، قال تعالى: ﴿وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ﴾ [الرعد:٢].

ذلَّل الشمس والقمر لمنافع خلقه، ويقال: جادت السماء بعد جفاف، أي: أمطرت بغزارة، وهو شبيه بعام الغيث بعد سنوات القحط.

ومن صور الكرم: الجود، فعندما أتى إليه الساقي لتأويل رؤيا الملك لم يعاتبه عما بدر منه من نسيان أمره.

ومنها: لما كان الجود أحيانًا تطبع من الأب أو الجد فقد جادت عين يعقوب بالدمع على فراق يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، ولما جاد يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ بخدمة العباد في تفسير رؤاهم وهو في كُربة جاد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عليه من جنس عمله.

وقد جاء في السنة كما في حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال: قال النبي

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ الكَرِيمَ، ابْنَ الكَرِيمِ، ابْنِ الكَرِيمِ، ابْنِ الكَرِيمِ يُوسُفُ بْنُ يَعْقُوبَ بْنِ إِسْحَاقَ**»، وذلك لأَنه اجتمع له شرف النبوة والعلم والجمال والعِفَّة وكَرَم الأَخلاق والعَدل ورِياسة الدنيا والدين، فهو نبيٌّ ابن نبيٍّ ابن نبيٍّ ابن نبي رابع أربعة في النبوة، قال تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾﴾ [الحجرات].

ولم يجتمع لنبي توافق النبوة مترادفة إلى رابع جد إلَّا له.

ويقال: كَرُمَ السَّحابُ إذا جاء بالغيث، وإذا تأملت إلى معاني الكرم عند أهل اللغة لوجدتها في يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

ومنه الحلم والصفح عمن أساء إليه، وهذه الصفة اتصف بها يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ تجاه إخوانه، وذلك من قوله: ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ ۖ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٩٢﴾﴾ [يوسف].

ومع امرأة العزيز، ومن كرمه قوله أيضًا: ﴿وَأْتُونِى بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٣﴾﴾ [يوسف]، وقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**لَقَدْ عَجِبْتُ مِنْ يُوسُفَ وَصَبْرِهِ وَكَرَمِهِ فَاللهُ يَغْفِرُ لَهُ حِينَ سُئِلَ عَنِ الْبَقَرَاتِ الْعِجَافِ السِّمَانِ وَلَوْ كُنْتُ مَكَانَهُ مَا أَخْبَرْتُهُمْ حَتَّى أَشْتَرِطَ عَلَيْهِمْ أَنْ يُخْرِجُونِي وَلَقَدْ عَجِبْتُ مِنْ يُوسُفَ وَصَبْرِهِ وَكَرَمِهِ وَاللهُ يَغْفِرُ لَهُ حِينَ أَتَاهُ الرَّسُولُ وَلَوْ كُنْتُ مَكَانَهُ لَبَادَرْتُهُمُ الْبَابَ**». [رواه عبد الرزاق في التفسير مرسلا عن عكرمة]، وهذا في غاية الكرم.

ونبينا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بلغ بالكرم أعلى مرتبة، فقد كان أجود من الريح المرسلة، وهذا أبلغ، ومن الأمثلة في كرمه منه: عطاؤه في حُنَيْن، ومنها عفوه على أهل مكة وغير ذلك مما في سيرته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وعندما سُئل أجاب بأنه



يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وهذا من تواضعه فزاده الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ رفعة، وجعله أفضل الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام.

وأما الحِلم فقد كان إمامهم في مواقف عدَّة في سيرته، ولما كان الصابر جميلًا كان الحليم كذلك، وربما زيادة، ولذا تجد اللفظة: (جميل) من القرآن الكريم في سورة يوسف، وكذلك لنبينا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ في سورة الحجر، من قوله تعالى: ﴿فَٱصۡفَحِ ٱلصَّفۡحَ ٱلۡجَمِيلَ ٨٥﴾ [الحجر]، فافهم ذلك.

والمتأمل في حال القمر يجده دلالة على الخُلق الحسن، كما أن الشمس دلالة على الجُود والكرم.

وهناك ارتباط بين الكرم والصبر، قال عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: إن أفضل عيش أدركناه بالصبر، ولو أن الصبر كان من الرجال كان كريمًا. [رواه ابن أبي الدنيا في الصبر والثواب، برقم: (٦)].



المبحث الرابع: اختلاف الشمس والقمر

ومن الإشارات من رؤيا يوسف اختلاف الرؤيا، ولكن على غير ما سبق ذكره، وهذا مستنبط من اختلاف الشمس والقمر، وكذلك اختلاف الليل والنهار، فتختلف باختلاف مذاهبها، وتنصرف عن أصولها بالزيادة الداخلة والكلمة المعترضة، وانتقالها عن سبيل الخير إلى سبيل الشر، باختلافات متعددة، وهذا في غاية الأهمية، وهو أصل كبير عليك أن تجعله نصب عينيك، ولا يجوز إهماله أصلًا، وبدون هذا الأصل تخطئ كثيرًا، ومن حكم برداءة ذلك فقد أبعد النجعة وليس بصحيح.

واختلاف الليل والنهار شبيه باختلاف أحوال الناس، فيختلف المنام باختلاف الأديان، ويختلف باختلاف الزمان، ويختلف باختلاف الكَمّ والكيْف، ويختلف باختلاف المعيشة والرزق، ويختلف باختلاف المكان والصنعة ونحو ذلك، ويختلف باختلاف اللغة، فلعل لغة يوسف عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ في زمانه لم تكن العربية، وكذلك مع أهل مصر، وتجد القصة في القرآن الكريم باللغة العربية، كما ذكر ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وذلك لأن لغة العرب أفصح اللغات وأبينها وأوسعها، وأكثرها تأدية للمعاني التي تقوم بالنفوس؛ فلهذا أنزل أشرف الكتب بأشرف اللغات، على أشرف الرسل عليهم الصلاة والسلام، بسفارة أشرف الملائكة عليه السلام، وكان ذلك في أشرف بقاع الأرض، وابتدئ إنزاله في أشرف شهور السنة وهو رمضان، فكمل من كل الوجوه.

وهنا دلالة على أن الرؤيا إذا رآها العربي وفيها ألفاظ لغة أخرى فإن تفسيرها للعربية معنىً أو عربيًا من نطقها، وإن كانت عربية ومعناها عند صاحبها آخر فتُعتبر

على لغته.

مثال: السفرجل.

فيُعتبر للفارسي بَهي، وجمال وراحة، وللعربي دلالة على السفر والجلاء، أو العافية للمريض، وهناك فصول لهذا الاختلاف تحدثنا عنها في ربيع المنامات، وعلى هذا فقس الاختلاف في علم الرؤيا.



المبحث الخامس: ما أسعد أهل السنة به

ومن العلامات: الدالة على السَّعادة، فالسعيد من أخذ منه، فإن كان من أهل الصلاح ومن معدن نفيس فلا تُغيِّره أغبرة ممن حوله، ولا دخيلة شائبة، ويبذل قواه لخدمة العباد؛ لأن تقوى العبد وتوحيده ونَفَاسة معدنه له أثر كبير في الرؤيا، فحاله كالشمس عند إشراقها، وكالقمر يُستنار به لدرء تَخبُّط الأكابر والعلماء ونحوهم من فتن متلاطمة تسعى للنيل من العلماء والعامة؛ لتجعل البلاد جرداء، فحاله كالدواء فيهيئه الله تعالى لإرشاد من دل على الكواكب، وينحت سردابًا حتى تظهر سالمة على ظهر الأرض، وحاله أيضًا أينما حفر نبع الماء، وإن حفر في الصحراء فسعيد وسعادة لمن عاشره.

فالرؤيا وعابرها بمثابة طريق للخلاص من المعضلات وحل للمشكلات، وهذا ما جرى من يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ للأكابر والعباد والبلاد، فيا لها من سعادة جُلبت إليهم بسببه، ويا له من عبء ثقيل خَفَّفَه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عنه وألهمه الصبر والثبات، فهنيئًا لمن اصطفاهم الله نجومًا يُهتدى ويُسعد بهم، ولهذا اتصف بالكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم.

وكم من رؤيا تكررت وأُهملت وظلت إشاراتها في النسيان، ولو قُصَّت على عابر فطن لأخرج ما في جعبتها من فوائد وأسرار ملاح تُسعِد العباد والبلاد.

ولما كان نبينا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ يسلك الطريق الحسن من اسمه حين هاجر إلى المدينة كان على هذا النحو نصيب من اسم إحدى مرضعاته صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ، وهي من بني سعد، فقد كانت سعادة البشرية منذ ولادته، وفي اتباع نوره



صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰٓآلِهِۦوَسَلَّمَ، والشقاء كل الشقاء لمن خالف وأعرض عن الطريق المستقيم، فإن الشقّي عند أهل اللغة: الضَّال غير المهتدي، فهو يتوافق لمعاني النجوم عند نورها أو اختفائها.

وكما قيل: ولكل شيء من اسمه نصيب، ومن الكواكب سعد وكما عند أهل اللغة: ويومٌ سَعْد، وكوكبٌ سعد، وُصِفا بالمصدر؛ وتقول: سَعَدَ يومُنا، بالفتح، يَسْعَد سُعودا. وأَسعده الله فهو مسعود. ولا يقال: مُسْعَد كأَنهم استَغْنَوا عنه بمسعود.

والسُّعُد والسُّعود، الأَخيرة أَشهر وأَقيس: كلاهما سعود النجوم، وهي الكواكب التي يقال لها لكل واحد منها سَعْدِ كذا، وهي عشرة أَنجم كل واحد منها سعد، وهذا من الاسم، والله أعلم.

والسعيد في الدنيا والآخرة من ابيض وجهه في الدارين، قال تعالى: ﴿ **يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ** ﴾[آل عمران:١٠٦]، قال ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا: تبيّض وجوه أهل السنة. اهـ وقد تقدم ذكر ارتباط البياض بالقمر.

ولما كان إخلاص المرء سعادة عليه وعلى الناس جرى ذلك سعادة الناس برسول الله يوسف عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ، وقد جاء عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قال: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَنْ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِكَ يَوْمَ القِيَامَةِ؟ فَقَالَ: «**لَقَدْ ظَنَنْتُ، يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، أَنْ لاَ يَسْأَلَنِي عَنْ هَذَا الحَدِيثِ أَحَدٌ أَوَّلُ مِنْكَ، لِمَا رَأَيْتُ مِنْ حِرْصِكَ عَلَى الحَدِيثِ، أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ القِيَامَةِ مَنْ قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ، خَالِصًا مِنْ قِبَلِ نَفْسِهِ**». [رواه البخاري، برقم: (٦٥٧٠)]، فبإخلاصه كان سؤاله نفيسًا، ولما كان أبو هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ عاليَ الهمة وصاحب إخلاص جرى لهذه البشرية السعد من الأحاديث المروية عنه، وصار محبوبًا ولا يكرهه إلا منافق، فتفطن لذلك.

المبحث السادس: تُحف من يوسف

على طالب العلم أن يُمعن في حاله الماضي والحال وما هو قادم؛ ليتفطن ويتعلَّم، وكذلك في رؤاه الماضية والحاضرة والقادمة، فإنك تجد رؤيا السجينين، ورؤيا الملك كل معالمها لها دلالة ومرجعية بشواهد رؤيا يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، فإن خدمة السجينين شبيهة في المخلوقات التي هيأها الله لنفع وخدمة عباده، ومنها الكواكب، وانتفاع الأشجار والنبات بها، ومنها الفواكه والثمار والحنطة والطيور، وهذا من خدمة الساقي جوار الملك في الاعتبار، واستنباط عدد السنين من عدد الأبقار له صلة في الوقت، فكلما كانت معالم الرؤيا رفيعة كان ما دونها له دلالة بها، وقس على ذلك بعلم التوحيد، فإنك مهما بلغت من العلوم وكنت صفرًا في التوحيد فهو إلى زوال؛ لأنه لا يستمد العبد قوته وعلومه إلا بالإخلاص وإلا فلا، ودلالة ذلك من الكواكب هو تقارب الكواكب من رؤيا يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وكأنها مترادفة أو متجاورة، وهكذا جرت أحداث من بينها رؤى مختلفة لكي يقع المآل للرؤيا الأولى الرفيعة العظيمة الشأن.

وكذلك كما تواطأت الرؤى لليلة القدر في عهد النبوة.

وسؤال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ لأصحابه رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ عند كل غداة: «**من رأى منكم رؤيا**» دل على الحرص والمتابعة والعلم كذلك، فافهمه.





المبحث السابع: ما من مسألة إلا وهدايتها من الكتاب والسنة

فكما أن الله خلق الكواكب ومنها الشمس والقمر وسخَّرها لمنفعة العباد ومن تلكم المصالح لحفظ صحة الأبدان، والمعيشة ومن دونهما يحصل نكد في ذلك وهذا كله بأمر الله سبحانه تعالى، ومما سبق ذكره من تشبيه النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ تارة بالشمس وإنارتها، وتارة بالقمر ونوره وذلك لمعانٍ عدة ومنها الهداية، فاعلم أنه ما من مسألة أو معضلة إلَّا ولها مخرج من الكتاب والسنة كما جرى لحل معضلة الملك، وقس ذلك في تعبيرك للرؤيا.

وبما أن القمر ملازم للشمس في رؤياه، وظهور أحدهما في الليل، والآخر في النهار فدلالة على أنه لا تناقض بين الكتاب والسنة، وهذا من باب التشبيه.

وإذا تأملت إلى تفسير الرؤيا فمن أصول التأويل التعبير بالشِّعْر، فإن كان الشِّعْر مذمومًا فهو مردود، وصلة ذلك بهذه السورة فإنها نزلت عند بدء الإسلام، فكانت قصته ركيزة أساسية ومرجعية لكل طالب علم لما فيها من العبر والعظات من اليقين والصبر والمجاهدة والدعوة والعلم والمآل إلى الرفعة ونحوه، فكانت ركنًا وزادًا لأهل العلم خصوصًا لمن يطلب هذا العلم، وهو علم الرؤيا، بل ربما علم التعبير كله تجده في هذه السورة، والله أعلم.

واعلم أنه لا يؤخذ من الرؤيا أحكام فقهية، فقد اكتمل هذا الدين، وأتم الله سُبْحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ نعمته على عباده.

قال الإمام ابن حزم رَحِمَهُٱللَّهُ: الشرائع لا تؤخذ من المنامات. [المحلى (٦/ ٢٠٨)]

وقد تأتي الرؤيا استئناسًا لطالب العلم بمسألة أشكلت عليه، فتأتي الرؤيا تُرشده

للخلاص مما هو فيه، كمرجعية إلى كتابٍ أو كلامٍ مسموع ونحو ذلك، كما جرى لابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ عندما رأى النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ في المنام وأرشده بالشرط.

واعلم أن الرؤيا إذا كانت على الديمومة أضغاث أحلام أو من الشيطان فليراجع العبد حاله مع الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وهذا مستنبط من رؤيا يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وحاله، أو كان السبب لأمر آخر؛ وهو أن البدن يشكو من فساد أحد الأخلاط ولم يحصل الاستفراغ بأصوله المعلومة في الطب النبوي.

واعلم أنه ينبغي للعابر ولمن رأى أن يعتني بالرؤيا، وإن أتت مرة واحدة، وهذا من رؤيا يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، ويعتني كذلك إن تكررت، ودليله سيأتي في رؤيا الملك إن شاء الله تعالى.



المبحث الثامن: اجتماع بعد غياب

ومنها دالة على الاجتماع، فجرى لم الشَّمْلِ بعد الفرقة، فمن رؤياه نستنبط أنه كان لابد من افتراق عن الكواكب، وذلك من طبيعتها ومن ثم الاجتماع.

ونستنبط أيضًا قاعدة الجمع في العدد ونحوها من القواعد الحسابية، والدليل على معنى الاجتماع من الشمس والقمر، كما قال تعالى: ﴿وَٱلْقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ ١٨﴾ [الانشقاق]، فقد أقسم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بالقمر إذا اجتمع وتمَّ وصار بدرًا.

وقوله تعالى: ﴿وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ٩﴾ [القيامة]، فهنا صفة لاجتماعهما معًا، وإن كانت الآية لها تفسيرًا آخر، وجرى ليوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ذلك، أعني الاجتماع بأبويه وأهله أجمعين كما تقدم ذكره.

ولما كان الشمس والقمر متلازمين كالصحبة والقرابة ويعبران بالأم والأب كانت الشمس متقدمة في مواضع عدة في محكم تنزيله حتى في سورة يوسف، وهنا دلالة على طاعة الأم في المقدمة من غير معصية الخالق، فما كان في الرؤيا مفضّل في القرآن والسنة عليك الاعتناء به، ولهذا جاء من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَنْ أَحَقُّ النَّاسِ بِحُسْنِ صَحَابَتِي؟ قَالَ: «**أُمُّكَ**» قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «**ثُمَّ أُمُّكَ**» قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «**ثُمَّ أُمُّكَ**» قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «**ثُمَّ أَبُوكَ**» الحديث [رواه البخاري، برقم: (٥٩٧١)، ومسلم، برقم: (٢٥٤٨)].

وتجد في مواضع عدة من الوحيين؛ اقتران توحيد الخالق بطاعة الوالدين.

ولهذا من الأمور الحسنة والتي هي من سجية طبائع يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ

وجرت منه عدم تشهير امرأة العزيز في السجن، وذلك كونه لم ينكر إحسانها إليه، ولم ينسَ قول العزيز: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوۡ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدٗاۚ﴾ [يوسف:٢١].

ولم ينتقم من إخوانه.





المبحث التاسع: تاج مُكلّل

ومنها: دالة على الفخامة والعَظَمَة والزَّهو، وبما أن الكواكب رفيعة عظيمة كانت دلالة على المنصب العظيم والمكانة الجليلة، وإذا تأملنا في رؤياه لوجدت أن العتبة الأساسية هي العظمة، والرَّبط بين هذا المعنى والكواكب؛ فإن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ضرب مثلًا لنوره وقرن ذلك بالكوكب، وذلك لعظمتها من غير تكييف ولا تعطيل ولا تمثيل، وذلك من قوله: ﴿ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ ﴾ [النور:٣٥].

وسبحان الله! وجلَّت عظمته؛ لا يصف نفسه إلا لعظمته بما يليق به من ذلك الشيء العظيم، قال سبحانه تعالى ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾ ﴾ [الشورى]. فدالة على الرفعة والسلطة والمكانة العظيمة، ولعظم الكواكب أقسم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بها، وذلك من قوله تعالى: ﴿ وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ ﴾ [النجم].

ولا يُقسم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى إلا بعظيم، ويُقسم بما شاء سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

وقد جرى ليوسف عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ الولاية والشرف والتقدير والعظمة، وذلك من قوله سبحانه تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ ﴾ [يوسف:٢١]، وقوله تعالى: ﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّوا۟ لَهُۥ سُجَّدًا ۖ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا ۖ وَقَدْ أَحْسَنَ بِىٓ إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾ ﴾ [يوسف].

وكذلك ما حصل من سجودهم له، ولا يُسْجَد إلَّا لعظيم، وكان منهم بمعنى

التوقير والإجلال له، فحاله كحال ملك رُصِّع تاجه بياقوت وياقوتة؛ أي: بإحدى عشرة جوهرة، وهنا رفعة يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ على إخوته، وإن كانوا مبجلين عُظماء عند قومهم، وذلك كونهم كواكب على ما أسلفنا لكن يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ كان أرفع وخَصَّصَه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بذلك، وليسوا بأنبياء، ودلالة ذلك من رؤيا يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وجاء عند ابن ماجه، برقم: (٢٢٣)، وصححه الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ، قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: «**وَفَضْلُ العَالِمِ عَلَى العَابِدِ، كَفَضْلِ القَمَرِ عَلَى سَائِرِ الكَوَاكِبِ**»، وهذا يَعضُد فضل يوسف على إخوته، وأنهم عبّاد مؤمنون، وليس بينهم نبي عدى يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

وارتباط صفة الزّهو بالكوكب بمعنى المنظر الحسن، وذلك من قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ ۝٦﴾ [الصافات] ونحوها من الآيات.

كما قال لي شيخنا عبدالحميد الحجوري حفظه الله: بعد أن خرجنا من دماج رأيت الشيخ يحيى الحجوري حفظه الله مرتفعًا كالقمر، وكان الشيخ ربيع المدخلي ينظر إليه ويشير لأصحابه.

قلت: يرتفع ذكر شيخنا يحيى الحجوري حفظه الله، وعِزٌّ، وجَاهٌ له، وعلمه يكون نورًا يُهتدى به، وسيرجع الشيخ ربيع عمَّا بدر منه، ويشير لأصحابه باعتراف منزلة وقدر شيخنا يحيى حفظه الله ويطلبون منه العفو، والله أعلم.

فائدة: إذا تأملت إلى سورة يوسف وسورة النور؛ تجد بينهما دلالة مشتركة وهي الكوكب ونوره، **وقلنا**: إن سورة يوسف نافعة للمحسود، فمن هذه الإشارة المشتركة نستنبط أيضًا أن سورة النور نافعة ولها تأثيرًا قويًا لمن ابتلي بمس فاحش

وذلك للقرينة تلك، وأيضًا لما في السورة من وعيد شديد لأصحاب الفواحش من الزنا ونحوه، كما أن سورة يوسف فيها مذمة الحسد، والله أعلم.



المبحث العاشر: هذا ليوسف ولإبنه

ومن الحِكَم: الدالة على غلام فيه مما تقدم ذكره من الدلالات فيُرزق غلامًا عابرًا ماهرًا خصوصًا إن كان من رأى نحو رؤيا يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ عابرًا للمنامات، وتجري على الغلام أحداث جرت لأبيه من قبل، ويذاع صيت ابنه في الرؤيا وعلوم أخرى، وهذا من نُدر النُّدُر، ودليل ذلك من قصة يوسف وأبيه عليهما الصلاة والسلام، قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ يَجۡتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعۡقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيۡكَ مِن قَبۡلُ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴿٦﴾ ﴾ [يوسف].

ومن الأحداث كما جرى لأبينا إبراهيم عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ من رؤياه وغربة ولده إسماعيل جرى ذلك ليعقوب مع يوسف عليهم الصلاة والسلام، وكما جرت سنين شداد في عهد يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ جرى ذلك في عهد نبينا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ، لكننا العرب نعود إلى إسماعيل عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وليس إلى يعقوب عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، ولكن الرَّابط هو الإسلام كما هو ارتباط الكواكب جوار بعض، ومشتركة في بعض الصفات وتفضيل بعضها.

ولعل ذلك إشارة أن بعض أحداث يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ستقع في النادر لمن رزقه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ذلك، وإذا تأملت إلى رؤى أئمة التعبير فيمن سلف فإنك تقرأ عن بعضهم يحكي رؤياه وفيها يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، كرؤيا ابن سيرين رَحِمَهُ ٱللَّهُ وغيره ممن ذُكر عنهم في بعض الكتب.

وقس على ذلك في الأحداث من القحط والغلاء في أزمنة مترادفة، ومما يَعضُد

ذلك انظر إلى "البداية والنهاية" لابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وما كتبه عن حياة صلاح الدين يوسف بن أيوب رَحِمَهُ ٱللَّهُ، والتوافق العجيب ببعض الأمور شبيهة بما جرى ليوسف بن يعقوب عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وأشعر الشعراء حول هذا التوافق، بل وتحدث صلاح الدين رَحِمَهُ ٱللَّهُ بذلك عندما التقى بأخيه بعد غيابه، فقال لهم: أنا يوسف وهذا أخي، وتجد التوافق حتى في الاسم، وهذا من الوقائع الملاح.

ومما يَعضُد هذا الفصل مما جرى ليوشع بن نون عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ المتقدم ذكره فهو أيضًا من أحفاد يوسف عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

وإذا تأملت في عدد الأيام والشهور والسنين فإن تشابه الأعداد من عدد اليوم والشهر والعام في آن واحد يجري بعد كل مائة وأحد عشر عامًا.

مثال على ذلك: فإذا كان اليوم هو الرابع من الشهر الرابع ربيع الآخر من السنة الهجرية أربع وأربعين وأربعمائة وألف فإن نظيره وهو اليوم الخامس من الشهر الخامس جمادى الأول من السنة خمس وخمسين وخمسمائة وألف يجري بعد مائة وأحد عشر عامًا، وهذا دال على عدد الكواكب من رؤيا يوسف عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وارتباط الشمس والقمر بالأيام والشهور والسنين، فافهم ذلك موفقًا إن شاء الله تعالى، والله أعلم.

ربيعية:

ولما كانت الكواكب والشمس والقمر متجاورة في رؤياه ويعقوب عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ كان من دلالات القمر ذكر الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ شأنه مفصلًا ومرارًا في أحداث سورة يوسف أكثر من غيرها من سور القرآن، وقد ضرب لنا أجمل درس في حسن الظن بالله، والله أعلم.

المبحث الحادي عشر: القمر يتسع

ومن المعاني للقمر: دالة على السَّعة، ولها معانٍ عدَّة؛ فإن القمر منذ هلاله يبدأ شيئًا فشيئًا في الاتساع حتى يصير بدرًا، والناس تنظر إليه وتتأمل بحرص، ولهذا ينبغي لطالب العلم أن يكون حاله كذلك في السعة في العلم والحفظ، فكما قيل: من طلب العُلى سهر الليالي، وتجد ذلك في يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ من قوله: ﴿إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ٥٥﴾ [يوسف]، وإن كانت الآية تحكي أمرًا آخر على قول بعض المفسرين إلَّا أنه ينبغي لطالب العلم أن يكون عنده سعة في الحفظ مما يتعلَّمه ومراجعة ذلك، وهو أمر في غاية الأهمية، قال تعالى: ﴿فَدَخَلُواْ عَلَيۡهِ فَعَرَفَهُمۡ وَهُمۡ لَهُۥ مُنكِرُونَ ٥٨﴾ [يوسف] فعرفهم وما زال حافظًا لهيأتهم.

والمعرفة بعلم، والعَريف والعارِفُ بمعنًى، مثل عَلِيم وعالم.

قال طَرِيف بن مالك العَنْبري: وقيل **طريف بن عمرو**:

أَوَ كُلَّما وردَت عُكاظَ قَبيلةٌ بَعَثُوا إليَّ عَرِيفَهُمْ يَتَوَسَّمُ؟

أَي: عارِفَهم، والبعض تجده يشتكي من النسيان بعد أن كان متمكنًا، فمثل حاله كحال الشمس زاد حرُّها وذهبت برودة القمر، ولعله بسبب التقصير أو مادة رديئة في البدن خصوصًا أصحاب المزاج الصفراوي أو السوداوي، وتذهب بأصول الاستفراغ من الطب النبوي.

ومما يستدل به على الحفظ من الكواكب هو حفظ معيشة الناس بسبب هذه الكواكب التي سخرها الله لعباده ففيها منافع جليلة على الخليقة كلها، وتجد تقلُّب الفصول وزيادة في الحرارة أو البرودة، وما إلى ذلك، وهذا إنما لحفظ الأبدان

والمعيشة، وغير ذلك من المصالح.

وقد أحكم يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وأتقن بعلم من الله على حفظ الحنطة، وكما ظلَّت رؤياه محفوظة في ذهنه بعد عقود من الزمن.

وعِلمٌ بلا فَهمٍ ولا حِفْظٍ فهو كالإناء المثقوب، وقد تقدم ذكر بعض الآيات مما يَعضُد هذا الفصل، وأضف إلى ذلك إلى حال الشمس مع أصحاب الكهف كيف سخرها الله سُبْحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ على أبدانهم لحفظها.

وهنا فائدة: وهي إن كان الإنسان متقنًا لأمر فيحق له أن يثني على نفسه به، كما ذكر ذلك بعض أهل العلم.

وقد كان يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ يملك سعة الصدر، وذلك بِاتساعه وقدرته على التَّحَمُّل.

قال ابن المقفع: فَلاَ قِوَامَ للرَّعِيَّةِ إلَّا بِحُسْنِ سِيَاسَةِ الْمُلُوكِ وَسَعَةِ أَخْلاَقِهَا.

كما قال لي إنسان: رأيت القمر يقترب إلى الأرض.

قلت: منذرة بفيضانات ونحوها من الحوادث، فجرى ذلك.

ولن تتوقف هذه الآية إلا أن يشاء الله ربّ العالمين بلطف ورحمة منه.



المبحث الثاني عشر: رؤياك يا قمر قمر

ومن الحِكم أن رؤيا العلماء أو العابر الكبير ونحوهم ممن دل عليه الشمس والقمر، وزد إذا رأى نحو هذه الرؤيا؛ فإن في حياته وسيره وأحداثه هداية للناس، فحاله كالمدرسة للأجيال، وينهل منها طالب العلم، وذلك لرفعة معالمها، وكذلك رفعة لصاحبها بقدر شغفه للعلم، فإنك عندما تطالع في سيرة الأئمة من السلف تتزود مما جرى لهم عبرة وعظة، وتقوية للروح، وكذلك للبدن فهم كالنجوم تظل هداية للأجيال كرؤيا يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ حفظها الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ منذ ثلاثة آلاف سنة، ولم نصل إلى حد عجائبها وأسرارها، ويكفي من ذلك أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ذكرها في كتابه العزيز، وكأنها إشارةً لنا أن نُخلص في هذا العلم، وسيرفعك الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بقدر ذلك.

وطالب علم الرؤيا عليه أن يختبر حاله في الرؤىٰ التي في كتب أئمة التعبير من السلف فيُعبِّرها قبل أن يطالع في عبور المؤلف، ومن ثم سيدرك حاله ومستواه، فافهم ذلك موفقًا إن شاء الله تعالى.



المبحث الثالث عشر: دواء ربيعي

فائدة: لشارب هذا الدواء إن مَنَّ الله عليك برؤيا في أي وقت من الأوقات فاقصصها لعابر عالم، فإنه قد تأتي ببشارة بالعافية، أو ترشدك بما يتوجب عليك القيام به؛ فإن معرفة المرض وكيفية علاجه قد يكون برؤيا صالحة.

واعلم أنه يتوجب عليك أن تصلح قلبك مع خالقك، فإذا صلح القلب صلح البدن، وإن ابتلاك الله بعلة من العلل فانظر إلى قدر الدنيا وما أعده الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَى لأهل البلاء، فإن ذلك يهون، والعاقل من يقدم الأعلى على الأدنى.

عليك أن تحضر سنا مكي وريقات وقم بتصفيته من الأعواد، ثم يُدق أو يُطحن ثم يغربل جيدًا حتى يصير كالغبار، ثم يؤخذ من هذا المطحون من السنا مقدار ملعقة طعام كبيرة، وتُعجن بالعسل بمقدار ملعقتين أو ثلاث ملاعق من العسل، ثم يُعْجَن حتى يصير مادة ليست بالصلبة ولا بالخفيفة، ويأكل منه المريض أو الصحيح من هذا المعجون ملعقة أو ملعقتين على الريق، ويمتنع عن الماء البارد والألبان والأجبان ومشتقاتها سائر اليوم.

والمريض يعيدها اليوم الثاني، وينبغي تناول هذا المركب في كل أربعة أشهر للصحيح، وذلك لما وصل بنا الحال من فساد في المطعم والمشرب وغير ذلك.

والحامل يمنع عليها هذا، وكذلك أثناء الحيض.

وللصغير من سن الرابعة فما فوق: ربع ملعقة أو ملعقة صغيرة، وهكذا للشيخ.

وأما الطريقة التي عهدها الناس بغليان السنا ونحو ذلك فإنها تنفع بعض الحالات، وما ذكرته هو الأنفع، ويفضل تناوله في يوم السابع عشر أو التاسع عشر

أو الحادي والعشرين من الشهر القمري.

وينبغي عدم تقيؤ هذا الدواء، وإذا شعرت بالتقيؤ عليك أن تشم البصل فهو يمنع ذلك، وهذه فائدة ذكرها ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ، أو أضف عليه قليلًا من التمر الهندي.

وكذلك يستخدم كطلاء على ظاهر الجسد للأمراض الناتجة عن الرطوبة، وغير ذلك.

تنبيه: اعلم أن العامل النفسي إذا تناول الدواء بحب وشغف كان له تأثيرًا طيبًا، وإن كانت النفس لا تسيغه فإنه لن ينفعها وإن كان هو الدواء لذلك الداء، وبعض ضعفاء النفوس إذا قرأ هذا الطب النبوي يشعر بالضيق والقلق ونحوهما، ومثل هذا لا يلتفت إليه، فافهم هذا الدواء فهو لكل الأدواء عدى مرض الموت، وذلك من حديث السنا والسنوت، والله أعلم.

وجائز إضافة مادة أخرى أو مادتين أو أكثر كونها فرعية، ويُمنع إضافة مسهل آخر جوار هذا الدواء النبوي المبارك.

قلائدُ علمٍ أزهرت كالكواكب كدرّ ابن يعقوبٍ بجيد الكواعب

لأخينا: نشوان الهبوب، نظمها الشاعر: حمود البعادني.

وأقول لك كما قال الإمام الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أَلَّفْتُ هذه الكتب ولم آل فيها ولا بد أن يوجد فيها الخطأ؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَـٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾[النساء] فما وجدتم في كتبي هذه مما يخالف الكتاب أو السنة فقد رجعت عنه. اهـ "تأريخ دمشق".

نسأل الله الإخلاص والهداية والسداد

الحمد لله كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه، فما استنبطنا من المعاني والدلالات إلَّا يسير من غزير، وذلك لعِظَم كلام الله سبحانه تعالى، وكذلك لعِظَم هذه المخلوقات، والتي أقسم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بها لكي تفهم قدرها.

وإذا تدبرنا رؤيا يوسف عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ جيدًا لربما نستنبط فوائد كونية تخالف ما يدعيه اليهود والنصارى في عصرنا من حال الكواكب ومنها الشمس والقمر، ولن نستطيع حصر فوائدها الجليلة، ولهذا فإن رؤيا الكواكب تحتاج إلى فهم، وقد وجدت نفسي أنني لن أتوقف بتدوين أكثر من مائة وإحدى عشرة فائدة، واكتفيت إلى هنا خشية الإطالة والملل على طالب العلم، وأيضًا تجعلك مؤصلًا لقواعد وفرائد بعد فهمك لما تقدم ذكره.

تم تحرير الجزء الأول من كتاب:

"التحرير فيما جاء من رؤى سورة يوسف من الحِكَم والتعبير"

وبقي الجزء الثاني، والجزء الثالث إن شاء الله تعالى.

والحمد لله رب العالمين.

وصلَّى الله على محمد وآله وصحبه أجمعين إلى يوم الدين.

صنفه: الربيع العابر

أبو الربيع عبد الغني بن صالح الطاهري.

اليمن





الفهرس:

